



رابطة الجامعات الإسلامية

الجامعة الإسلامية

(٤٢)

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

obeikandi.com

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام ومن والاه وتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فهذا هو العدد الثاني والأربعون من مجلة "الجامعة الإسلامية"، يتضمن عدة دراسات ومقالات، يتناول في القسم الأول دراسة عن توظيف الفوائض المالية للدول الإسلامية للدكتور حاتم القرناوى، وفي هذه الدراسة محاولة للإجابة عن تساؤل رئيس يتعلق بقدرة الدول الإسلامية على توليد الفائض من ناحية، واستيعابه كمجموعة إسلامية من ناحية أخرى.

وقامت هذه المحاولة على دراسة إحصائية شاملة، وخلصت إلى أنه ينبغي التأكيد على أهمية الالتزام بمعايير الأداء الاقتصادي السليم، وبما يحقق التوازن المنشود بين صالح المستثمر الفرد والمؤسسى وصالح المجتمع الإسلامى ككل.

كذلك يشتمل القسم الأول على بحث يعرض التجربة الإسلامية فى تمويل التعليم (الوقف أمودجاً)، وفى هذا البحث حديث عام عن دور الوقف فى تنمية المجتمع ثقافياً وصحياً واجتماعياً واقتصادياً، وأن الأمة فى حاجة اليوم إلى إحياء سنة الوقف؛ لكى تؤدى رسالتها فى المجتمع المعاصر.

وعرض البحث الثالث فى هذا القسم لحرمة الشعر العربى فى الهند، وقد ألقى الضوء على بعض المجالات التى أبدع فيها الشعراء الهنود، وبخاصة فى مدح الرسول ﷺ وبعض الأعلام، وأيضاً فى موضوع الغزل والوصف والرثاء والزهد والوعظ والفخر والهجاء، وانتهى من عرض نماذج لكل الموضوعات إلى أن الشعراء الهنود نظموا فى كل أبواب الشعر، وأن شعرهم لا بأس به إذا لاحظنا أنهم ليسوا عرباً، وأنهم نشأوا فى بيئة أعجمية، كما يشتمل هذا العدد على بحث للدكتورة عزة البنا تحت عنوان «معوقات الإبداع والابتكار فى البحث العلمى الجامعى».

أما القسم الثانى، فيضم مقاليتين: الأولى فى «فقه الأقليات»، والثانية فى «الجدور الفكرية للعمليات الإرهابية».

وخص القسم الثالث بملف العدد، واشتمل على عدة مقالات تحدثت عن ظاهرة كراهية الإسلام، فبين الأسباب التي حملت الآخرين على أن يقفوا من هذا الدين موقفًا غير موضوعي، وأن هذا الموقف يقتضى من المسلمين أن يدفعوا عن دينهم ما يوجه إليه من افتراءات.

وتناول القسم الرابع التعريف بكتاب "الشخصية الإسلامية وصناعة القرار السياسى".

وفى القسم الخامس تقرير عن فعاليات التظاهرة الثقافية حول اللغة العربية فى إفريقيا، وكذلك تقرير عن زيارة وفد البرلمان السويدى لرابطة الجامعات الإسلامية، وأخيرًا تقرير عن ندوة معرض الكتاب ٢٠٠٨م والتي حملت عنوان "كاتب وكاتب". وعرف القسم السادس بجامعة أم القرى، فتحدث عن نشأتها وتطورها ورسالتها العلمية.

واشتمل القسم السابع على بعض الوثائق، منها: البيان الختامى للدورة السابعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامى الدولى، وأيضًا القرارات والبيانات الصادرة عن الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي فى رابطة العالم الإسلامى ١٤/٣/١٤٢٨هـ. ويحتوى القسم الإفرنجي على دراسة تحمل عنوان:

Droit de L'Enfant abandonné à la Parenté et aux Liens Familiaux

للدكتور عمر القاضى.

والله نسأل أن يوفقنا جميعًا إلى ما يحب ويرضى.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله ولى التوفيق،،

أ.د/ جعفر عبد السلام
الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

القسم الأول
الدراسات والبحوث

obeikandi.com

توظيف الفوائض المالية للدول الإسلامية

أ.د / حاتم القرنشاوى (*)

تمهيد:

لا شك أن فرص الاستثمار والتوظيف في البلاد الإسلامية على امتدادها تبدو أكبر من الاستثمار الفعلي المحقق في هذه البلاد، سواء توصلنا لذلك بتحليل الموارد والإمكانات أم بالتدفق الاستثماري من دول إسلامية وغير إسلامية أو بتحليل هيكل واردات وصادرات هذه الدول والذي يفصح عن مجالات عديدة لتعميق تصنيع الصادرات أو لرفع درجات الإشباع من الإنتاج المحلي لبعض الواردات.

وفي ذات الوقت فإن وجود نماذج عديدة لدول إسلامية تمكنت من تحقيق قفزات معتبرة في معدلات نموها واستمرارية النمو تؤكد مرة أخرى إمكانية إضافة نماذج جديدة باستمرار.

ومع ذلك وكما سبق أن أشير فإن الفجوة بين الممكن والمحقق في ظل الوفرة النسبية في العالم الإسلامي لعناصر التنمية من موارد طبيعية ومالية وبشرية تبدو باعثة على الأمل بقدر ما قد تثير لدى البعض مشاعر الإحباط.

وسنعرض هذا البحث بصورة موجزة محاولة للإجابة على تساؤل رئيس يتعلق بقدرة الدول الإسلامية على توليد الفائض من ناحية واستيعابه كمجموعة إسلامية من ناحية أخرى.

ويلي ذلك إشارة لأهم التطورات في مجال الصناعة المالية الإسلامية باعتبارها مؤشرا على جزء من حجم الفوائض المالية وليس كلها. ونخلص بعد ذلك إلى طرح عدد محدود من التوجهات المطلوبة لتعزيز الاستفادة من الفوائض المالية المتاحة لما يحقق تعظيم العائد الخاص والعام عليها للعالم الإسلامي ككل.

(*) العميد الأسبق لكلية التجارة - جامعة الأزهر.

هل لدى الدول الإسلامية فوائض مالية وقدرات استيعابية؟

قد تبدو الإجابة على هذا التساؤل ضرباً من البدهيات فالشائع عند الدول الإسلامية - باستثناء دول النفط - أنها دول فقيرة تعاني من العجز وليس لديها فائض وأنها طاردة للاستثمار في كثير من الحالات. ولكن نظرة تحليلية إلى تصنيف هذه الدول طبقاً لمستويات الدخل من ناحية إلى موقعها بالنسبة للمديونية الخارجية وإلى موقف الاستثمار الأجنبي المباشر فيها قد يسهم في تعديل الصورة إلى حد ما.

فطبقاً لتصنيف الدول الإسلامية تبعاً لمستويات الدخل الفردي والذي يوضحه الجدول رقم (١) تقع ٢٤ دولة بنسبة ٤٨٪ من الدول الإسلامية في نطاق الدول ذات الدخل المنخفض والذي يقل عن ٧٦٥ دولاراً سنوياً للفرد و ١٦ دولة ضمن نطاق الدول ذات الدخل المتوسط المنخفض والذي يتراوح بين ٧٦٦ - ٣٠٣٥ دولاراً للفرد سنوياً وذلك بنسبة ٣٢٪ من مجموع الدول الإسلامية المصنفة، بينما تقع خمس دول ضمن نطاق الدخل المتوسط الأعلى والذي يتراوح بين ٣٠٣٦ - ٩٣٨٥ دولاراً للفرد. وتحمل خمس دول إسلامية مكانها في فئة الدخل العالي الذي يتجاوز ٩٣٨٦ دولاراً للفرد وذلك بنسبة ١٠٪ من إجمالي الدول الإسلامية المصنفة. ومؤدى هذا أن ما يتجاوز نصف الدول الإسلامية يقع في نطاق الدخل المتوسط والعالي بنسبة ٥٢٪ من إجمالي الدول الإسلامية المصنفة.

جدول رقم (١): توزيع الدول الإسلامية تبعا لمتوسط دخل الفرد:

الدخل	مجموع الدول
دول ذات دخل منخفض (منخفض)	الكاميرون - الصومال - السودان - أوغندا - بنين - بوركينا فاسو - الكاميرون - تشاد - جامبيا - غينيا - غينيا بيساو - مالي - موريتانيا - النيجر - نيجيريا - السنغال - سيراليون - أفغانستان - بنجلادش - باكستان - كرجستان - تاجيكستان - أوزبكستان - اليمن.
دول ذات دخل متوسط (منخفض)	إندونيسيا - ألبانيا - أذربيجان - البوسنة والهرسك - كازاخستان - تركمانستان - إيران - العراق - الأردن - سوريا - فلسطين - الجزائر - مصر - جيبوتي - المغرب - تونس.
دول ذات دخل متوسط (مرتفع)	ماليزيا - لبنان - عمان - المملكة العربية السعودية - ليبيا.
دول ذات دخل مرتفع	بروناي - البحرين - الكويت - قطر - الإمارات.

المصدر : Worl Ban (2005 Globa Developmen Finance Worl bank Washington D.C

ومن ناحية أخرى فإن تحليل موقف الدول الإسلامية من حيث المديونية الخارجية كما هو موضح في الجدول رقم (٢)، يشير إلى أن عدد الدول الإسلامية التي تعاني من مديونية خارجية حادة من الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط تصل إلى ١٦ دولة من إجمالي الدول المصنفة، بينما يصل عدد الدول التي تتحمل مديونيات بسيطة إلى ١٤ دولة وذلك بين الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط بينما يصل عدد الدول التي تصنف مديونياتها الخارجية بأنها عادية إلى ١٢ دولة منها ٩ دول من ذوي الدخل المنخفض ومؤدى هذا أن الدولة الإسلامية التي تواجه مديونيات خارجية بسيطة أو معتدلة يصل إلى ٦٢٪ من الدول الإسلامية ذات المديونية الخارجية. ورغم أن عدم توافر الدين الخارجي لا يعنى بالضرورة أن الدولة لم تحاول الحصول عليه أو تمكنت من

الاستعاضة عنه بالاستثمار الداخلي أو مصادر التمويل الداخلية - وقد يكون نتيجة رفض الممولين فتح تلك الدول التسهيلات المطلوبة - إلا أن الأمر لا ينفي جانبا إيجابيا يتمثل في قدرة هذه الدول على الاستمرارية.

جدول رقم (٢) : توزيع الدول الإسلامية طبقا لمستوى المديونية	
دول ذات مديونية حادة	تشاد - كوموروس - جامبيا - غينيا - غينيا بيساو - سيراليون - الصومال - السودان - تاجيكستان
دول ذات مديونية حادة	غانا - إندونيسيا - الأردن - كازاخستان - لبنان - سوريا - تركيا
دول ذات مديونية عادية دخل منخفض	بنين - بورкина فاسو - الكاميرون - موريتانيا - النيجر - نيجيريا - باكستان - أوغندا - أوزبكستان
دول ذات مديونية عادية دخل متوسط	ماليزيا - تونس - تركمانستان
دول ذات مديونية بسيطة دخل منخفض	بنجلادش - مالي - موزمبيق - السنغال - اليمن
دول ذات مديونية بسيطة دخل متوسط	ألبانيا - الجزائر - أذربيجان - البوسنة والهرسك - جيبوتي - مصر - إيران - المغرب - عمان

المصدر : Worl Bank 2005 Globa Developmen Finance Worl bank Washington D.C

ولاستكمال استعراض المؤشرات المرتبطة بتحركات رؤوس الأموال دوليا يقدم الجدول رقم (٣) لتطور تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر للدول الإسلامية خلال أعوام ٢٠٠٢ - ٢٠٠٤ .

وتشير البيانات المتاحة في الجدول إلى أمرين أولهما، التقلبات السنوية الواضحة في تدفقات الاستثمار لكل بلد على حدة من ناحية - رغم الاتجاه الصعودي لتدفقات الاستثمار إلى الدول النامية بصورة عامة خلال الفترة - كما تشير البيانات أيضا إلى الثبات النسبي لنصيب الدول الإسلامية من إجمالي التدفقات والذي يدور حول ١٦٪ .

جدول رقم (٢):

تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر لبعض الدول الإسلامية
في الفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٤ م وإجمالي التدفقات للدول النامية

(القيمة بالمليون دولار)

البلد	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤
الجزائر	١٠٦٥	٦٣٤	٨٨٢
مصر	٦٤٧	٢٣٧	١٢٥٣
ليبيا	١٤٥	١٤٣	١٣١
المغرب	٤٨١	٢٣١٤	٨٥٣
السودان	٧١٣	١٣٤٩	١٥١١
تونس	٨٢١	٥٨٤	٦٣٩
بنين	١٤	٤٥	٦٠*
بوركينا فاسو	١٥	٢٩	٣٥*
غينيا	٣٠	٧٩	١٠٠*
غينيا بيساو	٤	٤	٥*
مالي	٢٤٤	١٣٢	١٨٠*
موريتانيا	١١٨	٢١٤	٣٠٠*
النيجر	٢	١١	٢٠*
نيجيريا	٢٠٤٠	٢١٧١	٢١٢٧*
السنگال	٧٨	٥٢	٧٠*
سيراليون	٢	٣	٥
جيبوتي	٤	١١	٢٣*
إريتريا	٢٠	٢٢	٣٠*
موزمبيق	٣٤٨	٣٣٧	١٣٢*
الصومال	..	..	٩*
أوغندا	٢٠٣	٢١١	٢٣٧
البحرين	٢١٧	٥١٧	٨٦٥*
إيران	٥٤٨*	٤٨٢*	٥٠٠*
العراق	(٢)	٥*	٣٠٠*
الأردن	٦٤	٤٢٤	٦٢٠

تابع جدول رقم (٢)

٢٠٠٤	٢٠٠٣	٢٠٠٢	البلد
-٢٠	-٦٧	٧	الكويت
٢٨٨-	٣٥٨	٢٥٧	لبنان
-١٨	٥٢٨	٢٦	عمان
..	..	*(٥)	فلسطين
٦٧٩*	٦٢٥*	٦٢٤	قطر
١٨٦٧	٧٧٨	٤٥٣	السعودية
١٢٠٦	١٠٨٤	١٠٣٠	سوريا
٢٧٣٣*	١٧٥٣*	١٠٦٣*	تركيا
٨٤٠*	٣٠*	١٣٠٧*	الإمارات
-٢١*	٦*	١٠٢*	اليمن
١*	٢*	١*	أفغانستان
٤٦٠*	٢٦٨	٥٢	بنجلادش
٩٥٢	٥٣٤	٨٢٣	باكستان
١٠٣	٢٠٠٩	١٠٣٥	بروناي
١٠٢٣	-٥٩٧	١٤٥	اندونيسيا
٤٦٢٤*	٢٤٧٣	٣٢٠٣	ماليزيا
٤٢٦*	١٧٨	١٣٥	ألبانيا
٤٩٧*	٣٨١	٢٦٥	البوسنة والهرسك
٤٧٦٩*	٣٢٨٥	١٣٩٢	أذربيجان
٤٢٦٩*	٢٠٨٨	٢٥٩٠	كازاخستان
٧٧*	٤٦	٥	كارجستان
٢٧٢*	٣٢	٣٦	تاجيكستان
١٥٠*	١٠٠	١٠٠	تركمنستان
١٤٠*	٧٠	٦٥	أوزبكستان
٢٣٢٢٢٧	١٦٦٢٢٧	١٥٥٥٢٨	إجمالي الدول النامية

المصدر: UNCTA 2005 Worl Investmen Repor Transnationa Corporatio and Th Internation-

alizatio O Transnationa Corporations Unite Nations.NewYor an Geneva,2005

جدول رقم (٤)
مؤشرات ترتيب الدول من حيث
تدفقات الاستثمار الأجنبي إلى الداخل الفعلية والقدرة المحتملة

البلد	فعلي					القدرة المحتملة			
	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣
ألبانيا	٨٥	٦٧	٥٥	٥٠	٤٢	١٠١	٩٥	٧٨	٨٠
الجزائر	١١٠	١٠٣	٩٦	٩٢	٩٥	٨٢	٧٧	٧٤	٧١
أذربيجان	١٠	٣٥	١٣	٣	١	١٢٤	١٠٧	١٠٠	٨٢
البحرين	٤٣	٥٥	٧٥	٥٦	٢٧	٣٣	٣٠	٢٨	٢٩
بنجلادش	١٢٥	١٢٧	١٢٧	١٣٢	١٢٢	١٠٧	١١٧	١١٣	١١٥
بنين	٩٥	٨٧	٩٧	١٠١	٩٧	١٣٤	١٣٣	١٣٣	١٣٤
بروناي	٧	٧	٥	٢	٣	٣٧	٧٢	٤٤	٤٥
بوركينافاسو	١٢١	١٢٤	١٢٢	١٢١	١١٥	١٢٧	١٢٨	١٢٩	١٢٩
الكاميرون	١٣٤	١٣٣	١٣٦	١٣٧	١٣٧	١١٦	١١٤	١١١	١١٠
الصين	٥٢	٥٧	٥٠	٤٢	٤٥	٤٤	٤٤	٤١	٣٨
مصر	١٠٦	١١٢	١١٦	١٢٤	١٠٨	٧٠	٧٢	٧٣	٧٥
غينيا	١١٢	١١٦	١٢٤	١٠٤	٨٥	١١٩	١١٩	١١٩	١٢٤
جيانا	٢١	١٩	١٩	٢٨	٣١	٧١	٧٣	٨٦	٩٤
اندونيسيا	١٣٨	١٣٨	١٣٩	١٣٩	١٣٦	٧٧	٨٢	٨٧	٩١
إيران	١٣٣	١٣٢	١٣٢	١٣١	١٣٠	٥٧	٥٩	٥٩	٥٧
الأردن	٣٧	٥٠	٥٧	٧٩	٤٨	٦٠	٦٠	٦١	٦٠
كازاخستان	٢٣	١٣	١١	٧	١١	٨٤	٧٤	٦٤	٥٩
الكويت	١٢٩	١٣٤	١٣٧	١٣٨	١٣٨	٣١	٣١	٣٨	٤١
كيرجستان	٦٦	١٠٨	١٣٤	١٠٥	٧٧	١١٧	١١٨	١٢٠	١١١
لبنان	١٠١	٩٩	٩٨	٩١	٩٠	٤٩	٥٧	٦٠	٦٤
ليبيا	١٣٥	١٣٥	١٣١	١٣٣	١١٦	٤٢	٣٦	٣٧	٣٤

تابع جدول رقم (٤):

القدرة المحتملة				فعلي					البلد
٢٠٠٣	٢٠٠٢	٢٠٠١	٢٠٠٠	٢٠٠٤	٢٠٠٣	٢٠٠٢	٢٠٠١	٢٠٠٠	
٣٥	٣٢	٣٢	٣٠	٥٦	٧٧	٧٤	٧١	٥١	ماليزيا
١١٢	١١٦	١٢٢	١١١	٣٧	٣٣	٣٣	٨٠	١٠٥	مالي
٨٧	٩٢	٩٢	٩٥	٦٥	٣٥	٥٩	٥٤	١٠٠	المغرب
٩٨	١٠١	١١١	١٢٠	٢٣	١٢	٢١	٢٣	٢٧	موزمبيق
١٣٠	١٢٨	١٢٩	١٢٣	١٢٨	١٢٣	١٢٣	١٢٢	١٣٠	النيجر
٩٧	٩٧	٩٠	٩٠	٤٤	٤١	٦٠	٧٢	٨٢	نيجيريا
٥٣	٥٢	٥١	٥٥	١١٠	٩٣	١١٥	١١٣	١٢٦	عمان
١٢٥	١٢٧	١٣١	١٣٠	١٠٢	١١٣	١١٨	١٢٠	١١٧	باكستان
٧	٦	١٣	١٨	٦٣	٦٦	٨٦	١٠١	٩٧	قطر
٣١	٣١	٢٩	٢٨	١٢١	١٣٠	١٣٠	١٣١	١٣٢	السعودية
١٠٧	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠١	١١٠	١٠٥	٩٣	٩٠	السنغال
١٣٩	١٣٩	١٤٠	١٤٠	١٣١	١٢٦	٨٨	٨٦	٩١	سيراليون
١١٦	١١٨	١٢١	١٢٥	١٨	٢٤	٤١	٥٨	٦٢	السودان
٨٨	٨٥	٩١	٨٩	١٤٠	١٤٠	١٤٠	١٤٠	١٤٠	سورينام
٩٥	٩٣	٨٥	٨٣	٣٩	٤٣	٤٧	٥١	٥٧	سوريا
١٢٧	١٣٤	١٣٧	١٣٧	١٩	٨٧	٨٥	٩٤	٨٨	تاجيكستان
٦٧	٦٨	٦٨	٦٩	٦٧	٦٤	٦٤	٧٨	٦٩	تونس
٧٢	٧٠	٧٩	٧٣	١١١	١٠٦	١١٠	١١١	١٢٤	تركيا
١٠٨	١٠٢	١٠٥	١٠٣	٥٤	٦٠	٦٩	٧٩	٨٠	أوغندا
٢٢	٢٢	٢٢	٢٣	١٠٤	٩٥	١٠٧	١٣٦	١٣٦	الإمارات
١١٧	١٢١	١٢٤	١٢١	١٠٥	١١٤	١٢٠	١١٨	١١٥	أوزبكستان

UNCTA (2005 World Investment Report Transnational Corporations and

المصدر:

The Internationalization of Transnational Corporations United Nations, New York and Geneva, 2005

ويعرض الجدولان أرقام (٤) و (٥) مؤشرات أداء الدول الإسلامية فى مجال اجتذاب الاستثمارات الأجنبية المباشرة وهو يقارن بين الأداء الفعلى والقدرات المتوقعة للدول الإسلامية خلال الفترة ٢٠٠١ - ٢٠٠٤، ويعكس هذا الجدول التفاوت بين المحقق والمقدر فى أغلب الدول الإسلامية والذي أبرزه تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTA حيث أشار إلى أن ٣٩٪ من الدول الإسلامية الداخلة فى المقارنة كان أدائها أقل كثيراً من الممكن Unde Performer وأن ٢٢٪ منها حققت أقل من المتوقع Belo Potentia، فى حين حقق ٢٧٪ أداء يتجاوز المتوقع و ١٢٪ نجحت فى أن تكون فى مقدمة الدول الجاذبة للاستثمار الأجنبى المباشر عام ٢٠٠٣^(١).

جدول رقم (٥)

مؤشرات ترتيب الدول الإسلامية من حيث
تدفقات الاستثمار الأجنبى إلى الداخل والقدرة المحتملة

ارتفاع مستوى الاستثمار الأجنبى		انخفاض مستوى الاستثمار الأجنبى
ارتفاع القدرة المحتملة على جذب الاستثمار	المتقدمون البحرين - بروناى - كازخستان قطر - تونس	أقل من الإمكانيات إيران - الأردن - الكويت - لبنان - ليبيا - ماليزيا - عمان - السعودية الإمارات
انخفاض القدرة المحتملة على جذب الاستثمار	أقل من الإمكانيات ألبانيا - أذربيجان - جامبيا - جيانا - المغرب - موزمبيق - نيجيريا - السودان - سوريا - أوغندا	متأخرون الجزائر - بنجلادش - بنين - بوركينافاسو - الكامبيون - مصر - جيانا - اندونيسيا - كرجستان - النيجر - باكستان - سيراليون - تاجيكستان - تركيا - أوزبكستان - اليمن

المصدر : UNCTA (2005 World Investment Report Transnational Corporations and the Internationalization of Transnational Corporations United Nations, New York and Geneva, 2005)

(1) UNCTA (2005 World Investment Report Transnational Corporations and the Internationalization of Transnational Corporations United Nations, New York and Geneva, 2005)

ومن ناحية أخرى فإن البيانات المتاحة عن المشروعات الجديدة gree fiel كما هو موضح في الدول رقم (٦) والتي أنشئت عن طريق الاستثمار الأجنبي المباشر تشير إلى التواضع الكبير في نصيب الدول الإسلامية من هذه المشروعات والتي بلغ إجماليها في الدول الإسلامية عام ٢٠٠٤ عدد (٧٥٩) مشروع تمثل نسبة ١٦٪ من إجمالي المشروعات التي أقيمت في العالم النامي في ذات العام والتي تصل إلى ٤٧٥٨ مشروعاً. كما تبلغ عدد مشروعات الدول الإسلامية في مرحلة التحول الاقتصادي ١٠٣ مشروع تمثل ١١٪ من إجمالي المشروعات في الدول التي تمر بذات المرحلة.

جدول رقم (٦)

المشروعات الجديدة في الدول الإسلامية في الفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٤

البلد	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	البلد	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤
الجزائر	١٥	٢١	١٩	الأردن	٤	١٥	١١
مصر	٢٣	٤٠	٣٢	الكويت	٤	٧	١٩
ليبيا	٢	٤	٧	لبنان	٨	٢٠	٢٣
المغرب	٢٣	٣٥	٣٢	عمان	١٠	١١	١٤
السودان	٣	١٠	٥	قطر	١٤	٢٢	٢٦
تونس	٨	١٥	٩	السعودية	٢١	٣٢	٣٧
بنين	..	١	..	سوريا	٢	٨	٦
بور كينا فاسو	..	١	١	تركيا	٤٦	٦٩	٦٤
غينيا	٤	٢	٣	الإمارات	٨٨	١٤٦	١٥٦
غينيا بيساو	..	١	..	اليمن	٢	٦	٤
موريتانيا	١	٢	١	أفغانستان	٢	٦	٤
النيجر	..	١	..	بنجلاديش	٩	١٧	٧
نيجيريا	١٧	٢٥	١٨	باكستان	١٣	٢٣	١٧
السنغال	٢	٢	٣	بروناي	١	٢	٢
سيراليون	..	٤	..	اندونيسيا	٣١	٦٠	٥٩
الكامeroon	٢	١	١	ماليزيا	٧٩	١٨٣	١٢٥
تشاد	١	..	..	ألبانيا	١٢	١٠	٧
إريتريا	..	١	١	البوسنة والهرسك	١٥	٢٨	١٨
موزمبيق	٢	٥	٤	أذربيجان	٩	٢٥	٢٥
الصومال	..	..	١	كازاخستان	٦	٣٦	٣٠
أوغندا	٢	٥	٥	كارجستان	..	٦	١
البحرين	٢٤	٢٤	١٥	تاجيكستان	..	٦	٤
إيران	١٠	٢٩	٢٣	تركمنستان	٥	١٣	٣
العراق	..	٣٢	٥	أوزبكستان	١٩	٣٠	١٥
إجمالي الدول النامية				٢٣٥٥	٤٤٤٦	٤٧٥٨	

المصدر: UNCTA (2005 World Investment Report Transnational Corporations and

The Internationalization of Transnational Corporations United Nations, New York and Geneva, 2005

وتؤكد البيانات المتاحة عن نسبة التكوين الرأسمالي الثابت للدخل المحلى الإجمالى لعديد من الدول الإسلامية خلال الفترة من ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ عن تراجع هذه النسبة^(١).

وهو ما يتفق بصورة عامة مع ما تشير إليه البيانات التى عرضت من المشروعات الجديدة التى ساهم بها الاستثمار الأجنبى المباشر فى هذه الدول، وعن التوجهات التى لا تدعم التراكم الاستثمارى السائد فيها. فى الوقت الذى حققت فيه دول أخرى معدلات تفوق المتوسطات العامة للدول النامية بل وبعض الدول المتقدمة.

ويؤكد هذا كله أن مجال التوظيف الاستثمارى المباشر فى الدول الإسلامية قادر على استيعاب نسب متزايدة من الفوائض المالية التى يتجه جانب غير قليل منها للتعامل فى أسواق المال الثانوية سواء فى الدول المتقدمة أو الأسواق الناشئة على حد سواء وأن ٣٩٪ من هذه الدول قد استطاعت أن تنضم لقائمة الدول الأكثر نجاحاً فى جذب الاستثمار المباشر بالفعل لعام ٢٠٠٣ وأن المجال متاح لسد الفجوة بين المحقق والمتوقع فى ٢٢٪ من هذه الدول على الأقل.

٣- التطورات المعاصرة فى مجال الصناعة المالية الإسلامية

مع تزايد وعى المسلمين بالتحديات العالمية المعاصرة والشعور بضرورة تأكيد هويتهم الحضارية المنبثقة من المفاهيم والقواعد الإسلامية فقد تنامت الصناعة المالية الإسلامية خلال السنوات القليلة الماضية بمعدلات نمو تفوق تلك المحققة فى الصناعة المالية على مستوى العالم .

ودون دخول فى تفاصيل كثيرة فإن المؤسسات المالية الإسلامية والتى بدأت خطواتها الفعلية المتواضعة فى السبعينات - أنشئ بنك دىبى الإسلامى فى عام ١٩٧٥م - فى البلدان الإسلامية وقد وصل عددها إلى ٢٨٤ مؤسسة تعمل فى ٣٨ دولة إسلامية وغير إسلامية ويصل حجم الأصول التى تديرها إلى ما يقرب من ٢٠٠ بليون دولار^(٢). وفى ذات الوقت يقدر حجم الودائع فى التوافذ الإسلامية فى البنوك التقليدية برقم مماثل.

1 - world Bank 2004 world Development Indicators CD-ROM

2 - Ishrat Hussein 2006 The Evolution of Islamic Finance: Sustaining Global Growth, speech Presented at a conference on "organized by oxford Islamic finance and dr Al- Isuthmar in Ditchly park Oxford United King doom "

ومن ناحية أخرى فإن صناديق التوظيف والاستثمار التي تخضع عملياتها لهيئات رقابة شرعية إسلامية قد وصل عددها إلى حوالي ٢٥٠ صندوقاً على مستوى العالم تدير أصولاً تصل إلى ٣٠٠ بليون دولار أمريكي^(١) في حين لم يتجاوز عددها عام ١٩٩٤ ثلاثة عشر صندوقاً وقدّر حجم الأصول التي تديرها عام ٢٠٠٣ بـ ٣,٦ بليون دولار^(٢)، ولعل أحدث التطورات لفتاً للأنظار هو إصدار صكوك تلزم ضوابط شرعية من جهات حكومية وشركات أعمال وصل عددها إلى ٣٧ إصداراً بقيمة تصل إلى ٨ بليون دولار أمريكي.

ويقدر بصورة عامة أن الصناعة المالية الإسلامية بمختلف روافدها تدير ما يصل إلى حوالي ٨٠٠ بليون دولار على مستوى العالم وبمعدل نمو سنوي متوقع خلال الفترة القادمة يتراوح بين ١٠-١٥٪^(٣). وغنى عن القول أن ما يوجه للصناعة المالية الإسلامية إنما يمثل جانباً من الفوائض المالية المتاحة في العالم الإسلامي وربما ليس جانبه الأكبر^(٤).

ويلخص الجدول رقم (٧) توزيع صناديق تملك الأسهم Equit Fund بين الدول المختلفة ويلاحظ أن هذا الجدول لا يضم الصناديق التي تعمل في مجال سوق العملات Currenc Fund- أو الصناديق التي تعمل في مجال التجارة Tradin Funds ورغم التركيز الكبير للصناديق في المملكة العربية السعودية إلا أن الشيء الواضح هو التواجد ليس في الدول الإسلامية فحسب بل في قارات العالم باستثناء استراليا وأمريكا الجنوبية.

ولعل التساؤل المطروح هو: إلى أي مدى أسهمت هذه المؤسسات والصناديق في عمليات التنمية الاقتصادية في البلدان الإسلامية وبما يتفق مع الرؤية الإسلامية للمال باعتباره أداة للتنمية وباعتبار مسئولية الاجتماعية في تحقيق الرفاهية لملاكه المباشرين والمجتمع الإسلامي ككل. ورغم عدم وجود إحصاءات تحليلية محدثة ودقيقة عن مجالات التوظيف التي اتجهت إليها الصناعة المالية الإسلامية خلال العقود الماضية وحتى السنوات القريبة ٢٠٠٢/٢٠٠٣ فإن الدراسات المتاحة تشير إلى الأنماط التالية :

- 1 - Ishrat Hussein 2006 The Evolution of Islamic Finance: Sustaining Global Growth, speech Presented at a conference on "organized by oxford Islamic finance and dr Al- Istithmar in Ditchly park Oxford United King doom
- 2 - Ishrat Hussein 2006 The Evolution of Islamic Finance: Sustaining Global Growth, speech Presented at a conference on "organized by oxford Islamic finance and dr Al- Istithmar in Ditchly park Oxford United King doom
- 3 - Ishrat Hussein 2006 The Evolution of Islamic Finance: Sustaining Global Growth, speech Presented at a conference on "organized by oxford Islamic finance and dr Al- Istithmar in Ditchly park Oxford United King doom

(٤) تقدر بعض الدراسات أن رؤوس الأموال النازحة من منطقة الخليج تصل إلى ٨٠٠ بليون دولار

الدولة	عدد الصناديق
المملكة العربية السعودية	٦٩
ماليزيا	٢٠
الإمارات العربية المتحدة	١٦
المملكة المتحدة	١٠
الولايات المتحدة الأمريكية	١٠
البحرين	٩
الكويت	٨
سنغافورة	٧
قطر	٤
سويسرا	٢
جنوب أفريقيا	٢
كندا	٢
ألمانيا	١
بروناي	١
أيرلندا	١

المصدر: www.failaka.com

إن الجانب الرئيس من توظيفات البنوك الإسلامية اتجه إلى تمويل التجارة والنشاط قصير الأجل باستخدام صيغة المرابحة للأمر بالشراء وهو ما يسهم في تنشيط الدورة الاقتصادية لكن لن يؤدي بذاته لإحداث تغيرات ذات طابع هيكلي في اقتصاديات الدول الإسلامية والذي يرتبط بدوره بصيغ المشاركة على تعددها وغيرها من الصيغ التي ترتبط مباشرة بالنشاط الإنتاجي في آجاله الزمنية المتنوعة.

فيما يتعلق بالصناديق المتوائمة مع الشريعة الإسلامية فقد اتجه معظمها وباستثناءات قليلة للتعامل في أسواق الأوراق المالية - مع الالتزام بضوابط شرعية مثل استبعاد

الأوراق التى تخص الأنشطة المحرمة إسلامياً أو التى يسود الشركات العاملة فى غيرها التمويل الربوى وفى ذات الوقت اتجه جانب منها كذلك لتمويل أنشطة مباحات واتسم التوزيع الجغرافى لهذه التوظيفات بالتركيز الشديد فى أسواق الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية واليابان وبعض الأسواق الناشئة فى جنوب شرق آسيا ويتوجه نحو أوراق مالية فى قطاعات بذاتها مثل قطاع تكنولوجيا المعلومات وكان نصيب البلاد الإسلامية فى هذه المحافظ ضئيلاً^(١).

واتسمت التوظيفات فى تلك الفترة كذلك باتجاهات إلى ذوى اليسار Credi Wort من المستثمرين الأفراد مع توجيه اهتمام قليل للمستثمرين ذوى القدرات المتوسطة والبسيطة^(٢). وشهدت السنوات القليلة الماضية توجهات ينبغى تدعيمها فى مجال توظيفات البنوك والصناديق الإسلامية والصناعة المالية الإسلامية عموماً يمكن إيجازها فيما يلى:

- * توجيه الاستثمار إلى قطاعات البنية الأساسية وإنشاء صناديق خاصة فى بعض البلاد الإسلامية لهذا الشأن فضلاً عن مشاركة البنوك الإسلامية فى هذا الشأن.
- * بدء نشاط إصدار صكوك التمويل والتى تتيح مع الالتزام بالضوابط الشرعية الفرصة الحقيقية لتفعيل عديد من الصيغ الشرعية المرتبطة بالنشاط الإنتاجى.
- * تزايد نسب التوظيف فى أسواق المال فى البلاد الإسلامية ذاتها نتيجة التطور المستمر فى هذه الأسواق.

٤- ما المطلوب فى المرحلة القادمة:

دونما مخاطرة بالدخول فى مجال الأمنيات أو الأحلام الطيبة وفى نطاق البناء على ما تم وتعظيم الاستفادة من البنية المتاحة فى الصناعة المالية والإسلامية وامتدادها الجغرافى وتنوع موارد ونمو أسواق العالم الإسلامى فإن المطروح لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة للدول الإسلامية يمكن إيجازه فيما يلى:

1 - Osman Ahmed 2001, Islamic Equity Funds: The Mode Of Resource Mobilization and placement. Islamic development Bank, Islamic Research and Training Institute, Background paper, pp57

2 - Osman Ahmed 2001, Islamic Equity Funds: The Mode Of Resource Mobilization and placement. Islamic development Bank, Islamic Research and Training Institute, Background paper, pp58

أولاً: تحقيق درجات متزايدة من توظيف الفوائض المالية الإسلامية في أنشطة إنتاجية مباشرة داخل هذه الدول بما يؤدي لنمو الإنتاج واتساع الأسواق وبصورة تسمح بمزيد من درجات التكامل الإنتاجي والتجاري بين هذه الدول آخذين في الاعتبار مواقعها الجغرافية وتكاليف النقل .

ثانياً : الاستثمار المباشر أو التملك والاستحواذ الكلى أو الجزئى لأنشطة ومجالات في الدول المتقدمة -تتصف فضلاً عن مشروعيتها - بإمكانيات تعميق المعرفة الفنية في الدول الإسلامية أو التكامل الإنتاجي مع أنشطتها أو تتيح فرصاً لزيادة نصيب صادرات الدول الإسلامية لتلك الدول أو خفض تكلفة وارداتها.

ثالثاً : توجيه مزيد من التمويل للفرص الاستثمارية المدروسة داخل الدول الإسلامية في قطاعات النشاط الصغير والمتوسط حيث تعاني هذه القطاعات من قصور التمويل وتحتاج لتوظيف الصيغ الإسلامية مثل المضاربة والاستصناع والمشاركات المتناقصة وغيرها لتنميتها.

رابعاً : تنوع قاعدة النشاط الاقتصادي الذي يتم توظيف فائض بعض الدول فيه بما يتسع لأنشطة أخرى ذات ربحية متوقعة جيدة بالإضافة للنشاط العقاري الذي يسود توجيهات جانب هام من توظيفات الفوائض لبعض الدول حالياً.

خامساً : إنشاء صناديق تخصص في عمليات رأس المال المخاطر وذات رؤس أموال تسمح لها بالدخول بفاعلية في عمليات الخصخصة الدائرة حالياً في الدول الإسلامية .

سادساً : قد يقترح أن يتم تشكيل كيان منبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي أو غيرها من الكيانات الإسلامية الدولية يتولى إعداد دراسات عن فرص الاستثمار في الدول الإسلامية وتقديم نماذج للمشروعات الناجحة ويكون نقطة اتصال لعرض المشروعات الإنتاجية المطروحة للخصخصة أو التي في حاجة لإعادة هيكلة وقد يتولى هذا الكيان عمليات التسويق على أسس اقتصادية لهذه الفرص بحيث

يتوافر له التمويل الذاتى ويحقق فائضا يمكن أن يسهم به كنواة استثمارية لبعض المشروعات التى يتولى الترويج لها على غرار هيئة التمويل الدولى IFC. وفى هذا كله فإنه لابد من التأكيد على أهمية الالتزام بمعايير الأداء الاقتصادى السليم وبما يحقق التوازن المنشود بين صالح المستثمر الفرد والمؤسسى وصالح المجتمع الإسلامى ككل.

obeikandi.com

التجربة الإسلامية في تمويل التعليم

"الوقف أنموذجاً"

د / عليان عبد الله الحولي (*)

أ / لينا زياد صبيح (**)

المقدمة:

لعب الوقف في المجتمع الإسلامي، دوراً مهماً في نهضة الدعوة الإسلامية العلمية، وفي نهضة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، فقد قدم جميع أنواع الخدمات التعليمية من إنشاء مؤسسات تعليمية ومكتبات ومساكن للطلاب والخدمات الصحية، كما نشأت كثير من المؤسسات الجامعية العربية العريقة اعتماداً على المال الخاص الذي كان يقدم في شكل أوقاف، كجامعة الأزهر الشريف في مصر، وجامعة القرويين بفاس، وجامعة الزيتونة في تونس، وجامعة النظامية في العراق.

والدارس للحضارة الإسلامية، يقف معجباً كل الإعجاب بدور الأوقاف في الإسهام في صناعة الحضارة الإسلامية، والنهضة الشاملة للأمم، وإن من يقرأ تاريخ الوقف ليجد أنه شمل مختلف جوانب الحياة من الجامعات والمستشفيات إلى الأوقاف الخاصة بالحيوانات (مثل خيول الجهاد) التي لم تعد صالحة للاستعمال فحيثئذ تحال إلى المعاش وتصرف لها أعلافها وما تحتاج إليه من هذه الأوقاف... إلى الأوقاف على الأواني التي تنكسر بأيدي الخادومات فيجدر بدائل عنها في مؤسسات الوقف. (داغي، ٢٠٠٣).

ويحدث تاريخ المسلمين أنه كانت هناك مدارس ومؤسسات تعليمية شهيرة في بغداد ودمشق وطرابلس وبيروت والقاهرة وعكا والقدس ونيسابور وخراسان وغيرها، ازدهرت وعلا شأنها، واستقطبت الطلبة والمدرسين، دوغوا إرهاباً للطلبة بمصاريف

(*) أستاذ أصول التربية المشارك بكلية التربية / الجامعة الإسلامية - غزة.

(**) محاضر غير منتفخ بكلية التربية / الجامعة الإسلامية - غزة.

التعليم، أو إراقة لماء وجوه المعلمين بحجب مستلزمات معيشتهم ونفقات استزادتهم من العلم، وتركهم يلهثون طلباً لما يسد حاجاتهم، فقد كانت تخصص الأموال اللازمة للطلبة والمدرسين لمعيشتهم وسكناتهم وطعامهم وغير ذلك (عابدين، د.ت)، وذلك من أموال الأوقاف، فقد كانت هناك أوقاف عديدة موقوفة على أعمال البر والإحسان، وعلى التعليم في المساجد والخوانق والأربطة والمدارس والزوايا، وقد اهتم أمراء المسلمين، وسلاطينهم بالتعليم، فوقفوا عليه أوقافاً كثيرة من أراض وأملاك. وسار على نهجهم ونهج من سلفهم عدد كبير من المسلمين، علماء وملاك، فوقفوا الأراضي والأملاك والأموال والكتب على طلبة العلم ومعلميه ومؤسساته.

وقد نال هذا الموضوع اهتمام كثير من الباحثين فهناك من حاول توضيح الآثار الاجتماعية للوقف كدراسة السدحان (د.ت)، وهناك من استعرض دور الوقف في العملية التعليمية كدراسة المعيلي (د.ت)، وقد عقدت ندوات إقليمية، لبحث قضية الوقف فقد عقدت في المغرب في عام ١٩٨٣م ندوة بعنوان مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي، وعقد البنك الإسلامي للتنمية في المملكة العربية السعودية، في عام (١٩٩٤) ندوة عن إدارة وتثمين ممتلكات الأوقاف.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع تاريخ التعليم، والوقف على المستويات المحلية، والإقليمية منها:

- دراسة عيسى (١٩٨٠) التي تناولت تاريخ التعليم في أسبانيا (الأندلس)، والتي خلصت إلى أن المسلمين في الأندلس اهتموا بالتعليم، وأن الدولة قامت من جانبها بتوفير التعليم المجاني لأبناء الفقراء، وقد أنشأت (٢٧) مكتبا في قرطبة وحدها، وأوقفت حوانيت السراجين ليدفع منها مرتبات المعلمين، وقد كان مستوى المعلمين الاقتصادي والاجتماعي عاليا.

- ودراسة النباهين (١٩٨١) التي هدفت إلى الكشف عن الفكر التربوي في عصر

دولة الممالك في مصر والتعرف على نظام التربية في العصر المملوكي، وقد أوضحت الدراسة أن الفكر التربوي في العصر المملوكي فكر أصيل؛ لأنه كان يدور في إطار الأيدلوجية الإسلامية بمفهومها الواسع. وأن إدارة التعليم وتمويله في العصر المملوكي كانت قائمة على الجهود الذاتية حيث كانت الأوقاف هي المصدر الرئيس لتمويل المؤسسات التعليمية من كافة الجوانب.

أما دراسة ظاهر (١٩٩٠) فكان الهدف منها إبراز الدور التربوي التعليمي الذي أنيط بمدارس بيت المقدس في العصر الأيوبي، والبحث في نشأة المراكز العلمية، والمعاهد، والمناهج التربوية، والأهداف التربوية، وأوضاع الشيوخ والمعلمين، والطلبة وواجباتهم، ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة إسهام بيت المقدس في التقدم العلمي في العصور الوسطى بمدارسها وشيوخها ومؤلفاتها، ومشاركة فئات المجتمع جميعها في الحركة العلمية التي استمدت تمويلها ونظمها من الوقف.

وقد أجرى المشقيح (٢٠٠٢) دراسة حول "الأوقاف في العصر الحديث كيف نوجهها لخدمة الجامعات وتنمية مواردها، كان من أهم نتائجها: ثبوت شرعية الوقف بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

تسابق المسلمون حكاما ومحكومين منذ القرن الأول على تحجيس الأموال على العلم وما يتعلق بنشره من مدارس ومعاهد ومكتبات وغير ذلك، الإفادة من الأوقاف المنقطعة في دعم العلم، السبل الشرعية لتوجيه الأوقاف في دعم الجامعات كثيرة منها ما هو في ميدان الدعوة ومنها ما هو في ميدان الاقتصاد.

كما أعد السدحان (د.ت) دراسة، الهدف منها توضيح الأثر الاجتماعي للوقوف، ودور الأوقاف في حياة المجتمعات الإسلامية على مر العصور السابقة، وقدمت الدراسة تصورا عمليا لكيفية إعادة الأثر الفعال للوقف في مجال الرعاية الاجتماعية حيث اقترحت ضرورة تنفيذ حملة إرشاد وتوعية لإبراز قيمة الصدقات وأجر الإنفاق في سبيل الله، وضرورة إبراز الدور الاجتماعي للوقف ودوره في النهضة الإسلامية.

- وقد قدمت المفتى (د.ت) دراسة بهدف التعرف على دور الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية والتعليمية بالمدينة المنورة، عددت فيها الباحثة مجموعة من الأوقاف فى المدينة المنورة فقد بلغت المواقع الموقوفة للمسجد النبوى (٤٣٤) موقعاً، وعدد المواقع التابعة لأوقاف خيرية أخرى (٣٧٨) موقعاً، وأوضحت الدراسة أن المدرسين والعلماء قد حظوا باهتمام المتبرعين بالأوقاف وخاصة الذين لا يتقاضون رواتب من الدولة واتضح أيضاً من خلال الدراسة أن هناك بطناً أو جموداً فى إنشاء أوقاف جديدة للعلماء والمدرسين، وأرجعت الدراسة السبب فى ذلك إلى عدة عوامل أهمها (اهتمام الدولة بالإنفاق على التعليم العام وافتتاح المدارس والمعاهد وتخصيص رواتب للمدرسين والعلماء المعيّنين فى المسجد النبوى وأيضاً قلة الوعي بأهمية الوقف على تطوير الحركة العلمية والإثقال على الدولة وأوضحت الدراسة بأن المملكة العربية السعودية تحاول جاهدة إلى إعادة إحياء هذه السنة وذلك من خلال مشروع الكراسى العلمية الذى تبنته جامعة الملك عبد العزيز وفكرة هذا المشروع كما تراه الباحثة لا تخرج عن فكرة الأوقاف.

- وقام المعيلى (د.ت) بدراسة استعرض خلالها الدور الرائد للوقف فى التعليم، وفى صناعة الحضارة الإسلامية، وأثر الوقف فى نشر التعليم، والمجالات التى كان يوقف عليها قديماً، وقدمت الدراسة تصوراً مقترحاً للآلية التى يمكن من خلالها تفعيل الوقف فى العملية التعليمية، ذلك من خلال نشر الوعي بين أفراد المجتمع بأهمية الوقف على التعليم، وإظهار الدور الرائد الذى أسهم فيه الوقف فى تطور وتقديم المجتمع الإسلامى، وقد أوصت الدراسة بضرورة دراسة تجارب بعض الدول الإسلامية فى مجال الوقف والاستفادة منها بما يحقق المصلحة العامة، والفائدة المرجوة من الوقف.

يتضح من خلال استعراض الدراسات السابقة ما يلى:

- ١- أكدت الدراسات السابقة مدى اهتمام المسلمين بالتعليم.
- ٢- تعدد المؤسسات التربوية التى أنشئت فى العصور الإسلامية (كالمدارس، الخوانك، الزوايا، الروابط، اليمارستانات).

٣- أظهرت الدراسات السابقة الدور الاجتماعي الرائد للأوقاف.

٤- تتميز الدراسة الحالية بقيامها بتحليل مصادر تمويل المؤسسات التربوية التي أنشئت عبر العصور، وكذلك استطلاع آراء (١٠٠) من خطباء المساجد في محافظات غزة حول نقاط منها (أسباب تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم....).

ولما كان المجتمع الفلسطيني يعيش أزمة اقتصادية حقيقية أثرت على جميع مجالات الحياة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، التعليمية، الصحية)، وكان من أهم هذه المجالات تأثراً بالأزمة الاقتصادية المجال التعليمي، حيث من المعروف أن نجاح العملية التعليمية يعتمد على عدة عوامل، من أهمها المصادر المادية اللازمة لتمويل التعليم والإنفاق على جميع عناصر العملية التعليمية، كالمنهاج، والمعلم والمتعلم، والإدارة التعليمية، والتجهيزات التعليمية....، فلم تعد المصادر الحكومية كافية لتمويل التعليم؛ لذلك لا بد من البحث عن مصادر تمويلية مساندة لها، وذلك من خلال الرجوع إلى الجذور الأولى لتمويل التعليم في الفكر التربوي الإسلامي، والاستفادة من التجربة الإسلامية في تمويل التعليم، من هنا تبلورت مشكلة الدراسة:

في ضوء ما سبق نتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

• ما التجربة الإسلامية في تمويل التعليم؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما أهم مصادر تمويل التعليم في الإسلام؟

٢- ما واقع الوقف في فلسطين؟

٣- ما الاتجاهات والتجارب المعاصرة في استخدامات الوقف لصالح التعليم؟

٤- ما مدى الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم الفلسطيني؟

أهداف الدراسة:

١- الكشف عن أهم مصادر تمويل التعليم في الإسلام.

٢- الوقوف على واقع الوقف في فلسطين.

٣- استعراض أهم التجارب والاتجاهات المعاصرة في استخدامات الوقف لصالح التعليم.

٤- الكشف عن مدى الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم الفلسطيني.

أهمية الدراسة

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما يلي:

١- كونها محاولة للكشف عن أهم مصادر تمويل التعليم في الإسلام، وواقع الوقف في

فلسطين، واستعراضها لأهم التجارب والاتجاهات المعاصرة في تنمية موارد الوقف.

٢- يمكن أن يستفيد من نتائج الدراسة القائمون على التعليم في فلسطين (كوزارة التربية

والتعليم العالي)، والقائمون على الأوقاف (كوزارة الأوقاف والشئون الدينية).

٣- تفتح الدراسة الطريق أمام الباحثين التربويين والشرعيين، لإجراء المزيد من الدراسة

حول اقتصاديات التعليم.

حدود الدراسة:

الحد البشري: خطباء المساجد بمحافظات غزة والبالغ عددهم حوالي (٣٣٩) خطيباً.

الحد المؤسسي: مساجد محافظات غزة والبالغ عددها (٦٦٠) مسجداً.

الحد الزمني: تم تطبيق الاستبيان على أفراد عينة الدراسة في العام ٢٠٠٥م.

مصطلحات الدراسة

أ- الوقف:

عرف الوقف في الشرع عدة تعريفات، وأجمع تعريف له - كما رأى الفقهاء

المعاصرون - تعريف أبي زهرة وهو: "منع التصرف في ربة العين التي يمكن الانتفاع بها مع

بقاء عينها - وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً، وانتهاءً" (الأمين، ١٩٩٤: ١٠٤).

ب- تمويل التعليم:

يعرف أبو الوفا وزميله (٢٠٠٠، ٦٨) تمويل التعليم بأنه "مجموع الموارد المرصودة

فى إطار التعليم إلى المؤسسات التعليمية لتحقيق الأهداف التى يتعين تحقيقها، بالموارد المتاحة ، وإدارة هذه الأموال واستخدامها بكفاءة".

إجراءات الدراسة

تتكون الدراسة من قسمين :

القسم الأول: عبارة عن دراسة تحليلية لبعض كتب التاريخ الإسلامى (التي تناولت المؤسسات التربوية التى أنشئت فى العهود الإسلامية ببيت المقدس).

القسم الثانى: عبارة عن دراسة ميدانية.

أولاً: إجراءات الدراسة التحليلية:

تهدف الدراسة التحليلية إلى تحليل بعض كتب التاريخ الإسلامى للوصول إلى أهم مصادر تمويل المؤسسات التربوية التى أنشئت فى العهود الإسلامية فى بيت المقدس.

إجراءات الدراسة التحليلية

أ- منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة التحليلية المنهج التاريخى ، ويقصد به " المنهج الذى يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات مضت أو سادت ثم بادت، أو كانت وتطورت فاخفت صورتها الأولى، ولا يستطيع الباحث أن يتفاعل معها مباشرة" (الأغا، ٢٠٠٠: ٤٣)، وقد استخدم الباحثان أسلوب تحليل المحتوى وذلك لتحليل بعض كتب التاريخ التى تناولت المؤسسات التربوية التى أنشئت فى بيت المقدس.

ب- مجتمع الدراسة التحليلية:

تكون مجتمع الدراسة من جميع الكتب التى تناولت موضوع المؤسسات التربوية، التى أنشئت فى بيت المقدس.

ج- عينة التحليل:

تكونت عينة التحليل من بعض كتب التاريخ التى تناولت المؤسسات التى أنشئت فى بيت المقدس وهى :

أ- الأئمة الجليل في تاريخ القدس والخليل .

ب- معاهد العلم في الإسلام.

ث- أداة التحليل

تم إعداد بطاقة تحليل بهدف الكشف عن أهم مصادر تمويل المؤسسات التربوية في العهود الإسلامية، وتم تحليل المؤسسات التي أنشئت في بيت المقدس .

د- خطوات التحليل :

للتعرف على أهم مصادر تمويل المؤسسات التربوية التي أنشئت في العهود الإسلامية، رجع الباحثان إلى كتب التاريخ الإسلامي، والكتب التربوية التي تناولت المؤسسات التربوية، وتم اختيار الكتب سابقة الذكر (محددات التحليل) بناء على استشارة بعض المختصين من أساتذة التاريخ الإسلامي، والاطلاع على المصادر الأساسية والأدب التربوي. وبعد تحديد الكتب (عينة التحليل) قام الباحثان بقراءة هذه الكتب وتسجيل الفقرة التي ظهرت فيها الصيغة التمويلية وكتابتها في جداول .

هـ- صدق بطاقة التحليل

استدل الباحثان على صدق التحليل من خلال عرض نموذج من التحليل على مجموعة من المحكمين، مكونة من تسعة محكمين من أساتذة التربية، والتاريخ الإسلامي، وقد أوضح لهم هدف التحليل وفئاته الرئيسية، وتعريفاته الإجرائية، ووحدات وعينات التحليل، وطلب منهم الحكم على التحليل، وعمل ما يرويه مناسبة من حذف، أو إضافة، أو تعديل.

و- ثبات بطاقة التحليل،

لحساب ثبات التحليل استخدم معامل الثبات، حيث قام الباحثان بتحليل المادة موضوع الدراسة، ثم قاما بتفريغ نتائج تحليل كل كتاب على حدة في جداول لحساب نقاط الاتفاق والاختلاف للخروج بثبات الأداة لكل كتاب على حدة، وذلك باستخدام معادلة هولستي :

معامل الثبات = ٢ (متوسط الاتفاق بين المحكمين)

١ + (ن - ١) متوسط الاتفاق بين المحكمين

(عطيفة، ١٩٩٦: ٣٩٧)

حيث ن = عدد المحكمين

وعند تطبيق المعادلة السابقة وجد أن معامل ثبات تحليل الكتاب الأول كان (٩٥ ، ٠) ، ووصلت قيمة معامل ثبات تحليل الكتاب الثانى إلى (٩٤ ، ٠) ، هذه القيم فيها إشارة واضحة على ثبات التحليل.

ثانياً: إجراءات الدراسة الميدانية:

تهدف الدراسة الميدانية إلى تحديد مستوى ودرجة مساهمة بعض الأسباب فى تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، ومعرفة رأى الباحثين فى مدى قدرة وزارة الأوقاف فى تمويل التعليم، وتحديد مستوى ودرجة الاستفادة من بعض السبل الوقفية التى يمكن أن تتخذها وزارة الأوقاف فى تمويل التعليم، ومعرفة رأى الباحثين فى ماهية الوسائل والسبل التى يمكن لوزارة الأوقاف أن تتخذها لتعمل على تنمية المجتمع ...

إجراءات الدراسة الميدانية

أ- منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة الميدانية المنهج الوصفى التحليلى، ذلك للتعرف على واقع الوقف فى فلسطين، ومدى الاستفادة منه فى تمويل التعليم، ويقصد بالمنهج الوصفى التحليلى: "هو المنهج الذى يدرس ظاهرة أو حدثاً، أو قضية موجودة حالياً يمكن الحصول منها على معلومات تجيب عن أسئلة الدراسة دون تدخل الباحث فيها" (الأغا والأستاذ، ٢٠٠٠: ٨٣)، وقد تم التركيز فى دراسة الواقع على كل من:

١ - حجم الوقف فى فلسطين.

٢ - أسباب تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم.

ب- مجتمع الدراسة الميدانية:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع خطباء المساجد الذين يعملون بوزارة الأوقاف بمحافظة غزة والبالغ عددهم حوالي (٣٣٩) خطيباً.

ج- عينة الدراسة الميدانية

تتكون عينة الدراسة من حوالي (١٠٠) خطيب من خطباء المساجد العاملين بوزارة الأوقاف أي ما نسبته حوالي (٤, ٢٩٪) من أفراد المجتمع الأصلي.

د- أداة الدراسة الميدانية

في ضوء الأهداف التي تسعى الدراسة الميدانية إلى تحقيقها استخدمت الأداة التالية: استبيان موجه إلى أفراد عينة الدراسة والبالغ عددها (١٠٠) فرد، وقد تضمن الاستبيان ثلاثة محاور رئيسة هي:

المحور الأول: يتناول مدى الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم، وكيفية الاستفادة منها ويشتمل على:

سؤال مفتوح حول إمكانية الاستفادة في وقتنا الحالي من أموال الوقف في تنمية موارد التعليم في فلسطين في حالة تأييد ذلك طُلب من أفراد عينة الدراسة الإجابة على السؤال التالي أمامك مجموعة من السبل والوسائل، التي يمكن لوزارة الأوقاف أن تتخذها لتنمية موارد التعليم، برأيكم ما هي درجة الاستفادة من كل سبل من هذه السبل والتي تكون من مجالين: (سبل وقفية لصالح المؤسسات التعليمية، سبل وقفية لصالح الطالب (المتعلم)، والمعلم (الأساتذة). ويندرج تحت هذا المحور (١٨) بنداً.

وفي حالة الرفض طُلب من أفراد عينة الدراسة أن تذكر مبررات الرفض، مع ذكر حلول واقتراحات، والسبل والوسائل التي يمكن لوزارة الأوقاف والشئون الدينية أن تتخذها لتنهض من جديد، وتعمل على تنمية المجتمع بكافة مؤسساته (التعليمية والصحية، والثقافية...).

المحور الثاني: يتناول أسباب تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم ويشتمل على عدة

مجالات (دينية، سياسية، اقتصادية، ثقافية، إدارية، عائلية وخلقية). ويندرج تحت هذا المحور (٢٣) سببا.

المحور الثالث: سؤال مفتوح حول السبل والوسائل التي يمكن لوزارة الأوقاف والشئون الدينية أن تتخذها لتنمية المجتمع .

هـ- صدق الاستبيان؛

تم التحقق من صدق الاستبيان من خلال عرضه على مجموعة من المحكمين، المتخصصين في ميدان التربية والعلوم الشرعية، والبالغ عددهم (٩) محكمين، ذلك للحكم على مدى شموليته وصلاحيته في قياس ما وضع لقياسه، وقد اتفقت آراء المحكمين في معظم فقرات الاستبيان، واختلف في بعضها ومنهم من أضاف إلى فقراتها، وقد قام الباحثان بإجراء التعديلات التي أوصى المحكمون بإجرائها، من حذف بعض الفقرات، وإعادة صياغة بعض الفقرات، وقد اعتبرت موافقة المحكمين على فقرات الاستبيان بمثابة صدق الاستبيان.

و- ثبات الاستبيان؛

تم حساب ثبات أداة الدراسة باستخدام طريقة ألفا كرونباخ، حيث وجد أن معامل الثبات وصلت قيمته حوالي (٨٣,٠) وهي درجات ثبات مناسبة يمكن أن يطمئن إليها الباحثان.

ز- تطبيق الاستبيان؛

بعد التأكد من صدق وثبات الاستبيان وصلاحيته للاستخدام تم توزيعه على أفراد عينة الدراسة والبالغ عددها (١٠٠) فرد، وذلك في العام ٢٠٠٤/٢٠٠٥م، حيث طلب من أفراد العينة الإجابة عن كل فقرة من فقرات الاستبيان وعليهم أن يوضحوا وجهة نظرهم حول مدى مساهمة بعض السبل الوقفية في تمويل التعليم، وأسباب تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم التي وردت في الاستبيان باختيار إحدى الإجابات التالية

(مساهمة كبيرة جداً، مساهمة كبيرة، مساهمة متوسطة، مساهمة قليلة، مساهمة قليلة جداً) تعطى هذه الإجابات الدرجات (١-٢-٣-٤-٥) على التوالي .

وبعد الانتهاء من إجراءات الدراسة الميدانية على أفراد العينة تصبح استجابات أفراد العينة، وذلك بإعطاء الإجابات الواردة في التدرج أمام كل عبارة الدرجة (١، ٢، ٣، ٤، ٥) على التوالي.

ح- الأسلوب الإحصائي

استخدم الباحثان الأساليب الإحصائية التالية:

- ١- معادلة هولستي لحساب ثبات التحليل.
- ٢- ألفا كرونباخ لحساب ثبات الاستبيان.
- ٣- المتوسطات الحسابية والتكرارات، والنسب المئوية .

نتائج الدراسة:

أولاً، أهم مصادر تمويل التعليم في العصور الإسلامية:

تم تحليل بعض كتب التاريخ الإسلامي المتضمنة المؤسسات التربوية الإسلامية وذلك بهدف الكشف عن أهم مصادر تمويل التعليم في الإسلام وقد اتضح من خلال التحليل ما يلي:

أ- انتشار المؤسسات التربوية بشكل كبير في العهدين الأيوبي والمملوكي، فقد وصل عددها إلى حوالي ٨٢ مؤسسة تربوية في بيت المقدس من مجموع المؤسسات الكلية التي تم رصدتها من خلال التحليل، أي ما نسبته حوالي ٦٤٪، وفيما يلي جدول يوضح توزيع المؤسسات التربوية الإسلامية في بيت المقدس:

جدول (١)

توزيع المؤسسات التربوية الإسلامية حسب عددها

نوع المؤسسة	عدد	توزيعها
مدارس	٦٩ مدرسة	١٠ أيوية، ٤٢ مملوكية، ٧ عثمانية، ٨ لا يعرف تاريخ نشأتها، ٢ قبل الأيوبي
خوانك	١٢ خانقة	١ أيوية، ٦ مملوكية، ١ عثمانية، ٤ لا يعرف تاريخ نشأتها
زوايا	٤٠ زاوية	٥ أيوية، ١٨ مملوكية، ٥ عثمانية، ١ قبل الأيوبي، ١١ لا يعرف تاريخ نشأتها
روابط	٧ روابط	٥ مملوكية، ١ عثمانية، ١ لا يعرف تاريخ نشأتها

ب- اتضح أيضاً من خلال التحليل أن المؤسسات التربوية الإسلامية، أغلبها كانت ذات نشأة خاصة، أي أنها أنشئت من خلال (تبرعات، وهبات) من أفراد المجتمع عامة سواء (أمراء، أميرات، قضاة، أطباء، تجار، وشيوخ)، وقد عضدت وقوت هذه المؤسسات بفعل الأوقاف التي أوقفت عليها، وأن اعتمادها على التمويل الحكومي كان قليلاً جداً، مما يعني أن هناك ثلاثة مصادر تمويلية كانت تعتمد عليها المؤسسات التربوية الإسلامية وهي المصادر (الحكومية، الخاصة، الوقف)، وقد وصل عدد المؤسسات الحكومية في بيت المقدس إلى حوالي ١١ مؤسسة، والمؤسسات الخاصة إلى حوالي ٤٩ مؤسسة، والمؤسسات الوقفية إلى حوالي ٤٦ مؤسسة، وهناك ٢٢ مؤسسة لا يعرف نوع تمويلها الرأسمالي، جدول رقم (٢) يوضح عدد المؤسسات ونوع تمويلها.

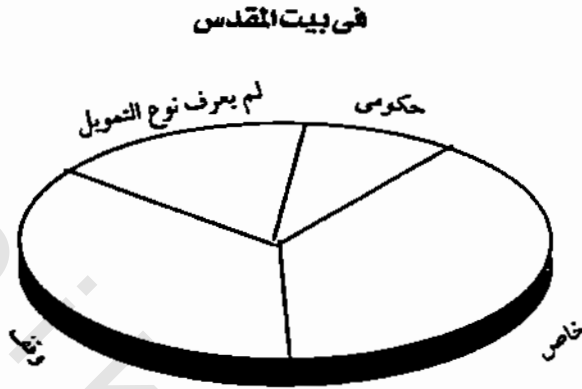
جدول (٢)

توزيع المؤسسات التربوية الإسلامية حسب نوع التمويل الرأسمالي

م	نوع التمويل (الرأسمالي)	عدد المؤسسات التربوية	نسبتها
١-	حكومي	١١	٨,٥٩%
٢-	خاص	٤٩	٣٨,٢٨
٣-	وقف	٤٦	٣٥,٩٣
٤-	لم يعرف	٢٢	١٧,١٨
المجموع الكلي		١٢٨	١٠٠

شكل (١)

تمثيل بياني لمصادر التمويل الرأسمالي التي اعتمدتها المؤسسات التربوية الإسلامية



من هنا يكون أهم مصادر تمويل التعليم في الإسلام هي:

١- المصادر الحكومية،

ويقصد بالتمويل الحكومي: جميع الموارد المادية والعينية التي توفرها الحكومة (سواء سلاطين، أو من بيت مال المسلمين) للمؤسسات التربوية، حيث اهتم كثير من السلاطين والملوك بالتعليم، فعمدوا إلى إنشاء المدارس والخوانك، والزوايا والربط، وكان من أكثر السلاطين اهتماماً بالتعليم ومؤسساته، السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث أنشأ كثيراً من المدارس في المدن التي كانت تحت سلطانه، كمصر، ودمشق، والموصل، وبيت المقدس، ويرجع سبب اهتمام السلطان صلاح الدين بإنشاء المدارس إلى رغبته في القضاء على التشيع الذي انتشر في عهد الدولة الفاطمية ونشر المذهب السني، ومن السلاطين والملوك أيضاً الذين اهتموا بالتعليم اهتماماً كبيراً، الملك الأفضل نور الدين بن صلاح الدين الأيوبي الذي عمد إلى إنشاء المدرسة الأفضلية، وذلك في العام ٥٩٠هـ وتقع هذه المدرسة بحارة المغاربة وكانت تعرف قديماً بالقبة (الحنبلية، ١٩٩٩: ٩٧)، ولم يعد لها وجود في عصرنا الحالي ذلك لأن الجرافات الإسرائيلية أزالتها في عام (١٩٦٧م).

على الرغم أن هذه المؤسسات حكومية إلا أن كثيراً منها كانت تعتمد في تمويلها الجارى على العقارات الموقوفة عليها كالمدرسة الصلاحية التي أوقف عليها أوقاف شاسعة من دور وأراضى، فى مختلف أنحاء مدينة القدس، وظهرها، وقد وجد العسلى (١٩٨١، ٦٢) تفصيلاً لذلك فى سجلات المحكمة الشرعية فى القدس، س.أ.أ. رقم ٥٢٢ ص ٢١، ورد فيه ما يلى من الوقفية:

" وقف السلطان الملك الناصر يوسف بن أيوب على مدرسته بالقدس الشريف:

م	العقار الموقوف	الإيرادات بالدراهم
١	قطعة أرض جسمانية وتوابعها. وقف تماماً	٦٠٠٠
٢	قرية عين سلوان تابع قدس شريف تماماً	٦٠٠٠
٣	حمام فى باب الأسباط فى قدس شريف تماماً	١٤٠٠٠
٤	فى محطة باب حطة تماماً	-
٥	دكاكين فى سوق العطارين ٨١٢ باب	-
٦	دكان المعروف بخط داود ١٢ قيراط	-
٧	سوق باب حطة ١٢ باب	-
٨	الدور المتفرق فى قدس شريف ١٢ باب	-
٩	القاعات فى نفس قدس شريف ١٥ باب	-
١٠	خان فى باب حطة تماماً	-
١١	بستان بير أيوب تماماً	-
١٢	بستان صغير فى باب حطة تماماً	٥٠٠
١٣	مزرعة قسطال تابع القدس تماماً	-
١٤	بستان فى باب المغاربة فى قدس شريف تماماً	-
١٥	قرية نعليا تابع خليل الرحمن ٨ قيراط	-

بالإضافة إلى ذلك فقد أوقف السلطان صلاح الدين على مدرسته هذه سوق العطارين بالقدس، ووادي سلوان وهو وادي يزرع فيه كروم وبساتين، هكذا وضع السلطان صلاح الدين الأساس المادي ليضمن لمدرسته الاستمرار والبقاء والنمو والازدهار..

٢- المصادر الخاصة،

ويقصد بالتمويل الخاص: جميع الموارد المادية والعينية التي يوفرها المجتمع بكافة أفرادهم ومؤسساته للتعليم. فقد اهتم كثير من الأمراء والأميرات والقضاة والتجار وغيرهم من عامة الشعب بالتعليم، وعمد كثير منهم إلى إنشاء مؤسساته:

- كالمدرسة الكيلانية التي أوصى ببنائها الحاج جمال الدين بهلوان بن الأمير قراد شاه بن شمس الدين محمد الكيلاني اللاهجي المشهور بابن الصاحب كيلان، حيث أمر ابنه الأمير نظام الدين كهشروان بأن يصرف ثلث ماله مائة ألف درهم فضة ويدفع ذلك إلى ابن أخى الموصى الأمير علاء الدين بن بهاء الدين سلال بن شير ملك الكيلاني، لibtاع بذلك مكاناً ويعمر تربة بالقدس الشريف أن تهى نقله ودفنه هناك، (الحنبل، ١٩٩٩: ٤٥) وقد كانت المدرسة من ملحقات التربة.

- والمدرسة الطشتيرية التي أنشأها الأمير طشتير العلاني، في سنة ٧٨٤هـ فقد أنفق على بنائها مبلغاً كبيراً من المال، ويقال أن الطشتير العلاني بنى مدرسته هذه وهو (بطل)، "أى أنه أمير أو موظف كبير يحرم من عمله، ولكنه يعطى فى الوقت نفسه اقطاعية أو مبلغاً من المال يعيش منه، ويبقى رغم حرمانه من المشاركة فى أعمال الدولة، عضواً محترماً فى مجتمع الممالك العسكرية، وكثيراً ما كان البطل يعين من جديد فى منصب جديد، إذا رضى عنه السلطان" (العسلى ١٩٨١: ١٣٧)، وهناك الكثير من الأمراء والأميرات، والقضاة الذين عمدوا إلى إنشاء مؤسسات تعليمية يشترط فيها تعليم القرآن الكريم، والأحاديث وعلوم الدين تقرباً إلى الله.

وعلى الرغم من أن هذه المدارس كانت ذات نشأة خاصة إلا أن معظمها كان

يعتمد على أموال الوقف، التي أوقفت عليها من قبل منشئها، أو غيرهم، كالمدرسة الملكية التي عمرها الحاج الأمير ملك الجوكندار، وكان بناؤها في سنة ٧٤١هـ وقد أوقف عليها أوقافاً عديدة من قبل زوجة ملك بنت السيفي قلطلقتم الناصري، كما هو مثبت في س.أ.أ رقم ٥٢٢ ص ٢١: " وقف الملك ابنة قلطلقتم تم على مصالح المدرسة المعروفة بها بالمدرسة الملكية بالقدس الشريف، جميع الخان أرضاً وماءً بمدينة غزة المعروف بخان الحبالين، وجميع الخوانيت السبع الملاصقة للخان المذكور من جهة الشرق والمجاور للربع المعروف بالواقفة بمدينة غزة " (العسلي، ١٩٨١: ٢٢٩).

٢- الوقف:

ويقصد بالوقف: " منع التصرف في رقة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها- وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً، وانتهاءً " (الأمين، ١٩٩٤: ١٠٤). ولقد اعتاد السلاطين والأمراء والتجار والقضاة في العهود الإسلامية على وقف ممتلكاتهم على الأعمال الخيرية، وخصوصاً على المؤسسات التربوية، وقد انتشرت هذه الظاهرة انتشاراً كبيراً في عهد الدولتين الأيوبيه والمملوكية، فقد كان الأهالي والسلاطين والأمراء يوقفون بعض العقارات ليعود ريعها على المؤسسات التربوية، ويوقفون عقاراتهم كمؤسسات تربوية وقد وصل عدد المؤسسات التربوية الوقفية في بيت المقدس إلى حوالي (٤٦) مؤسسة وقفية، وسبب تهافت كثير من السلاطين والأمراء والقضاة والتجار، على وقف ممتلكاتهم هو:

١- التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك عملاً بحديث الرسول ﷺ " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " (مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب [1631]، ج ٣/ ٢٥) والرغبة في نشر علوم الدين.

٢- شعور كثير من الأمراء والقضاة والماليك بعدم الأمان والاطمئنان على ثرواتهم بسبب كثرة التغيرات السياسية في ذلك الوقت وانتشار القتل، والخوف من مصادرة الأملاك؛ لذلك لجأ الكثير منهم إلى وقف ممتلكاتهم، فكانوا يوقفون أملاكهم،

جزءاً للمدرسة وجزءاً للذرية ويشترطون نظر الوقفية على أبنائهم من بعدهم. ومن ذلك ما وقفه مجد الدين عبد الملك الموصلی، فقد وقف مزرعة قدس شريف (١٦) قيراطاً، ومزرعة.. تابع قدس شريف، على ذريته وأقاربه الثلاثين وعلى المدرسة السلامية الموصلية الكبرى الكائنة بالقدس الشريف بباب شرف الأنبياء الثالث (العسلي، ٢٤٦: ١٩٨١).

ثانياً: واقع الوقف في فلسطين

أ- حجم الوقف في فلسطين:

تعتبر أرض فلسطين - التي كانت ولاية من ولايات بلاد الشام - وقفاً للمسلمين جميعاً لأنها خراجية، والخراج: "هو حق للمسلمين يوضع على الأرض التي غنمت من الكفار حرباً أو صلحاً، ويكون عنة، وخراج صلح" (أبي يوسف، ١٩٨١: ٦٧). لذلك رفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقسيمها وذلك حينما سأله بلال وأصحابه قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام، فقالوا: اقسم الأرض بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر فأبى عمر ذلك عليهم، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَتَفَتَحُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٧-١٠]، وقال عمر: قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفیء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء، ولئن بقيت ليلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفیء ودمه في وجهه، وقال عمر: فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها

فما يسد به الثغور، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل العراق والشام، فأكثروا على عمر وقالوا: تقف ما أفاء الله علينا بأسياقتنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء قوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا، فكان عمر لا يزيد على أن يقول هذا رأيي، ورأي عمر جاء في قوله: رأيت أن أحبس الأرضين بعلوها وأن أضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم جزية يؤدونها فيكون فينا للمسلمين، للمقاتلة وللذرية ولن يأتي بعدهم (أبي يوسف، ١٩٨١: ٦٧). من الواضح أن أرض فلسطين هي أرض وقف إسلامي لا يجوز تقسيمها لتبقى عامرة يستفيد منها الجميع وعبر التاريخ وهذا ما شدد عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث رفض تقسيم بلاد الشام.

وعلى الرغم من ذلك إلا أنها لم تقف كلها فقد تعرضت للسلب والنهب والحروب والصراعات الدامية والمتتالية، وقد أوقف المسلمون كثيراً من ممتلكاتهم الخاصة في فلسطين وخصوصاً في بيت المقدس عبر العصور الإسلامية وخصوصاً العصور الزاهية (عصور النهضة)، وذلك لمكانته السامية بين المسلمين، وأورد ديمير (١٩٩٢م) أن الأراضي والأملاك الوقفية في فلسطين قد اتسعت بشكل كبير وقدرت نسبة الأملاك الوقفية الخيرية في البلدة القديمة في بيت المقدس حوالي (٣٠٪) من مجموع الأملاك الوقفية، ونسبة الأملاك الوقفية الأهلية تتراوح ما بين (٢٠ - ٤٠٪) غير أن الصراعات والحروب المتتالية أدت إلى الاستيلاء وضياع كثير من أوقاف المسلمين، وخير دليل على ذلك ما قامت به قوات الاحتلال الإسرائيلي بعد احتلالها الأراضي الفلسطينية عام (١٩٤٨م) وعام (١٩٦٧م)، حيث صادرت جزءاً كبيراً من أراضي وممتلكات الوقف الإسلامي التي وقعت في قبضتها، وسنت تشريعات تمكنها من السيطرة على الأراضي الوقفية، بحجة أنها أملاك غائبين، وبالتالي بيعها أو إعطائها إلى اليهود للسكن، وقد بلغت مساحة الأوقاف في وقتنا الحالي حوالي (٢٢٧، ١٦٠) دونماً، في محافظة القدس والضفة الغربية وقطاع غزة، وكانت العقارات الوقفية متنوعة (كالمحلات التجارية، والمدارس، وأراضي زراعية، عيادات صحية، بيت درج، شقق سكنية، دور سكن صغيرة، مصانع وكراجات، عرايش زينكو، نوادٍ رياضية، مستشفى،

وررياض أطفال) كلها تحت إشراف وزارة الأوقاف والشئون الدينية، والجدول رقم (٣) يبين حجم الأوقاف في قرى محافظة القدس والضفة الغربية وقطاع غزة.

جدول (٣)

بيان بالأمالك الوقفية في قرى محافظة القدس والضفة الغربية وقطاع غزة

لعام (٢٠٠٠م)

م	المنطقة	المساحة متر	دونم
١-	قرى محافظة القدس	٣٠٣	٢٠٢٦
٢-	الضفة الغربية	-	١٥١, ٤٢٤
٣-	قطاع غزة	٥١٥	٦٧٧٧
المجموع العام		٨١٨	١٦٠, ٢٢٧

(وزارة الأوقاف، ٢٠٠٠: ١٩٦)

ب- أسباب تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم

من الواضح أن العقارات الوقفية في فلسطين تتراجع نسبتها وبشكل ملحوظ ومستمر، وذلك لعدة أسباب كان من أهمها مصادرة الكثير منها من قبل الاحتلال الإسرائيلي، وتراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، وقد تم رصد آراء مجموعة من الخطباء والعلماء الشرعيين حول سبب تراجع الناس في وقتنا الحالي عن وقف ممتلكاتهم والجدول رقم (٤) يوضح التكرارات والنسب المئوية لدرجة مساهمة بعض الأسباب في تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، حسب استجابة أفراد عينة الدراسة:

جدول (٤):

التكرارات والنسب المئوية لدرجة مساهمة بعض الأسباب
في تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، حسب استجابة أفراد عينة الدراسة

م	البيان	مجموع التكرارات	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	درجة المساهمة
أولاً: الأسباب الدينية					
١-	الجهل بأحكام الوقف والأجر المترتب عليه	٢٦١	٣,٨٩	٧٧,٩	كبيرة
٢-	الصراعات الحزبية حيث يختار الواقف لأية جهة يوقف	٢٤٥	٣,٦٥	٧٣,١	كبيرة
٣-	ضعف الوازع الديني لدى الأغنياء	٢٦٩	٤,٠١	٨٠,٢	كبيرة جداً
النسبة الكلية					
٧٧,٠٦					
ثانياً: الأسباب السياسية					
٤-	عدم الاستقرار السياسي بسبب الاحتلال، والتخوف من مصادرة الأراضي	٢٢٨	٣,٤٠	٦٨,٠٥	متوسطة
٥-	قلة ثقة الناس بالقائمين على الوقف.	٢٧٩	٤,١٩	٨٣,٢٨	كبيرة جداً
٦-	توقف الفتوحات والغزوات، وتكالب الكفار والمشركين والمنافقين	٢٣٨	٣,٥٥	٧١,٠٤	كبيرة
٧-	توهم الكثير بأن الوقف سوف يضيع ويستغل من قبل أناس لا يستحقونه.	٢٦٧	٣,٩٨	٧٩,٧	كبيرة
النسبة الكلية					
٧٥,٥					
ثالثاً: الأسباب الاقتصادية					
٨-	تدني مستوى المعيشة الضائقة المالية التي يعلن منها الناس	٢٧٤	٤,٠٨	٨١,٧	كبيرة جداً
٩-	قلة امتلاك الناس للأراضي. والزيادة في عدد السكان	٢٨٧	٤,٢٨	٨٥,٦٧	كبيرة جداً
١٠-	فقدان الأمن الاقتصادي.	٢٥٣	٣,٧٧	٧٥,٥	كبيرة
١١-	تعقد شكل الحياة وتعدد طرق الاستثمار.	٢٤٦	٣,٦٧	٧٣,٤	كبيرة
النسبة الكلية					
٧٩,٠٦					

تابع جدول (٤)

رابعاً: الأسباب الثقافية			
كبيرة	٧٩,١	٣,٩٥	٢٦٥
١٢- غياب الوعي الدينى أدى إلى غياب الوعي الثقافى.			
كبيرة جداً	٨٧,١	٤,٣٥	٢٩٢
١٣- التركيز على وقف الأموال والتبرع للمساجد دون المدارس وغيرها من الخدمات...			
كبيرة جداً	٨٥	٤,٢٥	٢٨٥
١٤- الثقافة الاجتماعية السائدة لا تمتلك تصوراً واضحاً حول الوقف			
كبيرة جداً	٨٣,٢	٤,١٤	٢٧٩
١٥- عدم نقل فكرة الأوقاف لدى أجيال المسلمين.			
كبيرة جداً	٨٠,٢	٤,٠١٤	٢٦٩
١٦- قلة التوعية والإرشاد والتثقيف الدينى المحفز والمشجع على القيام بالوقف، وأحكام الوقف من قبل الوعاظ والخطباء وأجهزة الإعلام.			
كبيرة جداً	٨١,٧	٤,٠٨	٢٧٤
١٧- عدم الوعي بأهمية ودور الوقف فى تنمية المجتمع.			
النسبة الكلية			
		٨٢,٧١	
خامساً: الأسباب الإدارية			
كبيرة جداً	٨٥,٦	٤,٣٥	٢٨٧
١٨- ضعف الإدارة الرسمية للمؤسسات الوقفية.			
كبيرة جداً	٨٢,٠١	٤,١٠	٢٧٥
١٩- ضعف العمل بروح الفريق.			
كبيرة جداً	٨٤,١٧	٤,١٩	٢٨٢
٢٠- عدم ظهور نتائج فعلية لأنار الوقف بادية للعيان.			
كبيرة جداً	٨٣,٢	٤,٢٥	٢٧٩
٢١- قلة الثقة بالقائمين على الوقف			
النسبة الكلية			
		٨٣,٧٤	
سادساً: الأسباب العائلية والخلقية			
كبيرة	٧٥,٢	٣,٧٦	٢٥٢
٢٢- خوف الورثة من ضياع حقهم فى الميراث. وضغوطات الورثة			
كبيرة	٧٦,٤	٣,٨٢	٢٥٦
٢٣- الشح والبخل			
النسبة الكلية			
		٧٥,٨	

من خلال الجدول السابق يتضح الآتى:

- (٢, ٨٠٪) من أفراد عينة الدراسة تجمع على أن ضعف الوازع الدينى لدى الأغنياء من أكثر الأسباب الدينية إسهاماً فى تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، ويرجع السبب فى ذلك إلى :

١- انشغال كثير من الأغنياء فى استثمار أموالهم، وتكديسها.

٢- جهل الكثير منهم، بأحكام الوقف وأهميته الاجتماعية والاقتصادية.

- (٢٨, ٨٣٪) من أفراد عينة الدراسة تجمع على أن ضعف ثقة الناس بالقائمين على الوقف يسهم بدرجة كبيرة جداً فى تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، وهو من أكثر الأسباب السياسية إسهاماً فى ذلك، بينما (٥, ٦٨٪) من أفراد عينة الدراسة تعتقد أن عدم الاستقرار السياسى بسبب الاحتلال والخوف من مصادرة الأراضى يساهم بدرجة متوسطة فى تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، وهى أقل نسبة إسهام من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة، وذلك إيماناً منهم بأن الاحتلال لا يقف حائلاً دون عمل الخير والبر، وتطبيق سنة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فى التبرع والتصدق.

- ومن ضمن الأسباب التى تسهم بدرجة كبيرة فى تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم قلة امتلاك الناس للأراضى وزيادة فى عدد السكان، وهى من أكثر الأسباب الاقتصادية إسهاماً، حيث تدهور الحال الاقتصادية فى فلسطين عامة، بسبب الاحتلال الذى يعمل جاهداً على تضيق الخناق على أفراد الشعب الفلسطينى، وتدمير البنية الاقتصادية خصوصاً "الزراعية، والصناعية، والتجارية" بطريقة منهجية مبرمجة، وذلك من خلال مصادرة الكثير من الأراضى الزراعية وخصوصاً فى الضفة الغربية بحجة بناء الجدار الآمن، وتجريف الكثير منها، واقتلاع الأشجار، وقصف لكثير من المصانع وورش الحدادة وإغلاق للمعابر والتحكم فى الصادرات والواردات مما أدى إلى انتشار البطالة التى وصلت نسبتها إلى أكثر من (٦٠٪). - وهناك أسباب ثقافية تسهم بدرجة كبيرة فى تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم كتركيز وقف الأموال والتبرع للمساجد دون

غيرها من الخدمات الاجتماعية والصحية، ذلك لعدم امتلاك بعض الناس تصوراً واضحاً حول الثقافة الاجتماعية للوقف.

- ولمعرفة أكثر المجالات إسهاماً في تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم، تم رصد معاميل الشيوع في كل مجال من المجالات السابقة:

جدول (٥)

الأسباب حسب شيوعها في كل مجال من المجالات السابقة

م	المجالات	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي
١-	المجال الأول: الأسباب الدينية	٣,٨٥	١٦,٢٤٠
٢-	المجال الثاني: الأسباب السياسية	٣,٧٨	١٥,٩
٣-	المجال الثالث: الأسباب الاقتصادية	٣,٩٥	١٦,٦
٤-	المجال الرابع: الأسباب الثقافية	٤,١٤	١٧,٤٦
٥-	المجال الخامس: الأسباب الإدارية	٤,١٩	١٧,٦٧
٦-	المجال السادس: الأسباب العائلية	٣,٧٩	١٥,٩

يبين الجدول رقم (٥) أن أكثر الأسباب شيوعاً جاء في المجال الإداري، حيث سوء الإدارة الرسمية للمؤسسات الوقفية، ضعف العمل بروح الفريق، عدم ظهور نتائج فعلية لآثار الوقف بادية للعيان، وعدم الثقة بالقائمين على الوقف.

بينما جاءت الأسباب الثقافية في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي قدره (٤٦ و ١٧٪) وهو متوسط قريب جداً من المتوسط الحسابي الخاص بالأسباب الإدارية وهذا دليل واضح على أهمية المجال الثقافي؛ لأن غياب ثقافة الوقف عن المجتمع، وغياب الوعي الديني، وعدم امتلاك تصور واضح عن فلسفة الوقف لدى المجتمع، وعدم نقل ثقافة الوقف للأجيال المتلاحقة، حيث الكثير من الناس لا يعرفون عن الوقف إلا اسمه، وأنه هناك وزارة للأوقاف ولكنهم لا يعرفون الدور الرائد والفعال الذي لعبه في العصور الإسلامية، وقلة التوعية والإرشاد والتثقيف المحفز والمشجع على القيام بالوقف، هذا كله كان له دور كبير جداً وفعال في تراجع الناس عن وقف ممتلكاتهم.

ثالثاً: الاتجاهات والتجارب المعاصرة في استخدامات الوقف لصالح التعليم

لجأت كثير من دول العالم في الوقت الحالي إلى التبرعات والأوقاف لاعتمادها مصدراً من مصادر تمويل التعليم في ظل التراجع في التمويل الحكومي وانتشار البطالة، فقد اعتمدت سياسة بعض الجامعات في سنغافورة منذ بداية التسعينات على تنمية مواردها الخاصة وتقليل الاعتماد على الحكومة، "وفي ظل هذه السياسة استطاعت جامعتان هناك في عام (١٩٩١م) الحصول على أوقاف لتمويل التعليم بها تصل قيمتها إلى بليون دولار أمريكي، ومن ثم ألزمت الحكومة نفسها بتقديم (٢٥٠) مليون دولار للجامعات في شكل أوقاف خلال السنوات الخمس التالية، واستطاعت أن تحصل على مثل هذا المبلغ من مصادر غير حكومية" (الهلال، ٢٠٠٣: ١٥١).

التجربة السعودية المعاصرة:

لقد لجأت بعض الجامعات السعودية إلى البحث عن موارد تمويل إضافية، على الرغم مما تحظى به من دعم متواصل وإنفاق سخى من جانب الحكومة، فقد كان من بين

الموارد المستحدثة هو: إنشاء كراسٍ علمية تكون بمثابة مصادر تمويل إضافية ثابتة أو مؤقتة لتستفيد منها الجامعات ويقصد بالكراسى العلمية هى منحة نقدية أو عينية دائمة أو مؤقتة، يتبرع بها فرد أو شخصية اعتبارية لتمويل برنامج بحثى أو أكاديمى فى الجامعة، ويعين فيه أحد الأساتذة المتخصصين المشهود لهم بالتميز العلمى والخبرة الرائدة والسمعة الدولية" (المفتى، د.ت: ١٤٥). وترى المفتى (د.ت: ١٥٦) أن فكرة إنشاء الكراسى العلمية ليست ببدعة وإنما استوحيت من فكرة (الأوقاف على العلماء والمدرسين) التى ذاعت وانتشرت فى العصور الإسلامية الزاهرة، وقد ظهرت الكراسى العلمية السعودية أول الأمر فى عدد من العواصم العربية والأوروبية، وخصصت للدراسات الإسلامية والعلوم المتقدمة، مثل: كرسى الملك فهد للدول الإسلامية، وكرسى ابن لادن للهندسة المدنية، وكرسى الأمير سلطان فى جامعة البحرين وكراسٍ أخرى فى موسكو وإيطاليا وأمريكا. وأول جامعة من جامعات المملكة العربية السعودية بادرت بتأمين موارد مالية عن طريق الكراسى العلمية جامعة البترول والمعادن فى الظهران، والملك عبد العزيز فى جدة والمدينة، وقامت هذه الجامعات بتشكيل لوائح تنظيمية للكراسى العلمية الوقفية، كانت تتضمن (الهدف من الكراسى العلمية، جدوى إنشائها بالنسبة للمتبرع أو الواقف، صفات أستاذ الكرسى العلمى، وتمويل الكرسى العلمى).

التجربة الأمريكية المعاصرة:

تعتمد كثير من الجامعات فى الولايات المتحدة الأمريكية على الوقف فى تمويلها، وتعتبر أمريكا من أكثر الدول الغربية التى نما فيها وقف الجامعات وبشكل مذهل، وذلك بتشجيع من الدولة التى قامت بإسقاط التبرع للوقف من الضرائب المترتبة على صاحب التبرع، وتظهر الإحصائيات أن مجموع قيمة وقف الجامعات والكليات والمعاهد بلغت عام (١٩٩٣م) حوالى (٩٢) بليون دولار، وأن عشرين جامعة يتجاوز قيمة وقف كل منها بليون دولار، منها جامعة هارفارد، ومائتى جامعة يتجاوز قيمة وقف كل منها مليون دولار، منها جامعة كاليفورنيا الجنوبية التى تبلغ قيمة أوقافها (٥٨٩) مليون

دولار، و(٥٠٠) جامعة وكلية قيمة وقف كل منها (٢٥) مليون دولار (المفتى، د.ت: ٨١)، "ويوجد في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من اثنتين وعشرين مؤسسة وقفية خيرية، تسهم في مجالات الحياة المختلفة، ومن ضمنها قطاع التعليم، ويتجه معظم هذه المساهمات إلى التعليم العالي، والتعليم العام له نصيب في ذلك" (متولى، ٢٠٠١: ٩٨). وقد نجحت المؤسسات الوقفية المدرسية في الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق أهدافها، نتيجة استقلاليتها، واستخدام مواردها المالية، فيما يخدم المدرسين والطلاب والمجتمع المحلي، مما حفز المانحين على التبرع، وشيوع هذا النوع من المؤسسات وانتشارها في ربوع الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي جعل لإسهامات هذه المؤسسات الخيرية، دوراً بالغ الأثر في تمويل أنشطة وبرامج التعليم هناك (متولى، ٢٠٠١: ٩٨).

رابعاً: مدى الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم الفلسطيني؛

أ- مدى الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم.

تم طرح سؤال مفتوح على أفراد عينة الدراسة كان نصه: برأيكم، هل يمكن الاستفادة في وقتنا الحالي من أموال الوقف في تنمية موارد التعليم في فلسطين؟ إذا علمت أن وزارة الأوقاف تمتلك مساحة جيدة من الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة ومحافظة القدس، ويستثمر جزء منها بأشكال عديدة؟

() نعم () لا

وقد كانت الإجابة على التساؤل كما يلي:

- (٩٦، ٩٦٪) من أفراد عينة الدراسة تؤكد أنه يمكن الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم في وقتنا الحاضر.

- بينما (٣، ٠٣٪) من أفراد عينة الدراسة ترى أنه لا يمكن الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم الفلسطيني، ذلك لعدة مبررات وهي كما يرون كالتالي:

مبررات الرفض عند بعض أفراد عينة الدراسة:

- ١- وضع اليد على أراض وقفية بمساحات وسكن الناس فيها، وعدم استطاعة السلطة إخراجهم منها كأراض فى المفارقة، وحكر الجامع فى دير البلح.
- ٢- قلة ازدياد أموال الوقف، فى السنوات الأخيرة، وتوقف الدعم الخارجى.
- ٣- ضعف القيادة الفعالة.
- ٤- أراضى الوقف تستغل لأمر شخصية....

بناءً على ما سبق من أسباب للرفض تم طرح سؤال على أفراد عينة الدراسة جاء نصه كالتالى: "برأيكم، ما السبل والوسائل التى يمكن لوزارة الأوقاف والشئون الدينية أن تتخذها لتنهض من جديد، وتعمل على تنمية المجتمع بكافة مؤسساته (التعليمية والصحية، والثقافية...)" .

لقد تم تصنيف استجابة أفراد عينة الدراسة على النحو التالى:

- ١- إصلاح مؤسسة الوقف وذلك من خلال ما يلى:
 - * العمل على وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .
 - * ضرورة إدارة الأوقاف بطريقة سليمة .
 - * الاهتمام بالموظفين داخل مؤسسة الوقف، وإعطاؤهم حقوقهم.
 - * متابعة كل الأمور والمجريات التى يقوم بها الموظفون.
 - * العمل على استرجاع الأراضى الوقفية التى استولى عليها المواطنون.
 - * العمل على اختيار خبراء ذوى كفاءة متميزة ومقدرة عالية على إقناع الناس بأهمية الوقف .
 - * إعداد الوعاظ إعداداً إسلامياً صحيحاً .
 - * القيام بعمل دورات تأهيلية لإعداد الكوادر والموظفين داخل الوزارة" وزارة الأوقاف
 - * العمل على توسيع دائرة العمل فى الوزارة (تنويع سبل الوقف وعدم اقتصرها

على المساجد والمصاحف) حث الأفراد في المؤسسة على العمل بإخلاص وأمانة
والبعد عن المصالح الشخصية
* الشفافية في إدارة الأوقاف وذلك من خلال:

* تعريف الناس بالمصروفات والنفقات التي تنفقها الوزارة سنوياً.
* تعريف الناس بحقيقة الأراضي والأموال والممتلكات الموقوفة.
* تعريف الناس بالأعمال والخدمات التي تقوم وتقدمها الوزارة. أن يكون للوزارة
برنامج معلن عن كيفية الاستفادة من أموال الوقف حتى يطمئن الناس ويثقون
بها.

* الاستغلال الأمثل للوقف بحيث يرضى الناس ويوافق ميولهم.
* إعادة النظر في حجم الخدمات الاجتماعية المقدمة للشارع.
* إقامة هيئة من علماء المسلمين للإشراف على مال الوقف الإسلامي
٢- نشر ثقافة الوقف وذلك من خلال ما يلي:

* عمل نشرات توضح أهمية الوقف
* تفعيل دور الأنشطة الدعوية داخل المؤسسات التعليمية والصحية
* العمل على إيجاد المدرس (النموذج الإسلامي) الذي يؤثر ويقتدى به
* عقد ندوات وورش عمل مع المتخصصين لريادة هذا الموضوع وتفعيله
* تضمين موضوع الوقف في المناهج الدراسية.
* الإيعاز إلى الخطباء والوعاظ لإرشاد الناس وتوجيههم وترغيبهم في عملية
الوقف

* القيام بدور دعوى ولقاءات مباشرة مع الناس وتحفيزهم على الوقف.

٣- استثمار وتنمية موارد الوقف وذلك من خلال:

* العمل على إدارة مشاريع وقفية وإقامة مشاريع استثمارية في أراضي الوقف

❖ إعادة بناء هيكلية جديدة لأموال الوقف وتحسين طرق استثمار الوقف الحالى بطريقة أفضل

❖ وضع خطط مستقبلية طويلة الأمد للاستفادة من أموال الوقف

❖ العمل على استبدال بعض أراضى الوقف التى أصبحت غير صالحة للاستعمال بأراضى أخرى يمكن استعمالها.

٤- توظيف الأوقاف لصالح المجتمع (تنمية المجتمع ثقافياً، اجتماعياً، صحياً):

❖ بناء مؤسسات تعليمية، وصحية، وثقافية

❖ القيام على طباعة الكتب

❖ العمل على إيجاد مناهج إسلامية متكاملة لجميع مراحل التعليم

❖ الاهتمام بطلاب العلم ورعايتهم

❖ العمل على إعادة إحياء دور المساجد فى الدعوة والتعليم

❖ رعاية الأيتام والاهتمام بهم

❖ العمل على توفير عيادات صحية داخل المدارس

❖ عمل ندوات علمية وتربوية ودينية وثقافية للطلبة من جميع المراحل

❖ مساعدة المؤسسات الخاصة الإسلامية دون تمييز

❖ المساهمة بجزء من أموال الوقف فى الإنفاق على المؤسسات التعليمية والصحية

❖ تفعيل دور مراكز التحفيظ فى المساجد بشكل أفضل

❖ العمل على بناء وتوفير المدارس الشرعية

❖ العمل على إنشاء مكاتب تابعة للوزارة

❖ العمل على إنشاء رياض أطفال تابعة للوزارة فى كل محافظة

❖ ربط خطباء الوزارة بالمؤسسات العالمية والدولية الخارجية.

❖ عمل توأمة بين وزارة الأوقاف مع وزارات أوقاف الدول العربية والإسلامية

- ❖ عقد مؤتمرات لقضايا تخص المجتمع.
 - ❖ عمل مراكز تقوية للغة الإنجليزية والحاسوب.
 - ❖ توفير مواصلات مثل باصات لنقل الأطفال إلى مدارسهم.
 - ❖ إنشاء مدارس لتحفيظ القرآن.
 - ❖ العمل على محاربة الفقر عن طريق بناء مؤسسات يعود ريعها للفقراء والمحتاجين
 - ❖ التعاون مع الوزارات الأخرى ومعرفة حاجاتها ووضع أولويات لها .
- من خلال العرض السابق اتضح أنه على الرغم من أن نسبة أفراد عينة الدراسة الراضية لطرح مدى الاستفادة من أموال الوقف الحالي في تمويل التعليم ، لم يتجاوز (٣٪) من أفراد عينة الدراسة الكلية، ونسبة الموافقين كانت ما تقارب (٩٧٪) ، إلا أن (٦٣٪) من الموافقين على الطرح السابق، رأيت أنه يجب النهوض بمؤسسة الوقف اجتماعياً، وصحياً، .. وذلك من خلال :إصلاح مؤسسة الوقف، نشر ثقافة الوقف، استثمار موارد الوقف، توظيف الأوقاف لصالح المجتمع .

ب- كيفية الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم الفلسطيني

ولما كانت إجابة أغلب أفراد عينة الدراسة على أنه يمكن الاستفادة من أموال الوقف في تنمية موارد التعليم فقد تم طرح عدة سبل وقفية على أفراد عينة الدراسة، لمعرفة مدى مساهمة كل سبيل من هذه السبل في تنمية موارد التعليم وكانت استجابة أفراد عينة الدراسة كما يلي :

تم رصد التكرارات والنسب المئوية لدرجة مساهمة بعض السبل الوقفية في تنمية موارد التعليم حسب استجابة أفراد عينة الدراسة والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول (٦)

التكرارات والنسب المئوية لدرجة مساهمة بعض السبل الوقفية
فى تنمية موارد التعليم حسب استجابة أفراد عينة الدراسة

م	البيان	مجموع التكرارات	المتوسط الحسابى	الوزن النسبى	درجة الاستفادة
	المجال الأول: سبل وقفية لصالح المؤسسات التعليمية				
١-	تخصيص بعض الأموال الوقفية لوزارة التربية والتعليم بشكل كامل.	٢٣٢	٣,٥	٧٠,٣	كبيرة
٢-	تخصيص بعض الأراضى والمباني الوقفية لوزارة التربية والتعليم العالى.	٢٦٤	٤,٠	٨٠	كبيرة جداً
٣-	أن يقطع أجزاء من الأراضى الوقفية لدعم النفقات الجارية للتعليم	٢٢٥	٣,٤	٦٨,١	متوسطة
٤-	تأجير أراضى وقفية، واستثمار بعض الممتلكات الوقفية، بحيث يعود ريعها للمؤسسات التعليمية.	٢٤٨	٣,٧٥	٧٥,١٥	كبيرة
٥-	مشاركة وزارة الأوقاف بعض المؤسسات التعليمية فى بعض مشاريعها.	٢٥٧	٣,٨٩	٧٧,٨	كبيرة
٦-	العمل على طباعة المناهج الدراسية، ودعم الرسائل العلمية، ونشر البحوث العلمية.	٢٦١	٣,٩٥	٧٩,٩	كبيرة
٧-	تزويد المؤسسات التعليمية بأحدث الكتب العلمية، والمراجع، والأبحاث.	٢٦٤	٤,٠	٨٠	كبيرة جداً
٨-	العمل على إنشاء المختبرات العلمية فى المؤسسات التعليمية.	٢٤٤	٣,٦٩	٧٣,٩	كبيرة
٩-	إنشاء مراكز ثقافية ومكتبات عامة من أموال الوقف	٢٦٠	٣,٩	٧٨,٧	كبيرة
١٠-	دعم المشروعات العمرانية لمراكز التعليم ومؤسساته.	٢٤٠	٣,٦٣	٧٢,٧	كبيرة

تابع جدول (٧)

م	البيان	مجموع التكرارات	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	درجة الاستفادة
	المجال الثاني: سبل وافية لصالح الطالب (المتعلم)، والمعلم (الأساتذة)				
١١-	إبتعاث طلبة مميزين للدراسة بأموال الوقف.	٢٧٣	٤, ١٣	٨٢, ٧	كبيرة جداً
١٢-	الإسهام في رسوم الطلبة في الجامعات الفلسطينية لبعض الكليات.	٢٧٢	٤, ١٢	٨٢, ٤	كبيرة جداً
١٣-	تخصيص جوائز سنوية لأفضل انتاجات إبداعية علمية وثقافية ودينية لتعزيز المنافسة.	٢٦٢	٣, ٩٦	٧٩, ٣	كبيرة
١٤-	الإتفاق على الطلبة المحتاجين (تقديم مبالغ دورية وشهريه)	٢٦٦	٤, ٠٣	٨٠, ٦	كبيرة جداً
١٥-	بناء مساكن للطلبة الذين يصعب مجيئهم ورجوعهم إلى مساكنهم يومياً.	٢٢٢	٣, ٣٦	٦٧, ٢	متوسطة
١٦-	دعم الطلبة لشراء الكتب والمراجع.	٢٤٦	٣, ٧٢	٧٤, ٥	كبيرة
١٧-	العمل على رفع كفاءة المدرسين من خلال عقد الدورات التأهيلية	٢٤١	٣, ٦٥	٧٣, ٠٣	كبيرة
١٨-	رعاية عدد من المدرسين والأساتذة للعمل في المؤسسات التعليمية.	٢٣١	٣, ٥	٧٠	كبيرة

يتضح مما سبق أن السبل الوقفية المطروحة لصالح الطالب حصلت على أعلى نسبة استجابة من قبل أفراد عينة الدراسة ذلك لأنهم على دراية وعلم بالأحوال الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، أما طرح بناء مساكن للطلبة الذين يصعب مجيئهم ورجوعهم إلى مساكنهم يومياً فقد أخذ أقل نسبة استجابة من قبل أفراد عينة الدراسة ذلك لعدة أسباب:

❖ خوف كثير من الأهالي على أبنائهم.

❖ العادات والتقاليد تحد من مبيت الأبناء خارج بيوتهم، خصوصاً الطالبات.

❖ إيمان البعض بأن الأمور السياسية ستتحسن.

❖ لجوء بعض الأهالي إلى السكن بجوار المؤسسات التعليمية الخاصة بأبنائهم.

وقد أظهرت نتائج الدراسة تعدد المؤسسات التربوية التي أنشئت في العهود الإسلامية، وقد اتفقت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العسلي (١٩٨٠)، وهذا دليل واضح على مدى اهتمام المسلمين بالتعليم ومؤسساته.

كما أوضحت نتائج الدراسة الدور الرائد الذي لعبته الأوقاف في تمويل التعليم في العهود الإسلامية، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة عيسى (١٩٨٠)، ودراسة النباهين (١٩٨١) ودراسة ظاهر (١٩٩٠)، ودراسة أبو سيف (١٩٩١)، ودراسة المشقيح (٢٠٠٢)، ودراسة المعيلي (د.ت)، ودراسة المفتي (د.ت)، ودراسة السدحان (د.ت) التي أظهرت فعالية الوقف وأثره في دعم الأعمال الخيرية في المجتمع الإسلامي، حيث لم تقتصر الأوقاف في العهود الإسلامية على التعليم فقط، فقد كانت هناك أوقاف على العاجزين عن الحج، والمعتهين، والمقعدين، والمكفوفين.

ومما أظهرته نتائج الدراسة أن هناك تراجعاً في حجم الأوقاف في فلسطين، كان من أهم أسباب هذا التراجع كما أوضحت عينة الدراسة الأسباب الإدارية حيث سوء الإدارة القائمة على الوقف، والأسباب الثقافية حيث جهل الناس بأحكام الوقف، وأهميته الاقتصادية والاجتماعية.

كما أوضحت نتائج الدراسة أهمية الاستفادة من أموال الوقف في تمويل التعليم، أسوة بما كان في العهود الإسلامية، وقد كان هناك اهتمام من قبل الوزارة الحالية بهذا الجانب حيث خصصت منحة وصلت قيمتها حوالي (٢٠٠٠) دولار لكل جامعة من جامعات قطاع غزة في العام (١٩٩٩)، وخصص هذا المبلغ لصندوق الطالب، وقد تم توزيعه على الطلبة المحتاجين بواقع (٧٠) دولار للطالب.

التوصيات:

من خلال تحليل كل من نتائج الدراسة النظرية والميدانية. أمكن التوصل إلى بعض التوصيات على النحو التالي:

١ - ضرورة الاستفادة من التجربة الإسلامية في تمويل التعليم، واعتماد الوقف أنموذجاً في ذلك .

٢ - ضرورة الاستفادة من التجارب المعاصرة في تمويل التعليم، خصوصاً التي تقوم فكرتها على الوقف، كتجربة المملكة العربية السعودية، "تجربة الكراسي العلمية ويقصد بها منحة نقدية أو عينية دائمة أو مؤقتة، يتبرع بها فرد أو شخصية اعتبارية لتمويل برنامج بحثي أو أكاديمي في الجامعة، ويعين فيه أحد الأساتذة المتخصصين المشهود لهم بالتميز العلمي والخبرة الرائدة والسمعة الدولية"، وتجربة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تقوم على إسقاط التبرع على الوقف من الضرائب، مع مراعاة معنى التبرع في الوقف الإسلامي.

٣ - العمل على تفعيل دور وزارة الأوقاف اجتماعياً، واقتصادياً من خلال:

✳ إدارة مؤسسة الوقف بفعالية أكبر..

✳ تدريب الكفاءات، والعاملين بمؤسسة الوقف ..

✳ عمل نشرات توضيحية لانجازات وزارة الأوقاف، وتعريف الجمهور بممتلكات الوزارة.

✳ العمل على إحياء سنة الوقف، من خلال نشر ثقافة الوقف، وحث الخطباء والوعاظ لإرشاد الناس وتوجيههم نحو وقف ممتلكاتهم، والقيام بندوات ومؤتمرات توضح أهمية الوقف، ومشروعيته في الإسلام، وتضمنين موضوع الوقف في المناهج الدراسية.

✳ عمل دراسة جدوى اقتصادية لتشغيل واستثمار موارد الوقف.

✳ ضرورة استرجاع ممتلكات دائرة الوقف من الأطراف المستفيدين منها بصورة غير شرعية.

* ضرورة توظيف موارد الوقف لصالح المجتمع . والمساهمة في تنمية المجتمع الفلسطيني اقتصادياً، واجتماعياً.

* ضرورة عمل توأمة مع الوزارات الأخرى للاستفادة من تجربتها.

٤- ضرورة تفعيل دور وزارة الأوقاف في تمويل التعليم الفلسطيني وذلك من خلال الاهتمام بكل من :

أ- المؤسسة التربوية:

- العمل على بناء مؤسسات تعليمية جديدة .

- توفير بعض الأراضي الوقفية لصالح التعليم.

- الإسهام في عقد المؤتمرات والندوات العلمية.

ب- الطالب:

- العمل على دعم الطالب المحتاج بـ (الرسوم الدراسية، الزى المدرسى، مواصلات، الأدوات المدرسية..).

- ضرورة دعم الطالب المتفوق، بدعّمه في إكمال دراسته في الخارج أو في الداخل.

ج- المعلم:

- العمل على عقد دورات تدريبية للمعلمين.

- دعم المعلمين مالياً.

د- المنهاج:

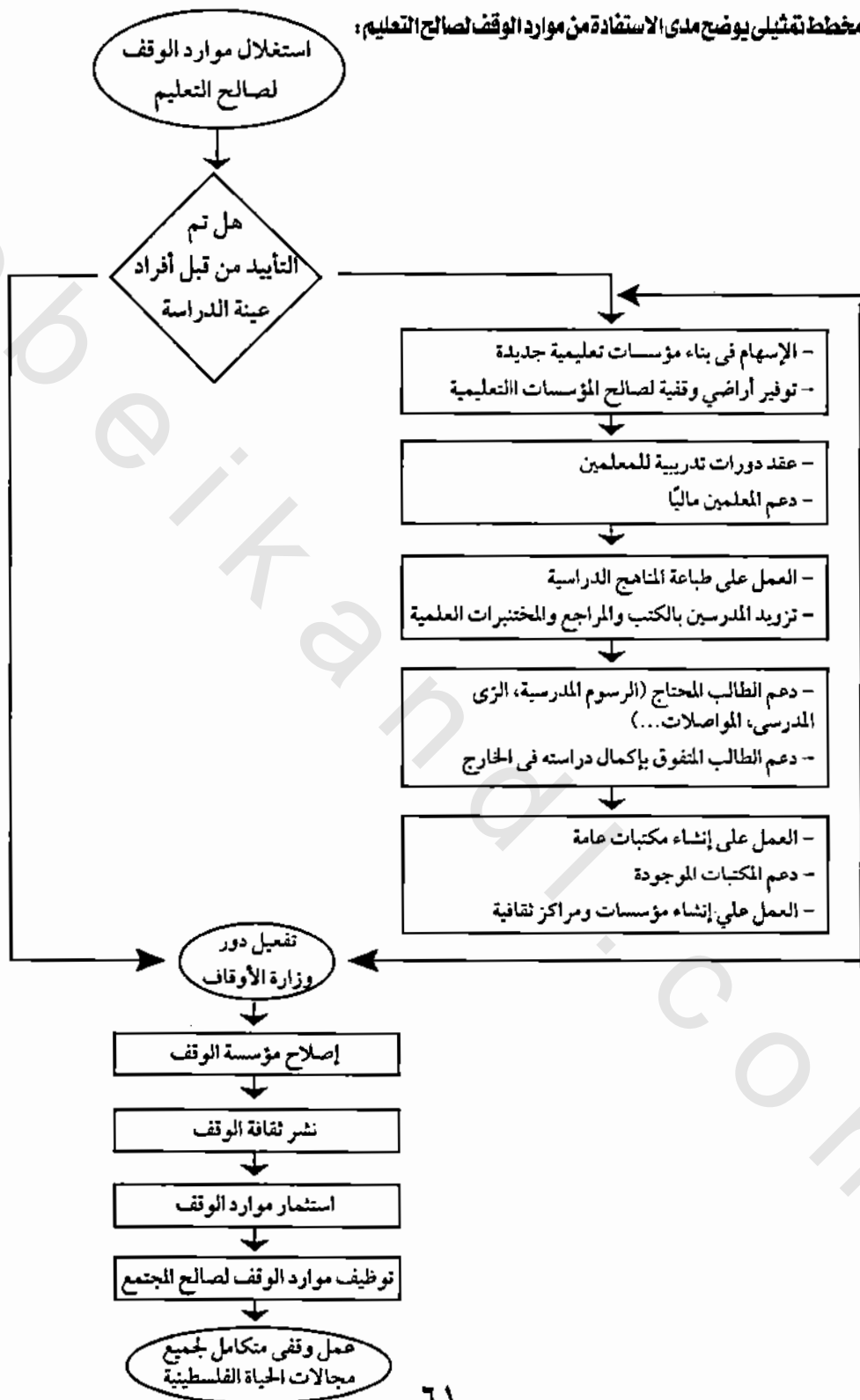
- العمل على طباعة المناهج الدراسية.

- الإسهام في دعم المكتبات المدرسية، والمختبرات العلمية.

هـ- المكتبات العامة (المراكز الثقافية):

- الإسهام في إنشاء مكتبات عامة. والعمل على دعم المكتبات الموجودة.

- ضرورة المساهمة في إنشاء مراكز ثقافية.



المراجع:

- القرآن الكريم.
- ١- أحمد، محمد (١٩٨٣). مؤسسة الأوقاف في العراق ودورها التاريخي المتعدد الأبعاد، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية.
- ٢- الأغا، إحسان (٢٠٠٠). البحث التربوي عناصره، مناهجه، أدواته، غزة: مطبعة الأمل.
- ٣- الأغا، إحسان، ومحمود الأستاذ (٢٠٠٠). مقدمة في تصميم البحث التربوي، ط٢، غزة: الرنتيسي.
- ٤- الأمين، حسن (١٩٩٤). الوقف في الفقه الإسلامي، ندوة البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، إدارة وتنمير ممتلكات الأوقاف، جدة.
- ٥- أيوب، حسن (٢٠٠٣). فقه المعاملات المالية في الإسلام، القاهرة: دار السلام.
- ٦- البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٩٩٢). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: يدار أبي حيان، القاهرة: دار أبي حيان.
- ٧- بوركية، السعيد (١٩٨٣). الوقف الإسلامي وأثره في الحياة الاجتماعية في المغرب، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية.
- ٨- الحسيني، محمد (د.ت). المنهل الصافي في الوقف وأحكامه، القدس: وكالة أبو عرفة.
- ٩- الحنبلي، مجير الدين (١٩٩٦). الأئمة الجليل في تاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمود الكعابنة، الأردن: مكتبة دنديس.
- ١٠- الحنفي، حسام المعاني النعمان برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر (١٩٨١). الإسعاف في أحكام الأوقاف، بيروت: دار الرائد العربي.
- ١١- الدغمي، محمد (١٩٩١). الأوقاف والمساجد، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة.
- ١٢- دمير، مايكل (١٩٩٢). سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين (١٩٤٨-١٩٨٨). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- ١٣- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٩٥). مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- ١٤- الزحيلي، وهبة (١٩٨٩). الفقه الإسلامي وأدلته، ط٣، دمشق: دار الفكر.
- ١٥- الزرقاء، مصطفى (د.ت). أحكام الأوقاف، الجامعة السورية.
- ١٦- السيد، عبد الملك (١٩٩٤). الدور الاجتماعي للوقف، ندوة البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، إدارة وتنمير ممتلكات الأوقاف، جدة.

- ١٧- السدحان، عبدالله (د.ت). الأوقاف وأثرها في دعم الأعمال الخيرية في المجتمع.
- ١٨- أبو سيف، محمد (١٩٩١). التعليم في مدارس بيت المقدس الإسلامية في العصر الأيوبي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عبد الله، عبد الرحمن (١٩٩٣). دليل الباحثين إلى التربية الإسلامية في الأردن، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ١٩- شماخ، محمد (٢٠٠٣). المكتبات الوقفية الإسلامية ومتغيرات عصر التكنولوجيا <http://www.albayan.magzine.com/beyan83/183-06.htm>
- ٢٠- ظاهر، عدنان (١٩٩٠). التعليم في مدارس بيت المقدس الإسلامية في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. عبد الله، عبد الرحمن (١٩٩٣). دليل الباحثين إلى التربية الإسلامية في الأردن، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ٢١- قحف، منذر (١٩٩٧). الأساليب الحديثة في إدارة الأوقاف. <http://Kahf.net/Arabic/MONZERZ.html>
- ٢٢- ابن قدامة، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة (٦٢٠هـ) (١٩٨٠). المغنى على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى، السعودية: مكتبة الرياض الحديثة.
- ٢٣- الكبيسي، محمد (١٩٨٣). مشروعية الوقف الأهلي ومدى المصلحة فيه، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية.
- ٢٤- ابن عابدين، محمد أمين (١٩٨٤). حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، ط ٣، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- ٢٥- أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (١٩٨٤). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ط ٤، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٢٦- العبيدي، صلاح (١٩٨٣). مؤسسة الأوقاف ودورها في الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية.
- ٢٧- المسلي، كامل (١٩٨١). معاهد العلم في بيت المقدس، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.
- ٢٨- عتيقة، حمدي (١٩٩٦). منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التربوية والنفسية، القاهرة: دار النشر للجوامع.
- ٢٩- عيسى، محمد (١٩٨٠). تاريخ التعليم في الأندلس، القاهرة: دار الفكر العربي.
- ٣٠- متولى، نبيل (٢٠٠١). دور المشاركة الشعبية في تمويل التعليم المصري، اشكاليات الواقع وسيناريوهات المستقبل، مستقبل التربية العربية، ع ٢١.

- ٣١- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٣٢- المشقيح، خالد (٢٠٠٢). الأوقاف في العصر الحديث كيف نوجهها لخدمة الجامعات وتنمية مواردها.
- <http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag24/f06.htm>
- ٣٣- مشهور، نعمت (١٩٩٧). أثر الوقف في تنمية المجتمع، جامعة الأزهر.
- ٣٤- المفتي، سحر (د.ت). وقف العلماء والمدرسين في المدينة المنورة
<http://www.al-madinah.org/magazine/issue2/008.doc>.
- ٣٤- المعيلي، عبدالله (د.ت). دور الوقف في العملية التعليمية.
- ٣٦- ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت). لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- ٣٧- النباهين، علي (١٩٨١). نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك في مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- ٣٨- النسائي، جلال الدين السيوطي (١٩٨٦). سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: دار النسائي.
- ٣٩- الهلالي، الهلالي (٢٠٠٣). اتجاهات حديثة في تمويل التعليم الجامعي، المؤتمر القومي السنوي العاشر (العربي الثاني) لمركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة المستقبل في الوطن العربي، جامعة عين شمس، ٢٧-٢٨ ديسمبر، ص ص ٢٠-٦٥.
- ٤٠- ابن همام، كمال الدين محمد عبد الواحد اليواصي السكندري (١٩٧٧). شرح فتح القدير، دمشق: دار الفكر.
- ٤١- وزارة الأوقاف (٢٠٠٠). وزارة الأوقاف والشئون الدينية خمس سنوات... إنجازات وتطلعات (٢٠٠٠)، (د.ن).
- ٤٢- أبو الوفا، جمال، وآخرون (٢٠٠٠). اتجاهات حديثة في الإدارة المدرسية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- ٤٣- أبو يوسف (١٩٨١). كتاب الخراج، تحقيق: محمد البناء، دار الاعتصام.



الشعر العربي في الهند

أ/ خورشيد إقبال الندوي (*)

لقد تنوعت الأغراض الشعرية عند الشعراء الهنود، سواء أكانت أغراض قديمة ورثوها عن أسلافهم، أم كانت جديدة استمدوها من البيئة المحيطة بهم، أو من ظروف الحياة والتيارات الحديثة، حيث لم يترك شعراء الهند فناً من فنون الشعر أو غرضاً من أغراضه إلا وطرقوا أبوابه، وغاصوا في ضروب الشعر مثل الشعراء في البلاد العربية، حيث نجد لهم قصائد في معظم موضوعات الشعر من مدح غزل ووصف وزهد ورناء وفخر وهجاء... وما إلى ذلك.

وهاك تفصيل ذلك:

أولاً: المدح

يُعدُّ المدح أحد الأغراض الأساس في الشعر العربي، له أهمية كبيرة عند شعراء العرب منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، والمدح في الأصل تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثالية، ومزايا إنسانية رفيعة، يتحلى بها شخص من الأشخاص، أو تتجلى في مآثر قوم أو أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، وأفضل المدح ما صدر من صدق عاطفة وحقيقة واقعة، لا يكتب فيه الشاعر ولا يبالغ، وأجمل المدح ما ابتعد عن تمجيد الامتيازات المادية، وأجود المدح ما أخلص فيه الشاعر لنفسه ولحقيقة مدوحه ولخير مجتمعه.

وقد تطور فن المدح في عصر النبي ﷺ؛ وذلك لأن الشعراء الذين أسلموا في ذلك العهد تشرفوا برؤية النبي ﷺ وصحبته، فحاول كل منهم أن يعبر عما يدور في وجدانه من مشاعر وإحساس تجاه النبي ﷺ عن طريق قرض الشعر.

وفي الهند كان المديح النبوي أحد أهم الألوان الدينية التي عرفتها عبر عصورها،

(*) ماجستير الآداب - الهند.

والتي ساعد شعراؤها على تعميق معانيها وترسيخ أصولها، كما بلغ المديح النبوي بالهند درجة عالية من الانتشار والازدهار، حتى لا نجد شاعراً إلا له قصائد أو أبيات متفرقات في مدح الرسول ﷺ، وذلك لما للرسول ﷺ من مكانة واحترام وحب في قلب كل مسلم، فهم يعبرون عن مشاعرهم وعاطفتهم نحو الرسول ﷺ بصدق وإخلاص، ويصلون عليه مرات ومرات بأسلوب جميل وطرز بديع.

وكذلك نالت مدائح آل البيت نصيباً وافراً من الشعر عند شعراء الشيعة، كما نجد بعض الشعراء يمدحون أولياء الله والشيوخ والأساتذة وكذلك الأمراء والسلاطين، لا لمناصبهم وجادهم، ولا لنيل الجوائز واكتساب الأموال، بل من قبيل المدح للمدح والإعجاب بالشخصية، وبالإضافة إلى ذلك تناول الشعراء الهنود خلال مدائحهم الأماكن المقدسة، مثل: الكعبة المشرفة، والمسجد النبوي، ومدينة النبي ﷺ.

ومن مدائحهم:

يقول أحمد التهانسي (ت: ٨٢٠هـ) في مدح النبي ﷺ:

خل الأحاديث عن ليلي وحارتها	وارحل إلى السيد المختار من إدد
وليس في الدين والدنيا وآخرتي	سوى جناب رسول الله معتمدي
بر رؤوف رحيم سيد سند	سهل الفناء رحيب الباع والصفد
بالعلم مكتنف، بالحلم متصف	باللطف ملتحف، بالبر متسد
بالخلق مشتمل بالرفق مكتحل	بالحق متصل، بالصدق منفرد
العدل سيرته، والفضل طيته	والبذل شيمته في الوجد والوبد ^(١)

ويقول الشاه ولي الله الدهلوي (ت: ١١٨٦هـ):

وأحسن خلق الله خلقاً وخلقة	وأنفعهم للناس عند النوائب
وأجود خلق الله صدرًا ونائلا	وأبسطهم كفًا على كل طالب

(١) نزهة الخواطر: ٣/ ١٠-١١، سبحة المرجان ص ٣٨-٣٩.

وأعظم حر للمعالى نهوضة
تري أشجع الفرسان لاذ بظهره
ويقول آزاد البلكرامي (ت: ١٢٠٠هـ)
برهان رب العالمين حبيب
هو نير أسنى الكواكب ساطع
من معشر الإنسان إلا أنه
هو خير من وطئ التراب وخير من
ويقول أحمد رضا خان البريلوي:
وصلاة ربي دائماً وعلى
صلى المجيد على رسوله وفضله
صلى عليك الله يا ملك الوري
صلى عليه الله يا فرد العلى
ويقول القاضي نجم الدين (ت: ١٢٢٩هـ):
محمد أفضل الإنسان قاطبة
له العطاء بلا نقص ولا خفض
ويقول عبد المقتدر الدهلوي (ت: ٧٩١هـ):
محمد خير خلق الله قاطبة
له المزايا بلا نقص ولا شبه
له المكارم وأبهى من نجوم دجى
له الفضائل أجدى من عصا كسرت
له جمال، إذا ما الشمس قد نظرت

إلى المجد سام للعظامم خاطب
إذا احمر بأس فى بئس المواجه^(١)
فى الأمة الأمية العرباء
ملاً الأهله كلها بسناء
إنسان عين المجد والعلواء
صعد السماء وخيرة الشرفاء^(٢)
خير البرية سيد الأكوان
ومحبه ومطيعه بحنان
ما غرد القمرى فى الأفنان
ما أطرب الورقاء بالألحان^(٣)
فخر الملائك زين العقل والرسل
له السخاء بأنواع من المثل^(٤)
هو الذى جلَّ عن مثل وعن مثل
له العطايا بلا من ولا بدل
له العظامم أمضى من قنا البطل
له الشمائل أحلى من جنى العسل
إليه، قالت: ألا يا ليت ذلك لى

(١) نزعة الخواطر ٦/ ٤١١.

(٣) بسائين الغفران، ص ٨٨.

(٢) الديوان الأول، ص ٥-٦.

(٤)، ص ٥١.

ويقول الشيخ محمد على الشيعي (ت: ١١٨٠هـ) في مدح أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه:

وليس عنك سواء العين منصرفا
اسمع كلامي ودع لامية سلفت
فمن أنيني قمام الأيك في طرب
منى الأنين ومنكم يليق بكم

مهما تناشد بالتدعيج والكحل
الشمس طالعة تغنيك عن زحل
قد اقتدى بزفيرى واقتفى رتلى
بذلت جهدى لكم لا بد من بدل^(١)

ويقول السيد ناصر حسين اللكنوي (ت: ١٣٦٠هـ) في مدح سيدنا على:

وجف الفؤاد بلذع حب معنف
كلف بخالسة القلوب خريدة
فتاكة بنفس أرباب الهوى
قمراء وجها في تحندس شعرها
أصمت له قلبا معنى بالجوى

من ناحل صب كثيب مدنف
ترنو بلحظ كالصوارم مرهف
عجالة لهم بحتف مزعف
عفراء لونا ذات قد أهيف
إذا أرسلت طيفا بليل مغضف^(٢)

ويقول فيض أحمد البديواني (ت: ١٢٧٤هـ) في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني:

ملك الثرى بكماله، وهب الهدى لرجاله
بضبياته، بيهائه، بغنائه، ببقائه
برع العوالم كلها ملك المكارم جلها
بلغ الأفاصى والأداني رشح بحر فيوضه

سمع العلنى لعباله قطر الندى بنواله
بولائه، بوفاته، قسما بكل خصاله
جمع المحاسن جمعها بجماله وجلاله
أسف على أسف على مبتكر وضلاله

ويقول فيض الحسن السهانبورى في مدح السلطان عبد الحميد الثانى:

مالى بذى الأرض ومن وال ولا واق
ولا حميم ولا جاد ولا سكن
أئننى عليك ثناء لست أحسنه
تحى الصديق بإكرام يليق بكم

ولا طبيب ولا آس ولا راق
ولا نديم ولا كأس ولا ساق
بذكر ما فيك من سم وترياق
تردى العدو بإحراق وإغراق^(٣)

(١).... الأفراح، ص ١٨٨ .

(٢) نزهة الخواطر ٨/ ٤٨٩ .

(٣) ديوان الفيض، ص ٤٨- ٥٠ .

ويقول ذو الفقار على الديوبندى (ت: ١٣٢٢هـ) فى مدح السلطان عبد الحميد أيضاً:

يا آل عمشان يا فخر الكرام ويا	خير الأنام لأنتم منتهى أملى
جزاكم ريكم خير الجزاء عن الـ	إسلام إذ قد نصرتم سيد الرسل
أغناكم الله بالنصر المبين لكم	عن الإعانة بالأنصار والحوّل
سلو سيوفكم والله ناصركم	على الطغاة من الأوغاد والسفل
أبقاكم الله فى عز وفى شرف	وفى علو وفى مجد وفى مجد وفى زعل ^(١)

ويقول أزاد البلكرامى (ت: ١٢٠٠هـ) فى مدح ناصر جنك بن النواب آصف جاه:

هو ناصر الإسلام سلطان الورى	أبقاه فى العيش المخلد ربه
حاز المناقب والمآثر كلها	جبل الوقار يحبنا ونحبه ^(٢)

ويمدح محمد جان البحرى آبادى (ت: ١٢٣٨هـ) الشيخ أحمد السرهندى فيقول:

بركاته عمّت فواقت كل ما	ذرت عليه الشمس من بحر وبرّ
عمّ الورى طراً سنا آثاره	قرت لرؤيتها عيون ذوى البصر
كم محدث نيرانه خمدت به	إذ طار من نيرانه شرر وشر
كم من موات القلب نال حياته	من فيضه فزها وراق به النظر
كم جاهل غرأه لرشده	فالجهل زال برشده وكذا الغرر ^(٣)

ويقول المفتى سعد الله (ت: ١٢٩٤هـ) فى مدح النواب كلب على خان

(ت: ١٣٠٤هـ):

بحسن تدبيره العالى وفطته	ورأيه صائباً أجلى البراهين
من عدله ألف الأسد الظباء كما	عزلانها صرن أولاً السراحين
فلا يرى فتنة فى عهد دولته	غير الذى فيه عبور الحور والعين

(١) نزعة الخواطر ٨/ ١٤١-١٤٣.

(٢) المرجان، ص ١٢٢.

(٣) نزعة الخواطر ٨/ ٤١٦-٤١٧.

طاب المدائح من مد الأمير كما طاب النسائم من روض الرياحين^(١)

ويقول السيد ظهور الحسين في فضل المدينة المنورة:

من لى بطيبة قد طابت أسرتها بالطيب المصطفى والطاهر والزكى
ياترربة قد حوت علياء شامخة ما أن ينال ذراها فرع أفلاك
طاب الثرى منك لم يبلغ تأرجه فرح العبير وأين المسك من ذاك
فيك النبى لقد جلت مراتبه ذلت لرتبته أعناق أملاك

بعد استعراض نماذج من المدائح لدى الشعراء الهنود، نجد أن المدائح النبوية كانت مقصداً عظيماً لمعظم الشعراء الهنود، حيث يبدأون القصيدة بالصلاة على النبى ﷺ، ثم يأتون بعدها على فضائله ومكارمه ومكانته بين الأنبياء، ثم يذكرون معجزاته خاصة الإسراء والمعراج، كما يذكرون بعضهم جوده وسخاوته وشجاعته، ومنهم من يظهر التشوق إلى زيارة قبره ومسجده، ويختمون المدحة فى الغالب بالاعتذار إلى الرسول ﷺ عن التقصير فى مدحه، وعدم الإحاطة بشمائله ومناقبه أو بالصلاة والسلام عليه، ومنهم من يطلب التشفع منه يوم الحساب.

وأما مدح الحكام والأئمة وأولياء الله الصالحين، فقد تجسمت فيها روح المبالغة والغلو، حتى جعل البعض ممدوحه إنساناً فوق الخيال والتصور.

ثانياً: الغزل

يطلق الغزل على نوع من الأشعار موضوعه الحب والهيام، يذكر فيه المحبوب والخمر والكأس، وكذلك صفات المعشوقة وجمالها، وقامتها وطول ليالى الفراق وشدائده وقصر ليالى الوصل وعوائده، وإسالة العبرات وشكوى الصبايات وما إلى ذلك.

والغزل عامة يصدر عن حب عميق، يعتمد على المعانى الروحية أو الحسية، ويعبر عما يختلج فى نفس العاشق من تباريح الهوى، وما يعرض له فى حبه من أحداث ومفاجآت.

(١) انتخاب ياركاد ٢/ ٤-٣.

وله ثلاثة أنواع:

١- الغزل التقليدى: هو ما يفتح به قصائد المدح والهجاء والرثاء أحياناً، كما نطالع فى قصيدة جرير التى هجا بها الأخطل، حيث قال فى مطلعها:

بان الليط ولو طوعت ما بانا	وقطعوا من حبال الوصل أفراناً
يا أم عمرو جزاك الله صالحة	ردى على فؤادى كالذى كانا
لقد كتمت الهوى حتى تهيمنى	لا أستطيع لهذا الحب كتماناً
لا بارك الله فى الدنيا إذا قطعت	أسباب دنياك من أسباب دنيانا

٢- الغزل الإباحتى (الصريح): هو الغزل الذى يتسم بالمجون والعبث، ويقص ذكريات هجر المحبوبة ووصالها فى كذب وفُحش.

ومن أهم صفات الغزل الإباحتى: عدم الوفاء لحبيبة واحدة، واستباحة وصف مفاتن الجسد، وسرد المغامرات الفاضحة للقاء المعشوقة والاختلاء بها.

وقد نشأ هذا اللون من الغزل فى أشهر مدن الحجاز بين المغنين والمغنيات، ومن أشهر شعرائه: الأحوص بن محمد الأنصارى، وعمر بن أبى ربيعة القرشى. يقول عمر واصفاً ملاقاتها له وما دار بينهما من حوار:

فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى	ألم تتق الأعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا	أما تستحى أو ترعوى أو تفكر؟
إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا	لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

٣- الغزل العذرى: هو حديث الشاعر عن المرأة يتسم بالعفة فى القول، والإخلاص فى الحب، بصف فيه جمالها وحسن حديثها، دون خدش حياتها أو الكذب عليها، ويدور حول محبوبة واحدة.

نشأ هذا اللون ببادية الحجاز فى بنى عذرة وخزاعة بين الشباب الذين أثروا حياة البادية، فكان غزلهم نزيهاً عن الفحش بعيداً عما يخدش حياة الفتاة البدوية.

ومن أبرز شعراء الغزل العذري: جميل بن معمر صاحب بثينة، وقيس بن معاذ (مجنون) صاحب ليلي، وقيس بن ذريح صاحب لبنى، وعروة بن حزام صاحب عفراء، والشاعرة ليلي الأخيلية صاحبة توبة بن حمير.

يقول جميل:

يقولون جامد يا جميل بغزوة	وأى جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة	وكل قتيل بينهن شهيد
ومن كان فى حب بثينة يمتري	فبرقاء ذى ضال على شهيد

وإذا نظرنا إلى دواوين الهنود، وجدنا أنهم عنوا بالغزل عناية فائقة، باعتباره نوعاً مهماً من أنواع الشعر، يسير به حسن تخيل قاتله وتفوق مثاله ورقة طبعه.

وهاك بعض النماذج من غزلهم:

يقول أحمد حسن القنوجي (ت: ١٢٧٧هـ):

فديتك يا نعم الصبا خير مقدم	فكل حمام حين أقبلت رحبا
تحاكي لك الأغصان بالوجد راقصا	تضاحي لك الأطيار بالسجع مطربا
تنفخ فى الأشجار روحاً تمليها	فيالك ما أزهاك صنعاً وأعجبا
هل جئت من تلك الربا برسالة	فإن الصبا نعم الرسول لمن صبا

ويقول عبد الغفور الدانا بوري:

بانث سليمى فما شئ يسلينا	ولوعة البين يشوينا ويصلينا
قامت تودعنى والهجر يمنعهما	وقمت عانقتها والحزن يبكيها
القلب ملتهب والعين ذارفة	وشب نار الهوى والدمع يروينا
غيداء فاتنة هيفاء ناعمة	تحكى نسيم الصبا أعضاؤها لنا
شمس إذا طلعت برق إذا برزت	فتانة بسهام العين ترمينا
خود غدائرها طالت إلى قدم	والفرع يحكى سواداً من ليالينا

ماذا جنينا وليس الحب معصية بأى ذنب هداك ثقلينا
مالت إلينا فولدت بعد ما ركنت صدت فسلت لنا سيفاً وسكيناً^(١)

ويقول فضل حق بن فضل إمام (ت: ١٢٧٨هـ):

فـؤادى هائم والدمع هام وسهـدى دائم والجفن دام
ودمع بل دم صرف جرى من يناطى ساجمًا أى انسجام
وطرف أرمـد يؤذيه غمض وليل سـرمـد ساجى الظلام
طويل لا يقـاس به ظلام فساعته كـشـهر بل كـعام
كأن كواكب الجوزاء نبطت بأجـفـان دوام بالـدوام
حماسى حاضر والوجد باد وجسمى ذابل والشاق نام
سرى فى الغرام فصار غرما وذاك الغـرم من أدهى الغـرام^(٢)

ويقول السيد ناصر حسين اللكنوى (ت: ١٣١٣هـ):

مالى أرى ليلة حفت بأنوار كأنها بضياها ذات أقمار
أ تلك ليلة ليلي إذا رأـت قمرا فصيرته بدوراً عند أنظار
خود حصان مصان شخصها أبدا وضوء غرتها تبريق أبصار
باتت لوامعها حتى بها ائتلفت أنجاد أرض حماها بعد أغوار
لا يعرف الحى ممشاها وإن جهدوا إلا بطيب شذاها الفاتح السارى^(٣)

ويقول آزاد البلكرمي (ت: ١٢٠٠هـ):

أرخى على الستـر ليل داج يا شمس ابن كرامة الإبلـاج
شمس التى حلت ببرج حياثها لا ربة الجـولان فى الأبراج
لا غرو إن شغف العلام بحبها إن الفراش لمغـرم بسـراج
يا أيها الخذاق فى طب الهوى أبـقاكم الرحمن أين علاجى

(١) نزهة الخواطر ٨/ ٢٧٢.

(٢) نزهة الخواطر ٨/ ٤٨٩.

(٣) الثقافة الإسلامية، ص ٥٢، نزهة الخواطر ٨/ ٤٨٩.

ما لان قط فؤادها بلجاجتى ويلين الحجر الأصم لحاجى
ميلان قلب سعاد نحو فؤادنا ميل الحجر إلى رقيق زجاكى

ويقول السيد طفيل محمد الحسينى (ت: ١٢٣٤هـ):

قلنا له عينك النجلاء باخلة فيها الرنو إلى العشاق مفقود
فقال العين قد جاءت مؤنثة وفى الإناث طريق البخل محمود

ويقول عبد الرحمن الغاز بيورى (ت: ١٣٣٤هـ):

العشيق أمر لو أبوح بسره تالله لم يك فى الدنيا مريح
شمس بها شمس السماء مضيئة مسك إذا مرت عليك تفوح
لا عيب فيها غير أن فؤادها إذ قيل جودى بالوصال شحيح
يا ويلتى ما فزت قط بمقصدى بل مسنى من قطعة التبريح
فالآن لا نفس اشغلى بثناء من ذاكره للقلب الحزين مريح

من المعروف أن معظم الشعراء الهنود كانوا علماء؛ ولذا لا يمكن أن يخرج نسيبهم من ذلك النوع الذى يعرف فى الأدب العربى بالغزل العذرى متمثلاً فى الحب الطاهر، والذى يقوم على تهذيب النفس ورقة المشاعر والسمو بالأحاسيس وغيرها، مما يدعو إليه الإسلام والإنسانية من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة؛ لأن التعبير عن الحب العفيف وتصوير النسيب الطاهر أمر أصيل فى الطباع السليمة والمستقيمة، يتفق مع فطرة الله التى فطر الناس عليها، ويتلاءم مع القيم الإسلامية والوجدان الروحى بما لا يخدش الحياء ولا يجرح المشاعر، ولا يدعو إلى الخرج أو الضيق، ولا يتنافى مع العواطف الإنسانية الراقية المهيبة وغير ذلك مما يتناقض مع الغزل الهابط والنسيب الفاضح والتشبيب المكشوف والعبث الماجن.

من هنا نجد شعراءنا لا يستخدمون ألفاظاً وصوراً تخدش الكرامة، وتنال العرض وتحط من الشرف والعفة مما ينهى عنه الإسلام، وتأباه النفوس الأدبية، وتنفر منه الإنسانية المهيبة بل

كانوا بعيدين كل البعد عن ألفاظ القبح وكشف العورات والسواظ وأساليب التهتك والاستهتار، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بـ "نحوى الحب".

ثانياً: الوصف والتأمل في الطبيعة:

إن فن الوصف قديم درج عليه الشاعر العربى منذ أقدم العصور، حين وصف الشعراء الجاهليون صحراءهم الجافة وكتبانهم الرملية وشمسهم الحارقة، وحيواناتهم التى كانت تحيط بهم، إلا أن أوصافهم لم تتعدى مرتبة التصوير العينى والتشابه الحسية والمعنوية.

ثم جاء شعراء العصرين الأموى والعباسى ومن بعدهم شعراء الأندلس، وتأثروا بمناخات الحضارة والعمران، فتطور فن الوصف على أيديهم، وارتقى إلى مراتب عالية من الصياغة الوجدانية العميقة، ومن سطوع التعبير الفنى، نلاحظ ذلك بوضوح فى شعر أبى نواس وأبى تمام وابن الرومى والمتنبي وسواهم ممن بلغ الوصف على لسانهم مرتبة الروعة، مضموناً إنسانياً ذاتياً، وشكلاً أسلوبياً بناغم محتواه، وينسجم مع أغراضه، قياساً على وصف الشعراء الجاهليين، ومن دار فى فلكهم من شعراء الطبع والبداءة.

هذا، وإن النظر فى هذا الكون الفسيح بعوالمه المختلفة والمتعددة أمر يجعله القرآن ويحضر عليه، وإن إسماعيل النظر فى حديقة أو شجرة أو زهرة أو طائر، وكذلك فى القمر والشمس يفتح آفاقاً رحبة وأفكاراً جديدة، بل هذا رافد من روافد تربية الأذواق وتهذيب الطباع على نحو يجعلها ذات ملكة جمالية تمج القبح وتنفر منه، وتأنس للجميل وتميل إليه.

وإذا يممنا صوب الشعر الهندى، فإننا نلمس فيه هذه التأملات الرائقة والنظر الدافق نحو مظاهر هذه الطبيعة، وما ذلك إلا لارتباطه ارتباطاً وثيقاً بكل نواحي الحياة ومشاهد الجمال، فنرى الربيع بسمته المعروف وأثره البالغ، كما نجدهم يصفون الرياض وأنوارها، والحدائق وأزهارها، والطبيعة ومناظرها.

وها هى النماذج:

يصف فضل حق بن فضل إمام (ت: ١٢٧٨هـ) الأعضاء وصفًا حسياً فيقول:

سقاني مداً بالرضاب مشعشا	يدومه بالريق حين يسور
لثمت فجازي والتزمت فضمني	به وكلانا هائم، وسكور
فبتنا كما شئنا ضجيعي محبة	وطوع هوانا بهجة وسرور
وبانت يدمني وشاحاً للكشحه	ومائم فينا كاشح وختور
إذا عبرت عن لوعتي عبرة جرت	جری فجری من عارضيه عير ^(١)

ويصف آزاد البلكرامي (ت: ١٢٠٠هـ) أعضاء العشيقة فيقول في الحاجب:

أبصر حواجبها وأدررك كنهها	غصنان متحنيان وسط البان
أو كافرين يشاوران ليوقعا	آمالنا في موقع الحرمان

ويصف فيض الحسن السهار بنوري (ت: ١٣٠٤هـ) حاله، فيعبر عن مشاعره بصدق

واضح فيقول:

أنا مدنف منهموك	أنا بئس صعلوك
لكن في قلبي غنى	لم يحظ منه ملكوك
فلن تراني باكياً	إذا تعبني ضحكوك
وأما لمن هو تشارك	وكم امرئ متروك
قد كان لي ما كان إذ	كان الشاب يحوك ^(١)

ويصف الشيخ عبد العزيز الدهلوي (ت: ١٢٣٩هـ) مدينة دهلي قائلاً:

يا من يسائل عن دهلي ورفعتها	على البلاد وما حازته من شرف
إن البلاد إمء وهي سيده	لأنها درة والكل كالصدف
فاقت بلاد الوري عزاً ومنتقبة	غير الحجاز وغير القدس والنجف

(١) مجموعة فضل حق، ص ٤٦-٤٧.

(٢) ديوان النفيض، ص ٥٠.

سكانها هم جمال الأرض قاطبة
لا غرو إن زينت الدنيا بزيتها
وماء جون^(١) جرى من تحتها فحكى
أنهار خلد جرت من أسفل القرف
خلقًا وخلقًا بلا عجب ولا صلف
كم من أد علا بابن ذوى شرف

ووصف السيد يوسف الواسطي (ت: ١٧٢هـ) يستأنًا فقال:

لاحت لنا روضة راقية مباسمها
فلا تخل، تلك أوراد بسمن لها
ووصف السيد حسن اللكنوي "الربيع" الذي يخضر المراتع ويريح الأسماك والأنظار
ويفرح الطبايع قائلاً:

جاء الربيع بأسمد الأحيان
قد أشربت في الروض ماء نضارة
صارت كأمثال العرائس بهجة
قد صار معتدلاً مزاج نسيمها
فأزاح على جملة الأحزان
شجراتها المهزولة الأغصان
تحكى ملابسها ثياب جنان
فجنوبها وشمالها سيان

وقال آذداد واصفًا الربيع:

أدرك علينا لقاء منك يكفيه
كنمت دائي عن العزال مجتهداً
وطرفك الناعس المراض يشفيه
ما كنت أدري نهول الجسم يشفيه

ويصف المفتي محمد عباس التستري (ت: ١٣٠٦هـ) الطبيعة فيقول:

وإن شمت أنفًا برقًا ودقا
عرقن من الجرى فانصب قطر
ومهما تهب على الباغ ريح
تخلت فيها جيادًا عتاقا
ترقرقهن على الدرفاقا
أدار الرياحين كأسًا دهاقا

(١) نهر من الأنهار الكبيرة في الهند تسمى "جمنا".

ويعصف باقر آكاه بعض الأزهار الهندية فيقول في زهرة 'صبا':
 أيا سائلاً عن زهرة صبا فإنه غداريحه روحاً وروحاً لنا شق
 تلاقى به حسن وحشوق كلاهما له نضرة المعشوق في وجه عاشق

من كل ما تقدم ندرك أن للطبيعة ميداناً عريضاً في فن الوصف الشعري، فقد كانت منبعاً غنياً لاستخراج الصور والتشبيهات، وأفقاً رحباً لتحليق الخيال، ومصدراً مهماً للاستلهام والاستيحاء، فاستحوذت بفضل الله على حواس الشعراء وأذواقهم، وتسربت ألفاظها وتعبيرها وألوانها إلى الفنون الشعرية الأخرى.

إن شعراء بلدنا عنوا وصف أشياء عديدة، ولم يقتصر فنهم على الطبيعة بما فيها من مظاهر فحسب، بل تجاوز إلى غيرها من موجودات، ولم يتركوا شيئاً أثار فيهم إعجاباً أو خلق اندهاشاً، أو هز شعوراً، إلا قالوا فيه، فقد وصفوا الرياض بما فيها من أزهار، والبساتين بما فيها من أشجار وأثمار، والمدن بما فيها من حدائق وقصور وأسواق وشوارع، كما وصفوا الأنهار والجبال والأمطار والمواسم إلى ما هناك من موضوعات كثيرة صادفتهم في حياتهم أو أملت بمجالسهم أو طرأت على ظروف حياتهم.

رابعاً: الرثاء

الرثاء هو ذكر مناقب الميت والبكاء عليه، وهو من أهم أغراض الشعر العربي، يعبر الشاعر فيه عن مشاعر الحزن واللوعة، التي تنتابه لغياب عزيز فجع بفقده، أو لكارثة تنزل بأمة أو شعب أو دولة، والعاطفة فيه أصدق منها في المدح لإخلاص الشعراء لمن يرثونه، وصدور رثائهم عن الطبع وفاء لمن ذكروا لا طمعاً في نوالهم.

والحديث عن الرثاء أشبه بالحديث المعاد لا يكاد شاعر فيه يختلف عن الآخر، وكلما كان الشاعر مثيراً للأشجان موقظاً للأسى مضاعفاً للحزن، كان ناجحاً في الوصول إلى غرضه من الرثاء، ويحتفظ لنا ديوان الشعر العربي على مختلف عصوره بمراث تُعد من أجمل ما قيل في الشعر، تتردد فيها صولة الموت، وسلطان الفناء، وتتضمن أبياتاً حكيمة

تدعوا إلى الاعتبار والزهد، كما تتضمن الإشادة بمآثر المراثى، وفداحة المصيبة.
وبالنظر إلى أهمية هذا الفن عند الشعراء، نجد شعراءنا يهتمون به كذلك، ويجعلونه
غرضاً من أغراضهم الشعرية.
وهاك النماذج:

يقول فضل حق بن فضل إمام في رثاء صديقه الحميم محمد فيض الله خان المقتول
ظلمًا:

علا زفيرى ودمع العين بنحدر	وبلنى الدمع والأحشاء تستعر
مالى أوارى وهو مستعر	بين الحشاد وما النيران تستعر
مالى أرى الليل لا ينجاب ظلمه	كأنما ظل فيها الشمس والقمر
كأن ليلى بيوم الفصل متصل	فما له دونه صبح ولا سحر ^(١)

ويقول فيض الحسن (ت: ١٣٠٤هـ) في رثاء مولوى كل محمد:

نبكى ونذكر سرّاً أو علانية	ما كنت تعطى بإعلان وأسرار
الدمع منسجم والقلب مضطرم	فنحن مذبذب بين الماء والنار
أرثيه حبّاً على حب ويشهد لى	همى وغمى وتذكارى وأشعارى
شقت ما كان من ثوب على فها	أنى أنا اليوم لا كأس ولا عار
أبكى عليه طويلاً حين أذكره	ولا أبالنى بإقلال وإكثار ^(٢)

ويرثى آزاد البلكرامى فيقول:

برق أضاء من الزوراء يشجبنى	يارب ماله يبكى ويبكىنى
أنى لسان يؤدى شكر أنعمه	بالماء والنار يروينى ويورينى

(١) مجموعة فضل حق ص ١١٩ .

(٢) ديوان الفيض، ص ٦٤-٦٥ .

لا يذهب الغل ماء المزن من كبدى
إنى لشمع قبيل الصبح محتضر
تبكى وتذكرنى الوفاة فهل
بل ماء ياقونة اللمياء يروينى
ما سرعة الأجل الموعد تبقينى
بكاؤها بعد ما ثويت بجدينى^(١)

ورثى فيض الحسن السهانبورى أستاذه فضل حق الخير أبادى فقال:

عمى دار سلمى فأسلمى ثمة اسلمى
سقاك غواد ما بقيت هواطل
عافك البلى حتى نكرناك بعد ما
كأن لم يكن عهد لنا بك سابقا
فياك من دار عفتها رواس
نقضن عهوداً لى عليها شواهد
وإن لم تحيرينى وإن لم تكلمى
وآخر دعوانا أنعمى ثمة العمى
عرفت ولم نعرفك قبل التوهم
ولم نك يوماً فيك نلهو ونترمى
ولو كان فيها أهلها لم تهدم
فرحن فمن يرثى لصب متيم^(٢)

ويرثى السيد يوسف (ت: ١١٧٢ هـ) جده قائلاً:

يا للإمام الذى جلست مناقبه
أعطاه رب الورى فى الكف توسعة
أجد بنيان مجد دارس الرسم
وزاده بسطة فى العلم والجسم

ونظم عبد الحميد الصادقورى (ت: ١٣٢٣ هـ) قصيدة طولة يرثى فيها حالة المسلمين

قائلاً:

فوا أسفا ونحن بنو كرام
ذوى الأعلام والأقلام طرا
وقد كانوا ملاذ الناس طرا
وتخضع عند رؤيتهم رقاب
فصبرنا نحن وهن وهون
توارث فيهم علم وجود يزينهم
المكارم والجنود
لكل مصيبة خصوا ونودوا
وترعد الهزابر والفهود
يرق لنا المعاند والحسود^(٣)

(١) نزهة الخواطر ٦/ ٢٠٥.

(٢) ديوان الفيض، ص ٦٤-٦٥.

(٣) نزهة الخواطر ٨/ ٢٣٠، الثقافة الإسلامية، ص ٥١.

كما نظم وحيد الدين الحيدر آبادى (ت: ١٣٤٤ هـ) قصيدة في رثاء الأمة الإسلامية قال فيها:

هل من سبيل إلى وصل الألى بانوا	بينى وبينهم بيد وقيعان
أو للزمان رجوع بالوصل إذا	كانت له كالرحى فى الدور أحيان
أو للدموع وقود وهى جارية	تدمى شئون أراققتها وأجفان
من لى بشوقهم ما يدل إلى	أرض بهالى أوطار وأوطان
بيض كواعب مذ شدت ركاتبها	قلبى إليهن مشتاق وحنان
عينى تفيض على صدر به حرق	حباً لتجمع أمواه ونيران
قلبى به ألم كالنار مضطرم	والدمع منسجم والجفن ملآن
مالى أرى زمناً بالشر يحزننى	وظل يلقف قومى وهو شعبان
أين الألى أدركوا بالسعى من رتب	ما لا يسامته بدر، وكيوان
أين الألى رتقوا فتق الورى وحموا	ديننا به نسخت فى الدنيا أديان ^(١)

يبدو مما سبق من أبيات وقصائد فى موضوع الرثاء أن شعراءنا لم يقرضوا هذا النوع من الشعر، باعتباره فناً من فنون الشعر أو غرضاً من أغراضه، أو ليعترف الناس بفضلهم وعلو كعبهم فى جميع ضروب الشعر، ولكنهم رثوا أولئك الذين أحبوهم، وحزنوا على فراقهم، وبكوا على موتهم، كما تألموا وحزنوا على ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية، وما نزلت بها من أحداث ومفاجآت، ولذا نجد مراثيهم نعب عن صدق؛ لأنها صدرت عن قلوب حزينة، وأكباد محترقة، ومشاعر مكلوثة.

خامساً: الزهد والوعظ

ازدهر هذا النوع من الشعر بشئى صنفه وألوانه منذ زمن بعيد، وكان من أسمى الأغراض الأدبية عند شعراء الصوفية، بل يعد أهم الأغراض عندهم، ومن أشهر من قرضوا

(١) المنتخب من الشعر العربى، ص ٣٤٧-٣٤٨.

الشعري هذا المجال ذو النون المصري، وابن الفارض، والشريف الرضي، وأبو الحسن
الخصري، وفي العصر الحديث محمد مصطفى الماحي، وسيد قطب، وإبراهيم عزت،
ومحمود أبو الوفا، وعامر البحيري، وعزت شندي، وعبد الله شمس الدين، وعمر بهاء
الدين الأميري، وغيرهم.

وإذا كانت اللغة العربية نشأت في شبه القارة في أحضان المدارس الإسلامية، بإشراف
رجال الدين وعلماء الشريعة، فلا غرابة أن نرى فيها الحماسة الإسلامية، والنزعة الدينية.
بل إننا لو تصفحنا تاريخ الأدب العربي في الهند، وجدنا أن هذا النوع من الشعر قد
حظى بنصيب أوفر، واهتمام أكبر لدى الشعراء الهنود.

وفيما يلي النماذج:

يقول فضل حق بن فضل إمام:

ألا إنما الدنيا غرور وإنما	العظام عظام والقصور قبور
وقد رجت الأرضون والناس كلهم	سكاري حيارى والجبال تسير
أيا نفسي إن جمت ذنوب ركبتها	فلا تقنطى إن الإله غفور ^(١)

ويقول فيض الحسن السهانبوري واعظاً نفسه:

حان الرحيل ولا زاد وراحلة	ولا رفيق ولا ما كان منوباً
أذكر ضريحك إن ضعت فيه غدا	وذروا لك طيب النوم منسياً
لا تعص ربك فيما قد أمرت به	فإن تكن عاصياً ألقيت معصياً
ولا تجالس أخاً إلا أخاً ثقة	في الخلق والخلق لا تلقى له سباً
وإدع الإله وقل رب اعف عن رجل	منى أئيم بعد البر سخرياً

ويقول عبد الحميد الفراهي (ت: ١٣٤٩هـ):

أما للناس أحلام	أهم في السكر نوام
-----------------	-------------------

(١) مجموعة فضل حق، ص ٤٧.

وهم وارد حـمـوض المـو
وريب الدهر يـبـريهم
فـحـبـل المـوت مـمـدود
وهم باللهـمـو واللـذا
وهم لا بـد مـحـشـوـرو
عن النـعمـاء مـسـئـولو
ويقول السيد ناصر الحسيني:

أيا غافلاً عن حديث النشور
إي أين أهل الوفا والتقى
ألا حول بيت الهوى لا تطف

ويقول أحمد بن مصطفى الكوياموى (ت: ١٢٣٤هـ):

ظلمت وكنت بين الظالمينا
أضعت العمر في كسب الخطايا
أطعت النفس حيناً بعد حين
أنخت النوق في بيداء غى

ويقول السيد أحمد حسن الحسيني (ت: ١٢٧٧هـ):

ألا يا جالساً في كل نادى
أتيت مجالس البدعات طرا
وما من محفل الأحداث إلا
فويك يوم يؤخذ بالنواصي

(٢) نزعة الخواطر ٧/ ٤٩٣-٤٩٧.

(٤) إتحاف النبلاء، ص ٢٧٢.

(١) ديوان الفراهي، ص ٢-٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٧/ ٣٧.

ويقول المفتي محمد عباس التستري (ت: ١٣٠٦هـ):

أتتنا منايانا على حين غفلة وقد طالما كنا نخوض ونلعب
فقبل لنا قوموا سراعاً وسافروا فسرنا وما غير الجنائز مركب
فساروا بنا سيراً إلى دار وحشة وظلماً وما فيها من سراج وكوكب
وكم ذات خضر ضامر تحت صخرة لها أعين سود وكف مخضب
وكم طرى الجسم أصبح جيفة وقد كان في شم الرياحين يرغب

ويقول القاضي طلا محمد (ت: ١٣٩٠هـ):

يا رب يا سيدى لا تنتهى أملى ما لى سواك لكشف الضر والضرر
يا ربنا إرحم على فقير بمسكتى هب لى ذنوبى وابعدنى عن السقر
يا رب أكرم على عبد سهى وأسى فى الذنب منغمس فى الإثم منغمر
فكم سهى فى مشيب العمر واجبه وكم أسى فى شباب غير معتكر
أنت الغنى فلا يخشى احتياجك فى شئ وأنت الغنى عنى وعن وزرى^(١)

ويقول السيد مرتضى البكرامى:

نوكل على مولاك واخش عقابه وداوم على التقوى وحفظ الجوارح
وقدم من البر الذى تستطيعه ومن عمل يرضاه مولاك صالح
وأقبل على الفعل الجميل وبذله إلى أهله ما سطعت غير مكالح
لا تسمح لأقوال من كل جانب فلا بد من مثن عليك وقادح^(٢)

يتضح من استقراء الأبيات المذكورة، أن بواعث الزهد والورع تختلف وتتنوع بحسب الأشخاص ومواقفهم من الحياة والناس، ومن ثم تنعكس على الشعر، فتعطيه طعمًا ومضمونًا موافقين لتلك البواعث، ومنسجمين مع هاتيك المواقف، والتصوير الأدبى فى تلك الأبيات لا تخلو صوره من الوجدان الروحى، الذى يقوم على النجوى

(١) نزهة الخواطر ٨، ١-٢.

(٢) إتحاف النبلاء، ص ٢٧٢.

القلبية في حب وإخلاص؛ ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وشكراً لنعمه التي لا تُحصى، واستغفاراً من الذنوب والمعاصي، كما يكون - أحياناً - بدافع الرهبة والخشية من الموت، لاسيما وقت الشيخوخة.

سادساً: الفخر

هو من أخص صفات العرب ومن أوسع الأبواب في شعرهم، والفخر بالقبيلة والأحساب وكذلك بالكرم والشجاعة سمة لازمة للعرب منذ القدم، وكانت مبعث فخرهم وزهورهم على مر العصور.

والفخر قديم في الآداب العالمية، إلا أنه يحتل في الآداب العربية منزلة خاصة، حتى لا نكاد نجد شاعراً جاهلياً يخلو ديوانه من أبيات ومقطوعات في التفاخر، يمتدح فيها الشاعر مناقبه ويعدد مآثره ويشيد بما تتحلى به قبيلته من صفات ويمتاز به قومه من فضائل.

وأجمل الفخر ما صدر عن صدق عاطفة، وحققة واقعة، وأبقى ما ابتعد عن المغالاة، واشتمل على قيم إنسانية رفيعة ومثل حضارية جلية.

وفي الديوان الشعر العربي على مر العصور واختلاف البيئات آيات من الفخر رائعات، نهيب بالقارئ إلى اعتناق مثلها وبلوغ مقاصدها، لكن يبدو أن هذا النوع من الشعر لم يكن شائعاً بين الشعراء في شبه القارة كأنواع أخرى، إلا أن بعضهم أنشدوا في هذا الباب أيضاً. وهاك الأمثلة:

يقول فيض الحسن السهاري:

سَلِ النَّاسَ بِي كُلِّ دَانٍ وَقَاصِ	تَجِدُنِي ذَوَابَةَ قُومٍ حِرَاصِ
عَلَى بَذْلِ مَا فِيهِمْ مِنْ خُلُوصِ	وَإِتْلَافِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ خِلَاصِ
وَمَا زَالَ مَنَا كَرِيمٍ جَوَادِ	يَجُودُ عَلَى الْمُجْتَدِي كَالنَّشَاصِ
وَنُظْمِنَ بِالرَّمْحِ تَحْتَ التَّرَاقِي	وَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فَوْقَ الْقَصَاصِ
تَرَى بَيْنَنَا كُلَّ غَرٍّ كَمِي	عَلَى كُلِّ نَهْدٍ شَدِيدِ شَنَاصِ

فنفينا ومنا كمة حماة ومن لا يبالي بيوم عماص
إذا ما رأى بأسنا من أتانا يفر على ماله من حصاص^(١)

ويقول أحمد بن مصطفى الكوبامؤى (ت: ١٢٣٤هـ):

أما تدرى بآبائي وربي أولئك أهل مجد واحترام
صوارمهم حتوف للأعداى أياديهم حياة المستهام
ولاة فى بلاد العز جما حماة للجنة عن الغرام^(٢)
ويقول يوسف الخانبرى:

سلى يا سليمى كل ذى المجد عن ذكرى أذو شرف مثلى عهدت بذا القطر
أخو الهمة العليا أصيل مكرم ولى عهد المكرمات مع الفخر
شديد على أهل الضلال غائظ وبين أصحاب الهداية ذو البر
صبور على البأساء والضر التوى وليس على رزة المذلة ذا صبر
وآباؤنا من أشرف القوم سادة كرام أولى المجد المؤثر والذكر^(٣)

وهكذا نجد هذا النوع من الشعر فى دواوين بعض الهنود، يعرض فيها الشاعر نواح شتى من كرمه وجوده، وحسن لقائه للضيوف والأقارب والأصدقاء، كما نجد بعضهم يفخرون بالحسب والنسب والمروءة والكرامة، وأحياناً بالشجاعة والقوة وعدم الخضوع لأى نوع من أنواع الضغوط مهما كانت الظروف.

سابعاً: الهجاء

هو غرض من أغراض الشعر، يقوم على تقبيح صورة فرد أو جماعة، أو عادة من العادات، أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود.

(١) ديوان النفيض، ص ٧٦.

(٢) نزهة الخواطر ٧/ ٣٧.

(٣) نزهة الخواطر ٨/ ٥٢٧.

والهجاء تعبير عن احتقار الشاعر للمهجو، والرغبة في الخط من شأنه، والهزاء به ومسخه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

والهجو من موضوعات الشعر العربي في جميع عصوره، طرقة شعراء الجاهلية في مقابل المدح والفسخ، وكان أشهر الهجائيين في الجاهلية الخطيئة (ت: ٥٩هـ - ٦٧٩م) الشاعر المتشرد الذي كان يمدح من أناله ويهجو من رده، وقد بلغ من إدمانه الهجو أن هجا نفسه بقوله:

أرى لى وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

واتخذ الهجاء في صدر الإسلام وجهة تحزبية طائفية، ثم اتسع نطاقها في العصور اللاحقة، حتى أصبح لكل حزب ولكل فئة شعراء يهجون مهاجمين ويمدحون مدافعين، فضلاً عن ازدهار الهجاء الفردي، الذي استعر بين الشعراء أنفسهم، وعرف كلا اللونين الإفداع في الكلام، ولم يتورع شعراء كالأخطل والفرزدق وجريز عن القذف والسباب ونهش الأعراض دون وجل أو حياء، كما لم يتردد شعراء النزاع الحزبي والشعوبي عن هتك الأستار ونشر المعاييب والمثالب.

أما في الهند، فلا نجد شاعراً هجا شخصاً بعينه، من الشعراء الذين قرضوا الشعر باللغة العربية، إلا أننا نجد شاعراً واحداً هجا البلدة التي أقام بها في آخر عمره، حيث لم يعجبه أهلها وجوهاً فهجاها وذمها ذمّاً شديداً يقول:

لقد حللت على بالي وبالي	بلدة ما بها عى ولا خالى
بلدة لا ترى فيها فتى كملت	جيرانه وجليسا ناعم البال
بلدة قد خلت عن كل مكرمة	وهل سمعتم بمصر فارغ خال
بلدة ما بها مجد ومأثره	وما بها من كريم النفس مفضل
إلا كلاب وثيران وأحمره	ومن يماثلها من دون أمثال
ويلمها دار سوء دار منقضة	سكانها شر أرزال وأنذال

قوم لهم كل مخزاة ومنقصة وكل ذم وعار خلف إذلال^(١)

وبعد سرد أنواع من الشعر ونماذجه، يتضح لنا أن الشعراء الهنود نظموا في معظم أبواب الشعر، وأضافوا إلى الشعر العربي كمًا كبيرًا من الأبيات والقصائد، كما أن محاولتهم في هذا المجال محاولة لا بأس بها؛ لأنهم ليسوا عربًا، وإنما نشأوا في بيئة أعجمية وتعلموا اللغة العربية عن مثلهم من الأعاجم.

(١) ديوان التقيض، ص ٥٤-٥٥.

معوقات الإبداع والابتكار في البحث العلمي الجامعي

د/ عزة مختار البنا(*)

مقدمة حول مشكلة البحث وأهميته:

يشهد المجتمع الإنساني تحولاً كبيراً، وهو في سبيله إلى عصر جديد بدأت ملامحه في الأفق بعد فترة امتدت طوال الخمسين عاماً الأخيرة من القرن العشرين، ويمثل هذا التحول أهم التحديات التي تواجهها الإنسانية، فقد أدت الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة إلى ظاهرة العولمة، وأدى انتهاء الحرب الباردة إلى سيطرة القطب الواحد، وأدى التغيير في الوزن النسبي لعناصر الإنتاج إلى اقتصاد المعرفة ومجتمع المعلومات، كما أدى انهيار القطاع العام إلى التوجه نحو اقتصاد السوق. كل ذلك يؤكد أن العصر الجديد سوف يشهد تغيراً شاملاً في طبيعة المعرفة، وفي أنماط الإنتاج والاستهلاك، وفي نظام السلطة والإدارة، بل وفي خصائص الحياة اليومية للناس.

من هذا المنطلق تتوحد الرؤى على أن التحديات التي يحملها العصر الجديد لن يتصدى لها إلا رأس المال البشري دائم الترقى والنمو سواء على المستوى الفردي أو على صعيد المجتمعات من خلال إنتاج وإتقان العلم والتكنولوجيا، بمعنى أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأي مجتمع سوف تعتمد على ما يمكن لأعضائه أن يقدموه لمجتمعهم من نتاج فكري وعقلي وعضلي، وكلما زاد نصيب النتاج الفكري والعقلي عن النتاج العضلي زاد الإنتاج بمعدلات أكبر وحقق الرقي والرخاء.

ومن هنا تأتي أهمية الاعتراف بالبحث العلمي باعتباره بشكل عنصرياً أصيلاً في تكوين الثروة، كما أن البحث العلمي يعمل على تحقيق عملية ربط التراكم المعرفي بالتطبيق، وتحويل المعرفة إلى منافع ملموسة للأفراد عن طريق العلم والتكنولوجيا، كما

(*) أستاذ علم الاجتماع المساعد

أنه يساهم في حل مشكلات المجتمع وقضايا الإنسانية مثل الأمية، والتعليم، والصحة، وتأمين الحياة اللازمة للبيئة والتلوث والقضايا الأمنية والزراعة والمواصلات ... الخ.

لقد أدرك العديد من الدول المتقدمة أهمية البحث العلمي باعتباره الطريق الأوحده لتقدمها، وأداة وضعها في مكان الصدارة، فاهتمت ببناء العقول القادرة على قيادة رفعة البحث والابتكار في المستقبل، ورصدت الميزانيات الخاصة لتمويل البحث العلمي، ويبدو ذلك واضحاً فيما تخصصه تلك الدول للإنفاق عليه، حيث رصدت الولايات المتحدة الأمريكية (٥, ٢٪) من إجمالي الناتج المحلي للبحث العلمي، وأنفقت اليابان (٨, ٢٪)، والسويد (٦, ٣٪)، وألمانيا (٤, ٢٪)، وكوريا (٨, ٢٪) من ناتجها المحلي وذلك في عام ٢٠٠٣^(١).

كما تزايد اهتمام الدول المتقدمة بإقامة علاقة وثيقة بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج، فالصناعة في تلك الدول تسهم في التخطيط للبحث العلمي، وتوفير الموضوعات والمشكلات التي يتم تناولها، كما أنها توفر له الإمكانيات والموارد اللازمة. ففي الولايات المتحدة بلغت نسبة ما أنفقته الصناعة على البحث العلمي (٦٠٪) عام ٢٠٠٣، وفي اليابان (٧٠٪) وفي ألمانيا (٦٠٪) وكوريا (٨٢٪) والصين (٤٠٪)^(٢)، ومن ثم أصبح البحث العلمي لا يعتمد على دعم الدولة وحدها، وإنما يعتمد - أساساً - على إسهامات المنتجين والشركات الضخمة التي تدخل في شراكة مع الجامعات ومراكز البحث العلمي.

إن وجود علاقة تبادلية بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج يرتبط بعدة أمور :

- (أ) أن العملية الإنتاجية أصبحت تعتمد على قواعد المعرفة والتكنولوجيا ولا سبيل لنقل المعرفة وتطبيق التكنولوجيا إلا من خلال مراكز البحث العلمي.
- (ب) أن كلفة البحث العلمي في ارتفاع مستمر، ويحتاج إلى دعم متواصل، وإلى مصادر تمويل غير تقليدية.

(1) Stanford University, Research, Science, and Innovation National Innovation systems, U.S.A. <http://WWW.P4Stanford.edu/group/STS.279handouts/H21.htm>.

2. (2) Ibid. p. 3.

(ج) أن ذلك يؤدي إلى الاعتماد على الذات، وعدم استقطاب خبراء من الخارج، وتوفير الملايين التى تُصرف على الاستشارات التى تقدمها شركات ومؤسسات غير وطنية^(١).

إن الثروة الحقيقية لبلد ما لا تقبع فى مواردها الطبيعية، ولكن فى جودة العلم والقدرة على استخدام المعرفة الناتجة عنه خصوصاً، لدى عمليات التنمية القومية. فعلى سبيل المثال لا تمتلك اليابان أية موارد طبيعية، ولكنها أنشأت ما يزيد عن ١٢٠ جامعة فى مدينة طوكيو وحدها، وأكثر من ألف جامعة منتشرة فى أنحاء اليابان، ونتيجة لهذا، ومن خلال استخدام العلم وتسخيرها فى خدمة التقدم التكنولوجى، تحولت اليابان إلى عملاق اقتصادى، ومما يدل على ذلك أن عدد البراءات الممنوحة اليوم لليابان تزيد عن خمسة أضعاف الممنوحة للولايات المتحدة الأمريكية.

إذن أصبح من الثابت أن التنمية تعتمد على المعرفة والتكنولوجيا، وبدرجة أكبر على قدرة الدولة على اختيار المناسب منها؛ لمواجهة احتياجاتها فى ظل تراكم معرفى رهيب وتقدم تكنولوجى فائق السرعة، يعكس ذلك القضايا الآتية^(٢).

١ - تضاعف المعلومات فى أغلب ميادين البحث العلمى.

٢ - يواجه العالم اختراعاً كل دقيقتين وهناك ٣٠ مليون براءة مسجلة، وتزايد سنوياً بمعدل مليون براءة.

٣ - المسافة التى تفصل بين ظهور نتائج البحوث النظرية وبين اكتشاف تطبيقاتها قد قلت إلى حد كبير.

٤ - أن التقدم العلمى والتكنولوجى لا يتوقف على استيعاب ما تجمع من معرفة عبر الزمن، ولكنه يقوم على امتلاك أدوات المعرفة.

(١) محمد عزت عبد الموجود، من قضايا التعليم والتنمية، مستقبل التربية العربية، المجلد (١) ع ١، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، يناير، ١٩٩٥، ص ٦٩، ٧٠.

(٢) على على حبش، البحث العلمى والتنمية التكنولوجية فى مصر رؤية مستقبلية، سلسلة ندوات (حوار حول الرؤية المستقبلية للتنمية فى مصر)، معهد التخطيط القومى، القاهرة، الحلقة السابعة (١٩/٣/٢٠٠٢)، ص ٨-٥.

- ٥- تزايد دور المؤسسات المالية بشكل مباشر فى تصميم برامج الإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى فى الدول النامية (بتحرير آليات السوق وإطلاق حرية المنافسة الاقتصادية).
- ٦- تعاظم دور المعلومات والإدارة والمراقبة فى إدارة نظم ومنظومات هذا النظام العالمى المتطور وكفاءة تشغيله.
- ٧- اختلاط الحضارات والثقافات، وشحوب الهوية القومية من خلال تعايش المجتمعات المعاصرة مع ثورة المعلومات وثورة الاتصالات وثورة التكنولوجيا، وما تحدته تلك الثورات من تغييرات ثقافية فى المجال المادى (علوم - معارف - ابتكارات - اختراعات - تكنولوجيا ... الخ) وفى المجال المعنوى (سلوكيات - أخلاقيات - قيم).
- ٨- تعتمد قوة الاقتصاد فى الدولة على العوامل الآتية : العلم والتكنولوجيا - السياسة الاقتصادية - القدرة الإدارية - التنظيم الاجتماعى - التعليم - الدبلوماسية على المستوى الكونى.
- ٩- تصنيف الدول إلى دول متقدمة ودول نامية على أساس : القدرة على الخلق والابتكار العلمى والتكنولوجى، القدرة على القضاء على الإزدواجية الاقتصادية والاجتماعية، القدرة على دمج القطاعات الإنتاجية، ومستوى دخل الفرد.
- ١٠- تمتد مسئولية الجامعات والمراكز البحثية إلى تكوين وتخريج قادة التقدم وتدريب القادرين على صنع المستقبل بجانب تغطية احتياجات السوق المحلية والمتوقعة.
- ١١- الدول المتقدمة استطاعت تضمين مجالات الملكية الفكرية فى اتفاقيات الجات وأصبحت اتفاقية الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة (تربس) تمثل إطاراً شرعياً للعمل العلمى والتكنولوجى على المستوى الكونى.
- ١٢- ٢٪ من مصادر العالم تخصص للبحث والتطوير.
- ١٣- المعرفة العلمية والتكنولوجية تمثل ٨٠٪ من اقتصاديات العالم المتقدم والـ ٢٠٪ الأخرى تذهب إلى رأس المال والعمالة والموارد الطبيعية والعكس صحيح بالنسبة للدول النامية.

١٤ - الإنفاق على البحث العلمى فى الدول المتقدمة يتراوح ما بين ٢ إلى ٥, ٣٪ من الناتج القومى، كما أن نسبة ما ينفقه القطاع الإنتاجى فى تلك الدول من جملة ما ينفق على البحث العلمى يتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ٨٠٪ وتتحمل حكومات هذه الدول ما بين ٢٠٪ و ٤٠٪ لكل دولة.

ومن المعروف أن الدول المتقدمة تبنت لزمن طويل إنشاء قاعدة عريضة ومكثفة للعلم والتكنولوجيا وركزت على تعليم الخريجين وطلبة الدراسات العليا، واهتمت بالتدريب وتبادل الأساتذة الزائرين القادرين على تكوين وتنمية الموارد البشرية، وهذا التركيز كان وراءه إنشاء الجهاز القومى للابتكار الذى يرتبط ويتكامل مع برامج التنمية القومية ويشير الواقع إلى اتساع الفجوة العلمية بين الدول المتقدمة والدول النامية - ومنها مصر - وإذا كانت الإحصاءات الدولية تشير أن مصر تحتل المرتبة الثالثة عشر تقريباً^(١) من حيث معدل العلماء لكل مليون نسمة، حيث توضح الإحصاءات المحلية أن حوالى (٧٧٪) من القاعدة العلمية توجد فى الجامعات (١٣ جامعة)، (٨٪) فى المراكز البحثية التابعة لوزارة البحث العلمى (عدد ١١ مركزاً بحثياً)، (١٥٪) فى المراكز البحثية بالوزارات المختلفة الأخرى، مما يمثل خلافاً فى توزيع القوى العلمية الفاعلة القائمة على أمور البحث العلمى والتطوير التكنولوجى، ويقسم العاملون بأنشطة البحوث فى مصر تبعاً للمؤهلات العلمية كما يلى^(٢) :

دكتوراه (٣١, ٧٪) - ماجستير (١٨, ٧٪) - بكالوريوس (٩, ٢٣٪) - دبلومات فنية (٢٥, ٧٪).

كما يتضمن التقسيم وفقاً لمجالات التخصص النسب الآتية :

العلوم الطبيعية (٢٢, ٨٪) - العلوم الطبية (٢٢, ٨٪) - العلوم الهندسية والتكنولوجية (١٥, ٧٪) - العلوم الزراعية (١٤, ٧٪) - العلوم الاجتماعية (٢٤٪).

(١) تقرير مجلس الشورى (تحديث مصر) - الفصل الرابع: التعليم والبحث العلمى والشباب، القاهرة، فبراير

م ٢٠٠٢

(٢) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار - مجلس الوزراء - أكتوبر ٢٠٠١ م.

والحقيقة أننا كى نتحدث عن بيئة البحث العلمى فى مصر لابد أن نؤكد - كما أشرت سابقاً - أن البحث العلمى يمتد عبر مجموعة من المؤسسات وعلى رأسها الجامعات ومراكز البحوث من ناحية والدولة من ناحية أخرى، ومؤسسات الإنتاج من ناحية ثالثة.

إذا بدأنا بالجامعات باعتبارها المؤسسة التى توفر القوى البشرية فى المجتمع، وحيث يرتبط ازدهار البحث العلمى بازدهارها نجد أن ما حدث فى مصر على مدار العقود القليلة الماضية يظهر العكس تماماً، فقد انخفض نمو طلبة الجامعات انخفاضاً ملحوظاً، بل إن عدد الطلبة^(١) انخفض من ٦٤٢ ألف عام ١٩٨٤ إلى ٥٩٨ ألف عام ١٩٩٤/١٩٩٥، ومن ينظر لإحصاءات ما بعد عام ١٩٩٤/١٩٩٥ يجد زيادة ولكن ذلك تم نتيجة وجود الدفعة المزدوجة.

الظاهرة الأخطر التى حدثت هى أن نسبة الطلبة المقيدى فى تخصصات العلوم والتكنولوجيا تقلصت تقلصاً شديداً، فقد بلغت ٣٦٪ فى عام ١٩٩٤/١٩٩٥، وانخفضت عام ١٩٩٧/١٩٩٨ إلى ٢٤٪ ثم ٢٠٪ عام ٢٠٠٠/٢٠٠١.

وبالنسبة لوضع مصر عالمياً شهدت السنوات الأخيرة تراجعاً ليس فقط قياساً على الدول المتقدمة، ولكن مقارنة بالدول العربية، واليوم تعد مصر ضمن أدنى ثلاث دول عربية تنخفض فيها معدلات الطلبة المقيدى فى مجالات العلوم والتكنولوجيا.

أما عن البحث العلمى فى الجامعات، فالمؤكد أنه إذا كانت الجامعات بيئة غير ملائمة للتعليم نفسه، فهى بلاشك غير ملائمة لعمليات البحث، وهناك العديد من المؤشرات التى تؤكد ذلك، إذ لا توجد برامج بحثية واضحة للأقسام العلمية المختلفة، بل إن هذه الأقسام لا تشغل نفسها بوضع هذه الخطة أصلاً، وكذلك لا يوجد دافع لإجراء بحوث تخدم عمليات التنمية نظراً لعدم وجود مستفدين من إجراء هذه البحوث، ومن ناحية أخرى عدم اعطاء أعضاء هيئة التدريس الوقت الكافى للإشراف على الباحثين المسجلين للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه، وينعكس ذلك على

(١) محى زيتون، البحث العلمى والتنمية فى مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد (٢٨)، القاهرة ٢٠٠٤، ص ٣٥.

مستويات الرسائل والتقدير دون استحقاق. ومن ناحية أخرى الأموال المقدمة للجامعات غير قادرة على الوفاء بالمتطلبات العلمية ونحن نعلم أن البحث العلمي يتم -نتيجة لذلك- بجهد فردي وبدون أى تخطيط عام فى ظل نصيب متوسط الباحث من الميزانيات الخاصة بالجامعة منخفض جداً من ثم هل تحقق هذه الابحاث الأهداف العامة أم تنحرف عنها.

وأما عن التمويل من جانب الدولة فنجد أن الإنفاق قد تراجع إذا قيس بمؤشرات موضوعية نضيف لها أن مصر تملك ٥٢٪ من إجمالي القوة البشرية (عربياً) بينما يبلغ نصيبها من جملة الإنفاق ٢٦٪ فقط، مع الأخذ فى الاعتبار أن الإنفاق العربى على البحث العلمى هو أدنى المعدلات، وقد ترتب على ذلك إنخفاض الباحث فى مصر مقارنة بغيره من باحثى الدول العربية، وبالمقارنة بإسرائيل التى تمثل تحدياً علمياً وتكنولوجياً خطيراً للعالم العربى، نجد أنها خصصت فى عام ١٩٩٩ أكثر من ٤٠٠ مليون دولار للبحث العلمى المدنى (أى باستبعاد المبلغ المخصص للدفاع) علاوة على ذلك فإن النسبة المخصصة للبحث العلمى من ناتجها القومى تصل إلى ٩, ١٪ أى إنها تعادل فى ذلك الاتحاد الأوروبى^(١).

والسؤال المطروح: هل التمويل هو المعوق الوحيد للبحث العلمى ؟ والاجابة بالنفى، فحتى لو توافرت مبالغ مضاعفة فإِنَّها لن تحقق أية نتيجة طالما غابت العناصر الأخرى المكملّة للبيئة الخاصة للبحث العلمى. وإذا كان الفاصل الزمنى بين الاكتشاف العلمى وتطبيقه العملى ونتائجه الاقتصادية والصناعية يتضاءل - وبشكل واضح - سنة بعد الأخرى. فقد انعكس هذا كله على حجم الاستثمارات التى تخصصها التكتلات الاقتصادية العملاقة، والمجتمعات المتقدمة التى تولى العلم والتكنولوجيا أولوية فى سباق التقدم والمنافسة العلمية.

ومن هنا فلا بد من التفكير جدياً فى آليات تؤهلنا للتعامل مع هذه التحديات العلمية

(١) نفس المرجع السابق، ص ٣٦، ٣٧.

التكنولوجية وهذا يتطلب التحليل الموضوعي لواقع البحث العلمى الجامعى فى مصر وتحديد المعوقات التى تحول دون انطلاقه وأهم آليات مواجهة هذه المعوقات.

ويمكن القول بأن البحث العلمى الجامعى فى مصر يعانى أزمة حقيقية صحيح يحمل الواقع لبعض الايجابيات ونقاط القوة إلا أنه ينطوى على العديد من المعوقات التى تزيد من حدة هذه الأزمة فى تنمية روح الإبداع والابتكار فى منظومة البحث العلمى الجامعى فى ظل تعاظم دور صناعة الثقافة فى عصر المعلومات، ومن ثم تشكل معوقاً لمسيرته وانطلاقه. وهى معوقات تتنوع وتتداخل، وتتفاعل مع بعضها فى أحداث مايمكن اعتباره أزمة يعانى منها البحث العلمى الجامعى فى مصر وبالدرجة التى يصعب معها الفصل بينها.

المحور الثانى

الإطار الميدانى للبحث

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن المعوقات التى تواجه البحث العلمى الجامعى وذلك لتشخيصها، وتحديدتها، ثم التقدم ببعض المقترحات التى تسهم فى مواجهة هذه المعوقات عن طريق رسم استراتيجية محددة لمواجهة انتكاس البحث العلمى.

تساؤلات البحث:

صاغت الباحثة مشكلة البحث فى التساؤلات الآتية :-

(١) ما هى سمات البحث العلمى ومقوماته ؟

(٢) هل معوقات البحث العلمى الجامعى ترجع إلى :

أ - قصور فى أعداد الباحث العلمى فى مرحلة الدراسات العليا.

ب - تراجع الدور العلمى للدولة، ووجود فجوة بين البحث العلمى الجامعى ورسم السياسات واتخاذ القرارات.

ج - عدم وجود آلية لخلق الطلب الاجتماعى على البحث العلمى الجامعى.

د - نقص التمويل، وعدم وجود شراكة أو تحالف بحثى بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج.

هـ - عدم وجود بيئة حاضنة للبحث العلمى الجامعى.

و - سوء التخطيط الإدارى وتعتته.

ز - عدم وجود استراتيجية محددة للبحث العلمى الجامعى.

ح - غياب التخطيط والبرامج والأولويات للبحث العلمى داخل كل قسم من الأقسام العلمية.

ط - البحث العلمى الجامعى نشاط هامشى حيث لم يُفَعَّلْ لخدمة المجتمع.

(٣) ما هى التصورات والمقترحات التى تساهم فى رسم استراتيجية عملية لمواجهة انتكاس البحث العلمى الجامعى ؟

نوع البحث:

يعتبر هذا البحث من البحوث الوصفية التي لا تقتصر على مجرد وصف البيانات، بل يعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لإستخلاص دلالتها، وفي نفس الوقت إلى اصدار استخلاصات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث^(١) بدراستها.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة، والذي يعتبر من أبرز المناهج المستخدمة في مجال العلوم الاجتماعية، الذي يمثل جهداً علمياً منظماً للحصول على بيانات وأوصاف الظاهرة موضوع الدراسة.

أداة البحث:

اعتمدت الباحثة على صحيفة الاستبيان وذلك للحصول على البيانات والمعلومات التي تحاول الدراسة من خلالها الإجابة على تساؤلات البحث، وكذلك المقابلة غير المقتنة Unstructured مع أعضاء هيئة التدريس المتيمين لكلية الزراعة، جامعة الأزهر فرع البنين.

عينة البحث:

اعتمدنا على عينة من أعضاء هيئة التدريس (أستاذ مساعد - أستاذ) المتيمين إلى بعض الجامعات المصرية.

حيث بلغ إجمالي العينة (٧٥) مبحوثاً من أعضاء هيئة التدريس بالكلية النظرية والعملية وللأسف الشديد تم توزيع (١٥٠) صحيفة استبيان ولم أحصل إلا على (٧٥) استبيان من الصفوة العلمية المثقفة، ويعتبر هذا معوق من معوقات البحث العلمي، حيث لم توجد مشاركة وتعاون علمي بناء يساهم في إزالة العقبات، بالإضافة إلى إجراء المقابلة غير المقتنة مع سبعة من أعضاء هيئة التدريس المتيمين إلى كلية الزراعة، جامعة الأزهر بنين.

(١) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٧، ص ٧٧.

مجالات البحث:

(أ) المجال البشري : وقد تحدد في أعضاء هيئة التدريس المنتمين إلى بعض الكليات النظرية والعلمية.

(ب) المجال الزمني : فتم جمع البيانات في الفترة من شهر أكتوبر ٢٠٠٤ حتى آخر شهر يناير ٢٠٠٥ م.

(ج) المجال المكاني : وقد تحدد في بعض أعضاء هيئة التدريس (أستاذ مساعد - أستاذ) المنتمين إلى بعض الكليات النظرية المتمثلة في كلية الدراسات الإنسانية بجميع أقسامها، المنتمين إلى جامعة الأزهر وكلية الآداب جامعة عين شمس، أما أعضاء هيئة التدريس المنتمون إلى بعض الكليات العملية فتمثلت في كلية العلوم جامعة الأزهر بفرعها البنات والبنين وكلية الزراعة جامعة الأزهر وكذلك كلية العلوم والزراعة جامعة عين شمس.

- نتائج البحث الميداني :

أولاً : البيانات الأولية لأفراد عينة البحث تمثلت في أعضاء هيئة التدريس المنتمين إلى الدرجة العلمية الآتية (أستاذ وأستاذ مساعد) حيث كانت الأولى بنسبة (٤٠٪) وكان عددها (٣٠) والثانية بنسبة (٦٠٪) وبلغ عددها (٤٥) عضو هيئة تدريس وبذلك صار إجمالي العينة (٧٥) عضو هيئة تدريس.

ثانياً : أما عن سمات البحث العلمي من وجهة نظر عينة البحث فكانت كالآتي :
اكتشاف العلاقات العلمية أو السببية بين المتغيرات مما يساعد على فهم حل المشكلات فكانت بنسبة (٨، ١٧٪)، وكذلك التوصل إلى تعميمات أو مبادئ أو نظريات تساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بالمستقبل بنسبة (٢٠٪) وكذلك التجريب في المواقف التي تسمح بذلك بنسبة (٩، ٢١٪) وكذلك الملاحظة الدقيقة والوصف الموضوعي واستخدام القياس الكمي ما أمكن بنسبة (٢٠٪)، وكذلك الموضوعية والالتزام بنسبة (٩، ٢١٪).

ولعل هذه النسب تكشف لنا جلياً بأنه كلما تميز البحث العلمى بسماته المحددة كلما ساهم فى ركب الحضارة العالمية، وكذلك كانت إسهاماته إنسانية وشاملة باعتبار أن للبحث العلمى عدة أنماط تختلف باختلاف الوسائل والأهداف ويمكن تقسيمها إلى الأقسام التالية^(١):

١ - البحث النظرى (أساسى أكاديمى) : وهو البحث الذى لا يقصد منه فائدة اقتصادية مباشرة حيث يتركز هذا النمط فى محاولة فهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية واستكشاف أسرارها.

٢ - البحث الأساسى الاستكشافى : وهو بحث يبدأ بكمية قليلة من المعرفة المتركمة ويحاول أن يضيف إليها إضافات كبيرة ومهمة من الممكن أن تكون نظرية تطبيقية.

٣ - البحث العلمى التطبيقى : هو نشاط موجه نحو زيادة المعرفة العلمية بقصد التوصل إلى منتج جديد أو تحسين منتج موجود، وتحسين طرق إنتاجه أو اكتشاف حقول علمية جديدة متقدمة بهدف الوصول إلى الاختراع لتحقيق الربح الاقتصادى أو خدمة المجتمع.

ولمعرفة مقومات البحث العلمى من وجهة نظر المبحوثين يوضح جدول رقم (١) النسبة المئوية لعينة البحث باعتبار أن البحث العلمى يعتبر نظاماً متكاملأ لا غنى لجزء من أجزائه عن الآخر وتشكل بيئته الأساسية من المفردات الواضحة والمفسرة فى الجدول المشار إليه رقم (١) ولاشك أنه كلما ارتكز البحث العلمى على هذه المقومات كلما كان أكثر فاعلية وساهم فى التطوير وهنا نضرب مثلاً حياً بما حدث فى اليابان عندما وجه الإمبراطور إلى شعبه -بعد نهاية الحرب العالمية الثانية- النداء الثانى "يجب البحث عن المعرفة وحيازتها من أى مصدر كان وبكل الوسائل المتاحة لدينا لصالح عظمة اليابان وأمنه".

(١) شريف مفلح، أهمية البحث العلمى فى استراتيجية التنمية والتطوير التقينى، المجلة الثقافية، الأردن، ع ٥٣،

مارس - مايو ٢٠٠١، ص ١٨،

جدول رقم (١)

توزيع أفراد هيئة البحث نحو مقومات البحث العلمي

المثير	الاستجابة	
	(ع)	(%)
ما هي مقومات البحث العلمي من وجهة نظرك ؟		
١ - افراد علميون مؤهلين وقادرين على ممارسة البحث العلمي فى مختلف مجالات الخدمات العلمية مع كافة المستويات والخبراء والباحثين والمعاونين.	٢٣	٢٦,٧
٢ - التجهيزات الضرورية والمعامل العلمية والموارد والخدمات	١٨	٢١,٠
٣ - المعلومات العلمية المتصلة بنتائج البحث وغيرها من الاكتشافات والابتكارات، وما يتطلبه ذلك من توافر مصادر المعلومات.	٢٠	٢٣,٢
٤ - التمويل اللازم.	٢٥	٢٩,١
الإجمالي	٨٦	١٠٠%

كذلك التوجه الاستراتيجى الذى أصدره ملك الدنمارك فى الخمسينيات، حين وجه بتركيز نهضة الدنمارك فى القطاع الزراعى، وتطوير ما يلزم من تقنية تتعلق بهذا المجال حيث يتوافر للدنمارك ميزة نسبية.

إذن لكى تتحقق مقومات البحث العلمى لابد من وجود متطلبات نجلها فى المصادر الآتية :

- (١) وعى القيادات السياسية بأهمية العلم والتكنولوجيا.
- (٢) ضرورة إنشاء جهة مركزية لتحديد أهداف التقدم التكنولوجى.
- (٣) توفير العدد الكافى من العلماء والفنيين، ويتضمن ذلك العناية بالتعليم الفعال

وتوفير فرص التدريب واكتساب الخبرات والتقنية من مواردها، بل واستقطاب العلماء والتقنيين من البلدان الأخرى ... مثال على ذلك استقطاب الولايات المتحدة لعلماء ألمان بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، واستقطاب العلماء من دول الكتلة الشرقية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق. وقد فعلت كل من إسرائيل وبعض دول أمريكا الجنوبية مثل فعل الولايات المتحدة.

(٤) توفير القدرة الآلية لتمويل نقل وحيازة التكنولوجيا وهي القدرة المالية اللازمة لتحقيق الاستثمار وتمويل البحث العلمي الذي هو أحد الركائز المهمة في حيازة التكنولوجيا وكذلك الاستثمار في تنمية وبناء القاعدة التقنية من العلماء والمهندسين والفنيين، والإنفاق على برامج التعليم الفعال والتدريب التقني وجميع الأنشطة التي جعلها متاحة للمواطنين وخادمة للمجتمع.

(٥) توفير البيئة الملائمة والوعي المجتمعي.

وفي ضوء ما أوضحناه حدد أفراد عينة البحث من وجهة نظرهم العوامل المرتبطة بإنتاجية البحث العلمي وابتكاره فأوضحت الدلالات والمؤشرات إلى :

(١) الحرية حيث كانت بنسبة (٢٢,٥٪).

(٢) منظومة التعليم القائمة على الابتكار وليس التلقين بنسبة (٢٤,٥٪).

(٣) برامج علمية وواقعية مرتبطة بالتخصص العلمي بنسبة (١٩,٦٪).

(٤) توافر الأجهزة والأدوات والآلات والمعلومات بنسبة (١٨,٦٪).

(٥) الربط بين النظرية والتطبيق والقدرة على التفسير والتأويل بنسبة (١٤,٧٪).

وفي ضوء هذه النسب يمكن التوصل إلى نتيجة علمية هامة بأنه كلما توافرت هذه العوامل السالفة الذكر كلما ساهمت في الإبداع والابتكار العلمي والتكنولوجي وساهمت في وجود توجيه وطني استراتيجي في نقل التقنية بفاعلية كما حدث في اليابان وكوريا وتايوان وسنغافورة وهونغ كونغ وماليزيا والأرجنتين، فاليابان ابتدعت

مراكز بحث علمي تقني ذات طبيعة ديناميكية وتعرف باسم Science Parks^(١) حيث نجد أن كل مجموعة شركات تجتمع في مركز بحث واحد ويرتبط كل مركز بجامعة واحدة على الأقل ومن الأمثلة على ذلك مركز مدينة توسكوبا العلمية والذي ترتبط به ٧٠ شركة، واستثمر فيه مبلغ ٣, ٣٤ مليون دولار وتوجيه تساؤل لعينة البحث نحو ما إذا كان البحث العلمي نشاط هامشي أم خدمي فكانت الاستجابات بأن البحث العلمي الجامعي نشاط هامشي بنسبة (٣, ٥٣٪)، كما أوضحت نتائج المقابلة غير المقننة بأن نتاج البحث العلمي الجامعي تُدرج ضمن الأنشطة الهامشية حيث لم يستفاد من نتائجه فالحلول توضع على الورق دون توجه لخدمة المجتمع وبأنه نشاط خدمي بنسبة (٢٠٪) وبانه يجمع بين النشاط الهامشي والخدمي بنسبة (٧, ٢٦٪). ولعل هذه الاستجابات تتفق مع ما توصلت إليه إحدى الدراسات من وجود اتجاهين^(٢) أساسيين بشأن الدور المحدد للبحث العلمي والابتكار التكنولوجي في اقتصاديات الدول النامية وذلك من خلال النظريات المختلفة للتنمية الاقتصادية.

الاتجاه الأول : ينظر إلى الأنشطة العلمية والتكنولوجية في الدول النامية على أنها أنشطة هامشية أو خدمية ووفقاً لهذا الاتجاه فإن البحث العلمي لم يتأثر - بدرجة كبيرة - بالاحتياجات المحلية والظروف السائدة محلياً.

الاتجاه الثاني : يرى أن سياسة العلم والتكنولوجيا - الأكثر حيوية - يمكنها أن توجه مؤسسات البحث العلمي تجاه خلق تكنولوجيا وطنية تحل محل التكنولوجيا الأجنبية أو تحاكيها أو تستوعبها وتكيفها مع الموارد الطبيعية والبشرية للدولة.

ولقد حدد أفراد عينة البحث الذين أدلوا بالنسب الآتية (٣, ٥٣٪)، (٧, ٢٦٪) الأسباب الرئيسية نحو أن البحث العلمي نشاط هامشي :

١ - عدم الربط بين نتائج البحث العلمي بخطط التنمية وتوجيهها لخدمة المجتمع بنسبة (٩, ٢٣٪).

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) Casanueva, Cristina R : S& technology Policy Mexico. Government Research Development & Technological Innovation, 1970-1980, Ph.D. Stanford University, 1998, Dissertation Abstracts International. Vol. 419, No. 6, 1998, P. 1420-A.

٢- الجهود فردية مبعثرة ينقصها فريق عمل بحثي بنسبة (٤, ٢٥٪).

٣- البحث العلمي الجامعي الهدف منه الترقية فقط بنسبة (٨, ١٣٪).

٤- نقص التمويل بنسبة (٥, ٢١٪).

٥- الوساطة والمحسوبية بنسبة (٤, ١٥٪).

وتتفق النتيجة الخاصة بنقص التمويل مع نتائج إحدى الدراسات^(١) حيث أوضحت أن ضعف الحوافز المادية والمعنوية للباحثين بما يحفزهم على زيادة انتاجهم العلمي، وكذلك عدم وجود خريطة بحثية قومية تحدد اتجاهات البحث العلمي، ويرجع ذلك إلى عدم وجود سياسة علمية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأهداف المجتمع.

وتكشف تلك النسبة الإحصائية عن مدى التأثير السلبي على الطاقة الإبداعية^(٢) ومظاهر العمل في الجامعة فقد خلفت هذه الأزمة نتائج سلبية على البحث العلمي، مما أدى إلى اتساع الفجوة بين الأقسام العلمية القادرة على توفير الدعم اللازم له، وبين تلك العاجزة عن توفيره، وكانت من نتائج هذه الأزمة الانخفاض الملحوظ في رواتب أعضاء هيئة التدريس وهبوط الروح المعنوية مما أدى إلى عدم استقرارهم.

وأما عن نسبة (٢٠٪) من أفراد عينة البحث الذين حددوا أن البحث العلمي يعتبر نشاط خدمي وذلك إذا ساهم في :

(١) تنمية المجتمع بنسبة (٣, ٣٣٪).

(٢) استثمار بنسبة (٧, ٣٦٪).

(٣) إذا قدم حلول للمشكلات المجتمعية المتعددة بنسبة (٣٠٪).

إذن توجد مبادئ علمية لا بد أن تسير عليها عملية البحث العلمي الجامعي لكي

(١) عتر لطفى محمد، معوقات البحث العلمي بالجامعة كما يراها أعضاء هيئة التدريس وسبل تطويره، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، ع ٣٦ السنة ١٢ أبريل، ١٩٩٥

(٢) Kerlin, Scott Paul : The Fiscal Crisis of the American Public Research University and its Impact on Faculty A case study of factors influencing Recruitment and Retention of Academic Personnel. Ph.D. University of Oregon, 1982, Dis sertation Abstract : In ter-national, Vol. 53, No. 8, February, 1999, p. 2704-A.

يرتقى ويقدم خدماته باعتبار أن التراكم المعرفي في البحث العلمي الجامعي يؤدي إلى الابتكار والإبداع العلمي طالما أن هناك توجه يهدف إلى المعالجة والبناء وبتراكم هذه الأفكار والحلول وتقدم الاتجاهات والأساليب البحثية يمكن تطوير القاعدة العلمية^(١) للبحث العلمي الجامعي وجعله في عملية ديمومة مستمرة تحدث فيها قفزات واعية رائدة، يمكن من خلالها بناء الأفكار العلمية وتسهيل عملية اختيارها وبذلك تعتبر ركيزة مهمة من ركائز البحث العلمي الجامعي ونظراته المستقبلية في البحث العلمي الجامعي في مصر والوطن العربي.

ويوضح جدول (٢) كما تشير النسب والدلالات الإحصائية بأن المعرفة العلمية أصبحت من السمات المتفق عليها في قياس التنمية، كما أوضحت المقابلة غير المقتنة بأن المعرفة هي عماد التنمية، تزداد أهميتها في عصر العولمة التي يتسارع فيها التغير التكنولوجي بشكل غير مسبوق. فالمعرفة سلعة ذات منفعة عامة تدعم الاقتصاد والبيئة والمجتمعات ونحن نواجه فجوة كبيرة في المعرفة.

(١) محمد شهاب أحمد، واقع البحث العلمي في الوطن العربي ومستقبله، مجلة شئون عربية، جامعة الدول العربية، مارس ١٩٩٨، ص ٦٤.

جدول رقم (٣)

المجالات التي يزدهر فيها الابتكار والإبداع العلمي.

المثير	الاستجابة	
	(ع)	(%)
ما هي المجالات التي يزدهر فيها الابتكار والإبداع العلمي؟		
١- المجالات التي تتوافر فيها المادة العلمية + الأدوات + الفكر + الهدف المحدد	٢٥	١٥,١ %
٢- المجال الطبي والدوائي	١٣	٧,٨ %
٣- المجال العسكري	١٣	٧,٨ %
٤- المجال الزراعي	٢٥	١٥,١ %
٥- المجال الصناعي	١٢	٧,٢ %
٦- المجال الهندسي	١٥	٩,٠ %
٧- المجال الكيميائي والبيولوجي	٢٨	١٦,٩ %
٨- المجال الفضائي	١٥	٩,٠ %
٩- مجال الاتصالات والاعلام	٢٠	١٢,٠ %
الإجمالي	١٦٦	١٠٠ %

ففي مجال الزراعة تتضح أهمية تطبيق تقنيات الهندسة الوراثية ونقل الجينات في إمكانية تحسين المحاصيل كما ونوعاً مع انخفاض في تكلفة الزراعة مما يؤدي إلى المساهمة في تأمين الغذاء الآدمي والحيواني فإذا كانت الإحصاءات من (١٩٩٦ إلى ٢٠٠٣) فإن المساحة المنزرعة من المحاصيل المهندسة وراثياً تشهد زيادة مستمرة حيث زادت من ١,٧ مليون هكتار إلى ٦,٦٧ مليون هكتار أي بمعدل ٤٠ ضعف وكان نصيب الدول النامية ٣٠٪ من هذه المساحة^(١) وفي مصر حيث مساحة الأراضي

(١) إيتسام حسين على حسين، التكنولوجيا الحيوية الحاضر والمستقبل، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها، ١٨-٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، جامعة القاهرة، ص ١٧٥

الزراعية محدودة والكثافة السكانية في زيادة مستمرة، وحيث يبذل مربي النباتات والحيوان قصارى جهدهم لتحسين الإنتاجية، إلا أن هناك مشاكل يصعب تناولها بالطرق التقليدية. وإذا كانت الجامعات المصرية وعلى رأسها جامعة الأزهر اهتمت بإنشاء برامج تدريبية خاصة بالتكنولوجيا الحيوية سواء على مستوى البكالوريوس والدراسات العليا وإنشاء مراكز متخصصة في مجالات الهندسة الوراثية، كما تجرى في مصر الآن عدد لا بأس به من المشروعات البحثية التي تطبق تقنيات التكنولوجيا الحيوية إلا أن استمرارية هذه المشاريع وإضافة مشاريع أخرى تهدف إلى حل بعض المشكلات الملحة تحتاج إلى توفير مصادر تمويل إضافية كما يلقي الضوء على ضرورة اشتراك القطاع الخاص والمؤسسات الإنتاجية في تمويل هذه المشروعات اسوة بما يجري في الدول المتقدمة فمنظمة المعرفة تنشأ نتيجة تفاعل وتنسيق مع عناصر المصنع وبالتالي فإن فكرة البحث العلمي للتطوير التقني - التي تؤدي إلى إنتاج واكتساب المعرفة - لا توجد في شكل مؤسسات للبحث العلمي، ولكنها مؤسسة بالمعنى العام.

إذن التركيز على منظومة البحث العلمي والتطوير التقني يستلزم بنى منظور^(١) استراتيجي، فمفهوم العلم والمعرفة مازال موضوع جدل طويل بين العلماء والباحثين، خاصة بشأن توظيف هذا العلم لتأكيد سيطرة الأقوياء على كل مجتمع وعلى العالم كله.

فمسألة منظومة المعرفة تشير إلى توافر أعداد المشتغلين بالبحث العلمي والتطوير، ولكن هناك نقصاً شديداً في توفير الموارد ونتيجة لذلك فإن مخرج عملية البحث ضعيف سواء من حيث الكمية أو النوعية، كما أن التطوير التقني ضعيف جداً وهذا الضعف يزداد وضوحاً عندما نقارن أنفسنا بإسرائيل.

إذن القاعدة العلمية والتكنولوجية وما ينشأ عنها من مهارات علمية^(٢) وابتكارات تكنولوجية هي القوى الهامة والرائدة للتقدم. ومع تطبيق اتفاقية تحرير التجارة العالمية

(١) نادر فرجاني، البحث العلمي والأمن القومي، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٩، ٢٠.

(٢) نقلاً عن عادل جزار، التعريب وصلته بالرقى العلمي، للمجلة الثقافية، الأردن، أبريل - يوليو ١٩٩٥، ص ص ١٠-١٢.

زادت الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للبحث العلمى والتكنولوجيا فى الدول المتقدمة وأيضاً فى الدول النامية، ولذلك حدد أفراد العينة الأسباب نحو تحديد هذه المجالات التى يزدهر فيها الابتكار والإبداع العلمى نظراً لأن تطبيق نتائج البحث العلمى يسهم فى زيادة الإنتاج والتسويق بنسبة (٨, ٣٣٪) وكذلك للملاحقة التقدم والتحديث التكنولوجى السريع بنسبة (٨, ٣٦٪) لتوافر الدعم المادى بنسبة (٤, ٢٩٪) فتطبيق نتائج البحث العلمى فى هذه المجالات يساهم فى تنمية المجتمع وربط العلم بالبيئة وتنمية الاستثمارات القومية ضرورى لتطوير البنية الأساسية للتنمية التكنولوجية وتطوير الإنتاج وهو ما ينعكس عائدته على المجتمع بوجه عام والاقتصاد القومى.

- أما عن المجالات التى يعوق فيها البحث العلمى فكان استجابات الباحثين متعددة ما بين المجالات التى لا تعطى مؤشرات دقيقة ودلالات علمية بنسبة (٢, ١٨٪)، والمجالات الاجتماعية بنسبة (٩, ٢٠٪) والمجالات السياسية بنسبة (٧, ٢٢٪)، والمجالات التربوية (٢, ١٨٪) والمجالات التى تتحكم فيها البيروقراطية بنسبة (٢٠٪).

ولقد حدد أفراد عينة البحث أسباب ذلك لعدة مؤشرات منها غياب الحرية بنسبة (٨, ١١٪) وحدائث هذه العلوم بنسبة (٧, ٢٢٪) وعدم خضوع نتائج البحث لتنمية المجتمع وحل مشكلاته بنسبة (٦, ٢٣٪)، وغياب شبكة قومية للبيانات والمعلومات بنسبة (٢, ١٨٪) وعدم وجود استراتيجيات واضحة لأولويات البحث وخطته بنسبة (٦, ٢٣٪).

ولا شك أن كل هذه المؤشرات تمثل معوقات أساسية للبحث العلمى وتخلقه فى الدول النامية، ومنها مصر، فى الوقت الذى تشهد فيه البشرية من قوة هائلة تكنولوجياً ودور قيادى وريادى للعلم فى ميادين مختلفة كالصحة والثروة القومية والقوة الذاتية لأى بلد يمتلك ذلك. ولا ينكر أنه كانت لهذه النتائج البراقة للعلم نتائج سلبية أحياناً، ولكن معالجتها حين ظهرت كانت من صلب العلم والتكنولوجيا وصار من دأب الحكومات فى بلاد الشمال المتقدم أن تزيد فى ما تقدمه من مخصصات لدعم العلم، كما أن الاستثمارات الخاصة تقوم بدورها بتقديم الكثير من الدعم والمساندة للمجهود

البحثى للعلم والتكنولوجيا.

لكن مع وفرة ما يكتب وما يقال على ألسنة المسؤولين عن تشجيع العلم وعن تفاصيل الخطط التى توضع لذلك فإن المجتمعات النامية - ومنها مصر تعيش حالة من التخلف فى العديد من ميادين العلم والتكنولوجيا والوقائع بين أيدينا.

فى العقد الماضى^(١) مثلاً كانت النسب الأعلى فى الميزانية العالمية للبحث والتطوير من نصيب بلاد الشمال المتقدمة فكانت حصتها أكثر من ٩٧٪.

ومن نتيجة ذلك أن الإنتاج المادى الذى يركز عليه الرخاء والتقدم كان فى معظمه من نصيب هذه البلاد نفسها ففى عام ١٩٩٨ كان للبلاد العشرة الأولى نصيب من الإنتاج العالمى يساوى ٨٣٪، كما كان لثلاثة منها وهى الولايات المتحدة واليابان وألمانيا نصيب يساوى ٥٠٪.

ويتجلى الوضع المتخلف وهو عدد العلماء والمهندسين العاملين فى البحث والتطوير لكل مليون من السكان ونجده كما يلى :

أمريكا الشمالية ٢٥٠٠ (فى الولايات المتحدة ٢٨٠٠)

أوروبا ١٥٠٠

استراليا ١٠٠٠

أمريكا اللاتينية، آسيا أقل من ٥٠٠

أفريقيا والبلاد العربية (أفريقيا ٥٠ تقريباً)

المجموع ١٢٣ مليون دولار

وفى مجال المخترعات التى تسجل لصالح المخترعين تتفوق بلاد الشمال أيضاً، ففى عام ١٩٨٠ كان للبلاد الصناعية التى تتبع ما يسمى الاقتصاد الحر نصيب من براءات الاختراع يساوى ٦٥٪ وكان للبلاد الواقعة فى أوروبا الشرقية ٢٩٪، وكان

(١) نفس المرجع، ص ١٣، ١٤.

نصيب العالم النامي ٦٪، ولكن عند التدقيق تبين أن معظم النسب الأخيرة كانت لأفراد غير مقيمين في تلك البلاد.

ونستطيع أن نسرد الأسباب الكامنة وراء هذا التخلف العلمي من الوقائع^(١) التي تعبر عن مناخ التخلف وتتهيء له منها :

١ - انخفاض الإنفاق الرسمي على الجوانب العلمية ومن مظاهره :

أ - تدنى الدخل الذي يحصل عليه العاملون في المجال العلمي.
ب - تدنى التجهيزات العلمية للتدريس والبحث.

ج - الواجبات التدريسية العالية للعاملين في الجامعات.

كل هذه أسباب تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي انخفاض مستوى البحث كماً وكيفاً.

٢ - الضعف العام للصناعات، فهي في معظمها من الصناعات التحويلية أو المستعارة لذلك فهي لا تتفق مع البحث العلمي داخل المؤسسة.

٣ - التخبط في التعليم الجامعي ومظاهره كثيرة منها :

أ - عدم ارتباطه بحاجات المجتمع.

ب - كثرة الأعداد في الجامعات وإطلاق القبول بحيث صار كل من ينهي المرحلة الثانوية يجد طريقه إلى الجامعة.

ج - استخدام اللغات الأجنبية في التعليم العلمي العالي للعلوم الطبيعية.

بالإضافة إلى تلك العوامل ما أوردناه من معوقات لعينة البحث نرى أنها تمثل معوقات للبحث العلمي.

ثالثاً: البيانات الخاصة بمعوقات البحث العلمي الجامعي :

(١) أولى هذه المعوقات من وجهة نظر أفراد عينة البحث هي أن الباحث في مرحلة

الدراسات العليا غير معد إعداداً علمياً، حيث كانت الاستجابات بنسبة (٦٦,٦٪)

(١) سيد الحديدي، أضواء على البحث العلمي، مرجع سابق، ص ٢٧.

وبنسبة (٧, ٦٪) لمن يرون أنه مُعد ولمن يرون إلى حد ما بنسبة (٧, ٢٦٪) وترجع النسب الإحصائية (٦, ٦٦٪) و (٧, ٢٦٪) الأسباب إلى :

- (أ) منظومة التعليم تعتمد على التلقين أكثر من الإبداع بنسبة (٣٣٪).
 (ب) غياب آلية لدفع المبدعين والمبتكرين والمخترعين بنسبة (٨, ٣٠٪).
 (ج) غياب التقييم والمتابعة الجادة للباحثين العلميين بنسبة (٨, ١٩٪) بالإضافة إلى استجابات أخرى منها.
 (د) عدم التفرغ للبحث العلمي بنسبة (١١٪).

(هـ) وغياب الضمير الأخلاقي بنسبة (٥, ٥٪)، كما أظهرت المقابلة غير المقتنة بأن باحث الدراسات العليا غير مُعد اعداداً علمياً ويرجع ذلك من وجهة نظرهم إلى منظومة التعليم وغياب التقييم والمتابعة الجادة، وقلة المنح العلمية لإنفتاح الطالب على الخارج.

وتكشف هذه النسب والدلالات الإحصائية إلى أن هذه المعوقات ترجع إلى نقص في مقدرات الإنسان في هذا العالم، ولكن لعدم خلق المناخ أو الأرضية الصالحة التي تؤهله إلى أن يظهر ملكاته كخلاق ومبدع، والدليل على ذلك هم أولئك الأشخاص أنفسهم حين خروجهم أو هروبهم أو هجرتهم إلى دول العالم المتقدم تظهر هذه الملكات، وتتفجر قدراتهم الخلاقية والمبدعة فالإنسان هو العامل الحاسم في كل معركة من مجالات الحياة المختلفة ومنذ^(١) زمن بعيد حاولت المجتمعات المتقدمة أن تهتم بهذا المعنى وذلك المنهج وبدأت في تكوين الإنسان التكويني السليم فغيرت من خطط تعليمها التقليدية إلى خطط جديدة تعتمد على استخدام القوى العليا في التفكير والتحليل.

وإن كان هذا الاتجاه في التعليم مجتهداً حتى في المراحل الأولى كالابتدائية والثانوية فإنه يُصبح ضرورة حتمية في التعليم الجامعي، وفي هذه المرحلة الجامعية يمكن اكتشاف

(١) عتر لطفي محمد، مرجع سابق، ص ٣٨.

هؤلاء الذين يملكون الصفات التي تجعلهم يخوضون البحث العلمي، ويندفعون نحوه، مضحين بكل شيء في سبيل تحقيق طموحاتهم في الكشف عن الحقيقة.

وتتفق بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة مع أن زيادة العبء التدريسي لعضو هيئة التدريس بالجامعة وعدم وجود الوقت الكافي للقيام بالدور البحث معوق من معوقات البحث العلمي الجامعي.

كما أن افتقاد البحث العلمي إلى الضخير الأخلاقي يعتبر معوقاً أساسياً وترتبط هذه النتيجة مع ما توصل إليه عزت حجازي^(١) من أن البحث العلمي مازال ينطوي على كثير من القضايا الأخلاقية مما يحتاج إلى مناقشة وضبط ويقصد بالأخلاقي من أشكال السلوك والتصرفات هنا ما يعد صواباً أو خطأ سليماً أو غير سليم قائماً على مبدأ مقبول أو تفترق إلى المصادقية.

ولهذا ما يبرره إذ إن ثمة درجة واضحة من عدم الالتزام بمتطلبات المصادقية الأخلاقية سواء بين الباحثين الأكاديميين في الجامعات ومراكز البحث وغيرها الذين أدت زيادة الطلب عليهم إلى التساهل في معايير اختيارهم وإعدادهم وتكليفهم بالعمل وتقييم أدائهم".

(٢) من معوقات البحث العلمي كما يرى أفراد عينة البحث هو عدم تحديد أهداف البحث العلمي الجامعي ويرجع إلى الأسباب الآتية حيث كانت الاستجابات نحو:

- عدم وجود برامج علمية واقعية بنسبة (٥, ١٨٪).
- عدم الربط بين الرؤى العلمية باحتياجات المجتمع بنسبة (٨, ١٤٪).
- عدم الالتزام برؤية محددة واستراتيجية عملية لكل قسم من الأقسام داخل الجامعة بنسبة (٥, ١٨٪).

(١) عزت حجازي، الإشكاليات الأخلاقية في البحث الاجتماعي في الوطن العربي، مجلة شئون عربية، مركز دراسات الوحدة، القاهرة، ديسمبر ١٩٩١، ع ٧٦، ص ٧٦، ٧٧.

- غياب التخطيط العلمي السليم بنسبة (١٦٪).

- سوء الإدارة بنسبة (١٦٪).

وتتفق بعض هذه النتائج مع نتائج بعض الدراسات حيث توصلت دراسة رمضان أحمد عيد، محمود عطا محمد على^(١) إلى أن غياب سياسة واضحة للدراسات العليا والبحوث داخل الجامعة الواحدة ساهم في أزمة البحث العلمي، كما أن قلة العناية بمجالات التخصص المستحدثة في الدراسات العليا ساهم في هذه الأزمة، كما أن افتقار^(٢) مؤسسات البحث العلمي في الجامعات إلى مناخ تنظيمي ملائم للابتكار والأبداع وإلى جهاز إداري متقدم^(٣) ومتدرب، وعلى مستوى عال من الكفاءة، كما أن البحث العلمي في الجامعات غير موجه لخدمة الاقتصاد القومي حيث لا يرتبط بخطة وهدف ولا يسهم في الغالب في حلول المشاكل الحقيقية في مؤسسات الإنتاج ومن ثم فقدت هذه البحوث جدواها^(٤)، كما أن البحث العلمي في الجامعات يفتقر إلى عدم وجود خطة شاملة ومستقرة على مستوى الجامعات توجه الباحثين إلى دراسة القضايا ذات الأولوية في البحث والدراسة.

كما تتفق بعض نتائج الدراسة مع النتائج التالية، وهي عدم ارتباط^(٥) كثير من الرسائل والبحوث الجامعية بالمشكلات الحقيقية للمجتمع المصري، وغلبه الطابع

(١) رمضان أحمد عيد، محمود عطا محمد على، آليات الربط بين البحث العلمي الجامعي والتنمية الاقتصادية، دراسة مقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإستراتاليا وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مجلة التربية والتنمية، مركز التنمية البشرية والمعلومات، ع ١٣، السنة الخامسة، القاهرة، مارس، ١٩٩٨ م.

(٢) فرج مصطفى محمد الشافعي، استراتيجية مقترحة لتطوير العلاقة بين البحث العلمي بالجامعات وبعض مؤسسات الإنتاج بمصر، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) عبد الغنى سيد أحمد عبود، دراسة مقارنة لنظام البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٢ م.

(٤) محمود عطا محمد على ميل، العلاقة بين البحث العلمي والمؤسسات الإنتاجية في مصر في ضوء خبرات بعض الدول الأجنبية، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ع ٢٨، يناير، ١٩٩٧، ص ٤٣.

(٥) محمد رؤوف حامد، البحث العلمي والتنمية في مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ع ٢٨، القاهرة ٢٠٠٤، ص ٤١.

الأكاديمي أو النظري على عدد كبير منها، بالإضافة إلى ضعف التنسيق بين الكليات والأقسام المتناظرة على مستوى الجامعات وبين مراكز البحوث الأخرى، كما أن عدم وجود جهاز إداري يتسم بالكفاءة والفاعلية ويقدر البحث العلمي، كل هذه المعوقات تساهم في عدم جدوى نتائج البحوث وعدم وجود قنوات اتصال بين الجامعات وقطاعات الإنتاج وبالتالي افتقاد بيئة حاضنة للبحث العلمي في مصر حيث كانت استجابات المبحوثين بنسبة (٣, ٩٣٪) أما الاستجابات "إلى حد ما" فكانت بنسبة (٧, ٦٪) وهذه الدلالات الإحصائية توضح ثالث المعوقات الخاصة بالبحث العلمي، ويوضح جدول رقم (٣) استجابات المبحوثين نحو الأسباب لعدم وجود بيئة حاضنة للبحث العلمي الجامعي.

جدول رقم (٣)

توزيع أفراد عينة البحث

نحو الأسباب وراء عدم وجود بيئة حاضنة للبحث العلمي الجامعي

المثير	الاستجابة	
	(ع)	(%)
ما هي الأسباب وراء عدم وجود بيئة حاضنة للبحث العلمي؟		
١- غياب الحرية والعقلية الناقدة	١٨	٩,٦
٢- غياب المنافسة	٢٣	١٢,٢
٣- فقدان الأمانة العلمية والتفكير العلمي	٢٨	١٤,٩
٤- غياب شبكة قومية للمعلومات والبيانات	٢٠	١٠,٦
٥- ضعف العلماء أمام المغريات السياسية	١٥	٨,٠
٦- الإعلام السطحي الذي لا يسهم في إظهار الباحثين ذوي الآراء الحرة	١٣	٦,٩
٧- خضوع البحث العلمي للاجتهادات الفردية في ظل رؤية جامعية تحدد ضوابط الطلب والعرض.	٢٥	١٣,٣
٨- عدم وجود برامج بحثية محددة وواضحة للأقسام العلمية المختلفة.	٢٨	١٤,٩
٩- غياب النظر إلى المستقبل واستشرافه	١٨	٩,٦
الإجمالي	١٨٨	٪١٠٠

ولعل النسب الإحصائية توضح أن البيئة في المجتمع المصري معادية للبحث العلمي وليست حاضنة له وتعبير الدكتور سويف فإن الحضانة مليئة بالفيروسات وبالتالي فإن النمو إذا تم سيكون نمواً مشوهاً ومعوفاً.

فغياب الحرية، وتهديد التفكير العلمي وسيطرة أساليب التفكير الأوتوقراطي هذه الأساليب لا يمكن أن تخلق عقلية ناقدة بالإضافة إلى الأسلوب الشيوقراطي بمعنى "تدنية العلم" وهذين الأسلوبين هما أخطر الفيروسات الموجودة في الحضانة بالإضافة

إلى الغياب الواضح "لثقافة العلمية" حيث تعاني حياتنا المصرية والعربية عموماً - وفي مختلف الجوانب - غياباً حقيقياً لمنهج العلم، ومفاهيمه وقيمه وأخلاقياته.

الضعف النسبي لمفاهيم وقيم (النقد) وعملياته في حياتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية وذلك كنتيجة طبيعية لغياب الرؤية العلمية.

غياب مفهوم المستقبل في حياتنا الفكرية والعملية فحالة "اللامستقبلية" باتت هي المهيمنة والسيطرة من خلال المقولات والأفكار والمأثورات المعمقة للرؤية "الآنية" محدودة الأفق، والماضى المختلف تماماً عن الحاضر بمشكلاته وتغييراته، وعن المستقبل بتحدياته وتوقعاته.

مكانة العلم والعلماء ومناقشة قضايا البحث العلمي، خاصة على مستوى أجهزة الإعلام ذات التأثير في تشكيل وتكوين العقول والوجدان والقيم والاتجاهات.

كما أن ضعف المشاركة المختصة ومنظمات المجتمع المدني في تفعيل وتنشيط البحث العلمي وتطويره وذلك لعشرات الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية والبيروقراطية، فالمشاركة المجتمعية ماتزال دون المستوى ولم تصل بعد إلى ما هو متشود ومأمول.

كما أن المشكلات الأساسية في معظم الدول النامية هي النقص الشديد وأحياناً غياب النظم الفعالة لتوفير المعلومات. إن الثورة الحقيقية في عالم اليوم هي الثورة المعلوماتية فتورة الاتصالات حلت العديد من المشكلات الخاصة بالمعلومات والبيانات حيث بدأت الدول الكبرى في إنشاء بنوك للمعلومات وعن طريق اشتراك مراكز الأبحاث مع هذه لبنوك بواسطة شبكة من الاتصالات، يمكن لها أن تؤمن ما تريد معرفته من معلومات، في وقت يعد بالدقائق، ودون الحاجة إلى انتقال أو تعب أو إضاعة للوقت.

إن ثورة المعلومات هي حديث اليوم وهو هدف يجب أن يكون على قائمة أهدافنا ليس فقط من أجل البحث العلمي، ولكن من أجل اللحاق بما يحدث في العالم ومن أجل التنمية على جميع المستويات، فلقد جاء في افتتاحية ندوة عن العرب وثورة

المعلومات، "كان العنف هو مصدر القوة في المجتمعات القديمة، ومع تقدم حركة المجتمع، أصبحت المعلومة هي مصدر القوة. إن السمة الأساسية لهذا العصر هي استخدام العقل البشري، ومجتمع المعلومات الذي يقف العالم العربي متردداً على أبوابه، يفرض علينا أن نمتلك الوعي الكافي بأهميته والقدرة الواجبة على اقتحامه وعلى المواطن العربي أن يغير أسلوب تفكيره بحيث لا يكون مجرد مستهلك للمعلومة المتاحة له، بل يصبح مشاركاً في إنتاجها".

إن وجود نظم توفير المعلومات في معظم - إن لم يكن كل - بلدان العالم الثالث مازالت عند حدها الأدنى، ومتوقفة عند عقد الثلاثينات وما قبل ونظرة متعمقة - أو حتى سريعة - على مكتبات الكليات، والمراكز العلمية والبحث الأخرى، وخاصة خارج العاصمة، وإنه إن لم توجد الحلول السريعة فلا أمل نحو مستقبل حقيقي لثورة علمية ونتيجة لذلك يمكنني وصف مجتمع البحث العلمي بأنه ضمن القطاع غير الرسمي في الدولة، وأنه يخضع للاجتهادات الفردية في ظل غياب رؤية عامة وجهة جماعية تحدد ضوابط للطلب والعرض، وكذلك هو سوق للبحث تنقصه المعلومات بل إن وسائل توفير المعلومات غير نظامية مثل المعرفة الشخصية أو العلاقات العامة وهو سوق يختلط فيه المحلي بالأجنبي ويتفاوت فيه العائد من بحث إلى آخر ومن مجال إلى آخر، بل ومن باحث إلى آخر نتيجة لغياب المنافسة وغياب دور الدولة.

في تقديري تساند البيئة العلمية جزء من بيئة مجتمعية عامة، ورأس هذه البيئة هو رئيس الجمهورية، وتشير تجربة دولة^(١) مثل كوريا إلى أنه لولا احتضان الرئيس "بارك شونج هي" لوزارة البحث العلمي ما كانت قوة الدفع حدثت.

مثال آخر من الهند فهناك دراسات عديدة حول دور الرئيس نهرو في دعم منظومة البحث العلمي، حيث قام بإنشاء لجنة للتخطيط العلمي والتكنولوجي عام ١٩٥٠، وأنشأ وزارة للبحث العلمي والموارد الطبيعية عام ١٩٥١ وأنشأ لجنة استشارية لمساعدة

(١) نفس المرجع السابق، ص ٤٢ .

الحكومة في المجال العلمي، ثم قام بإعداد تشريعات لتطوير البحث العلمي ثم قام بعرض هذه التشريعات على البرلمان عام ١٩٥٨، بعد ذلك أسس ورأس جمعية للعاملين بالبحث العلمي في الهند.

وأما عن المصادر التي يمكن أن تساهم في تمويل البحث العلمي الجامعي فكانت الاستجابات نحو المصادر الحكومية بنسبة (١٩٪) والاستجابات نحو المصادر الأجنبية بنسبة (٣، ١٤٪) والاستجابات نحو مؤسسات إنتاج محلية بنسبة (٧، ٢٦٪) والاستجابات نحو جمعيات رجال الأعمال بنسبة (٥، ٣٠٪) واستجابات حددها بعض أفراد العينة بأن يكون التمويل من الجمعيات الأهلية بنسبة (٥، ٩٪).

ولذلك وجدت العديد من الاستجابات التي أوضحت بأن ميزانية الدولة معوق للبحث العلمي حيث كانت بنسبة (٧٥٪) ولا تساهم في تطوير البحث العلمي بنسبة صفر في المائة ومن أدلى بأن الميزانية إلى حد ما تساهم في التطوير كانت بنسبة (٢٥٪). ولذلك حدد الأفراد مؤشرات تراجع الدور العلمي للدولة وهذه المؤشرات تمثل رابع المعوقات للبحث العلمي الجامعي في :-

✱ تراجع الإنفاق المخصص للبعثات العلمية إلى الخارج مقارنة بدول أخرى بنسبة (١، ١٨٪)

✱ وجود فجوة واضحة بين البحث العلمي والتنمية التكنولوجية وبين استراتيجيات الدولة للتنمية الاقتصادية الاجتماعية بنسبة (١، ٢٤٪).

✱ الاختلال في توزيع الكوادر البشرية في منظومة البحث العلمي بنسبة (٦، ١٥٪).

✱ غياب التنسيق بين المؤسسات العلمية بنسبة (١، ٢٤٪).

✱ غياب الوعي القومي بأهمية البحث العلمي الجامعي في تنمية المجتمع بنسبة (١، ٨٨٪).

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه إحدى الدراسات خلال التسعينيات في

جامعة فرجينيا Virginia^(١) بأن جامعات البحث العلمي عانت أكثر من غيرها من تدهور في مصادر التمويل مما اضطرها إلى اتباع طرق أخرى لزيادة مصادر الدخل الخاص والإقلال من سيطرة الدولة.

إذن انخفاض الإنفاق على البحث العلمي يمثل معوق أساسي للبحث العلمي وهذا ما تؤكد العديد من التحليلات والإحصائيات والدراسات بينما تدل المؤشرات العالمية على أنه يجب ألا تقل نسبة الإنفاق على البحث العلمي^(٢) عن ١٪ من إجمالي الناتج القومي حتى يمكن السير في خطوات التفصيل والتطوير العلمي والتكنولوجي فان هذه النسبة في مصر لا تتعدى (٤, ٠٪) وهي نسبة ضئيلة للغاية عند مقارنتها بما عليه الوضع العالمي.

الدولة تتحمل أعباء تمويل البحث العلمي وعدم مساهمة قطاعي الإنتاج والخدمات والقطاع الخاص في تمويل البحث العلمي وبالتالي اعتماد مستخدمي التكنولوجيا ورجال الصناعة والأعمال والمتجعين على استيراد الخبرة والتكنولوجيا من الخارج مما أدى إلى خفض الطلب على نتائج البحث العلمي والتكنولوجيا. كما أن ذلك انعكس على التجهيزات العلمية^(٣) والبنية الأساسية العلمية التي تحتاج إلى الكثير من التطوير. وكل ذلك ينعكس على الوضع الحالي الذي يقلل من كفاءة أداء البحث العلمي، ويساهم في هجرة العقول سواء هجرة مؤقتة أو دائمة وخاصة في التخصصات النادرة.

- وأما عن التمويل الأجنبي للبحث العلمي فحدد المبحوثون شروط في ضوئها يتم قبول التمويل الأجنبي حيث كانت الاستجابات نحو :

(١) Philips, Eva Clarisa : The Transformation of Public Research Universities in Response to Declining State Support : A case study of one institution in the 1990 S. Ph.D. University of Virginia, 1997 Dissertation Abstracts International, Vol. 58, No. 7, January 1998, P. 2562-A.

(٢) محمد سكران، البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مصر، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية ونظريتها، جامعة القاهرة، ١٨-٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٣٠٤.

(٣) وزارة البحث العلمي، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، اقتصاديات البحث العلمي، المؤتمر العام، الدورة الثامنة عشر، ديسمبر ٢٠٠١، ص ٢١.

* أن يكون التمويل غير مشروط ببحث موضوعات معينة وإنما يهدف إلى دعم البحث العلمي بنسبة (٤, ١٧٪).

* أن يكون التمويل لبحث قضايا أو موضوعات مدرجة في إطار السياسة العلمية أو البرنامج العلمي للمؤسسة البحثية بنسبة (١, ١٥٪).

* ألا يتدخل الممول في اختيار توجهات ومداخل ومناهج وأساليب البحث بنسبة (٨, ١٢٪).

* ألا يكون هناك أى قيد من جانب الممول على معالجة نتائج البحث بنسبة (٥, ١٠٪).

* ألا يكون هناك أى قيد من جانب الممول على نشر تقرير البحث أو نتائجه بنسبة (٦, ١١٪).

* ألا يكون للممول الحق في الحصول من المؤسسات البحثية أو الباحث على المادة الخام التي تم جمعها والتي يمكن بناء عليها الاستدلال على شخصية الأفراد بنسبة (١, ١٥٪).

* ان متاح بيانات البحث للباحثين وذلك دون أن يتم نشر تقرير أو تقارير البحث بنسبة (٤, ١٧٪).

وعند إجراء المقابلة أوضح المبحوثون انه تم اجراء مشروع عن تحسين الثروة السمكية في الفترة من ١٩٩٤ : ٢٠٠٠م بين جامعة الأزهر متمثلة في كلية الزراعة وكندا وكان المشروع بتمويل أجنبى وتم الحصول على المشروع عن طريق الاتصالات الشخصية وليس عن طريق عرض وطلب للبحث العلمى وكان هدف المشروع هو تحسين الإنتاج والاستفادة من نتائج المشروع في خدمة البيئة ووضع الحلول والاستفادة منها فتم تطبيق المشروع في منطقة العباسية بمحافظة الدقهلية فخطط للبحث ووضعت لجان متعددة لرسم استراتيجيته وتمويله وتقييمه وهى المناخ المناسب لمجتمع التطبيق وحفز الابتكار في هذا المشروع ووجدت العمالة المدربة والمؤهلة لتنفيذ المشروع.

أما عن الأبحاث داخل الأقسام بكلية الزراعة فلم يستفاد من نتائجها في خدمة المجتمع وإنما الحلول والنتائج موضوعة على الورق حيث الميزانية ضعيفة ولم توجه نتائج البحث لخدمة المجتمع. كما أنه لا توجد اتفاقيات بحثية بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج.

- هذا ما توضحه الاستجابات حيث كانت بنسبة (١٠٠٪) باعتبار أنه توجد تحديات تحول دون وجود اتفاقيات بحثية وهذا يمثل مؤشر خامس لمعوقات البحث العلمي الجامعي ولقد حدد الباحثون استجاباتهم نحو هذه التحديات في السرية حيث كانت الاستجابات بنسبة (٩، ١٤٪)، وتعارض المصالح والالتزامات بنسبة (٨، ١٧٪) والملكية الفكرية بنسبة (٨، ٨٪) واقتقاد الطلب الاجتماعي على البحث العلمي بنسبة (٩، ١٢٪) واقتقاد الوعي المجتمعي بأهمية البحث العلمي ودوره في التنمية بنسبة (٩، ١٤٪) وتركيز مؤسسات الإنتاج على الكم وليس التطوير القائم على نتائج البحث العلمي بنسبة (٩، ١٢٪) والاعتماد على نقل التكنولوجيا الأجنبية بنسبة (٨، ١٧٪) كل ذلك يساهم في خلق أزمة في البحث العلمي.

وتتفق هذه النتيجة مع إحدى الدراسات التي أشارت أن هناك معوقات للملكية الفكرية التي تحول دون تعاون مع الصناعة مع البحث العلمي الجامعي، كما أن ما يحفز المبدع أو المبتكر تأتي من الجهات التي يمكن أن تستفيد^(١) من البحث، وليس من داخل النطاق البحثي، كما أن ضعف التمويل يمثل أهم المعوقات التي تحول دون انتقال التكنولوجيا والمعرفة عند حدود المؤسسات العلمية.

وكما تشير الدلالات الإحصائية بأن البحث العلمي في الجامعات غير موجه لخدمة الاقتصاد القومي حيث لا يرتبط بخطة ولا هدف، ولا يبحث في الغالب عن حلول المشاكل الحقيقية في مؤسسات الإنتاج، ومن ثم فقدت هذه البحوث جدواها.

وتتفق استجابات الباحثين مع إحدى نتائج تلك الدراسة^(٢) بأن عدم اهتمام مؤسسات الإنتاج بما يجري في الجامعات من أبحاث علمية، فضلاً عن قلة عدد

(١). Hoh, John D., Octipite, p.93.

(٢) فرج مصطفى الشافعي، مرجع سابق، ص ١١٩.

مشروعات البحوث التي أجريت بالتعاون مع مؤسسات الإنتاج، كما أن قنوات الاتصال بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج، وافتقار مؤسسات البحث العلمي في الجامعات إلى مناخ تنظيمي ملائم للابتكار والإبداع، وإلى جهاز إداري متقدم ومتدرب، وعلى مستوى عال من الكفاءة كى يدير عملية البحث العلمي ويحقق التعاون المنشود مع مؤسسات الإنتاج.

ومما لاشك فيه أنه كلما وجدت الزيادة في تمويل عدد الأبحاث الجامعية من جانب مؤسسات الإنتاج كلما ساهمت في زيادة كفاءة الأداء البحثي وبمستوى هذه الأبحاث. ففى نتائج احدى الدراسات وجد كلما كانت الأبحاث الجامعية ممولة^(١) من جانب الصناعة ساهمت في تنشيط البحث الأساسى الصناعى وزيادة حصة الأبحاث التطبيقية فى الصناعة، وان الابحاث الجامعية الممولة عن طريق المؤسسات الصناعية لها تأثير كبير فى النمو الاقتصادى العام والذي يقاس بالزيادة فى الأجور والمرتبات وكذلك الزيادة فى الأرباح بعد استقطاع الضرائب منها فأين نحن فى مصر من هذه الخطط التى تساهم فى زيادة القدرة الإبداعية والابتكارية وفى استثمار البحث العلمى بدلاً من وضعه فى الأرفف للأثرية والحشرات القارضة.

ولقد ساعد توجه نظم التعليم الجامعى فى العديد من دول العالم المتقدم على إقامة علاقات تحالف وشراكة فى إحداث تطوير فى أدوار وأنشطة جامعات هذه الدول. ولعل تجربة التعليم الجامعى الأمريكى تعطى لنا العديد من الدروس من خلال تجاربها المبدعة فى التحالفات التى أقامتها جامعاتها مع الشركات الكبرى^(٢)، ولقد نصت المادة ٥٢٥ من لائحة أهداف التعليم العالى فى انجلترا والتى صاغتها اللجنة الوطنية الانجليزية فى عام ١٩٩٧ على الأخذ بهذا الاتجاه وأكد تقرير اللجنة أيضاً على ضرورة تغيير التصور

(١) Berman, Evan Michael : The Economic Impact of Industry Funded University Research (١) an Development, Ph.D. The George Washinton University, 1998, Dissertation Abstracts International, Vol. 49, No., 11, May, 1999, p. 3434-A.

(٢) يوسف سيد محمود، التحالف بين الجامعات والمؤسسات الإنتاجية مدخل لتفعيل الدور البحثي للجامعة، المؤتمر الدولى الأول، البحوث العلمية وتطبيقاتها، ١٨ - ٢٠ ديسمبر، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٩٨.

الذي يرى أن التطوير التكنولوجي يتبع خطأ مستقيماً يبدأ من البحث ثم يتجه إلى التطبيق فالعلاقة بين الطرفين علاقة تفاعلية.

وبسؤال أفراد عينة البحث نحو وجود آلية لتمويل البحث العلمي الجامعي ودعمه من جانب جمعيات رجال الأعمال كانت الاستجابات سلبية بنسبة (١٠٠٪). وذلك للأسباب الآتية :

- * تراجع حجم التصنيع في مصر بنسبة (٧, ٨٪).
- * تراجع ترتيب التطوير والتجديد في قائمة اهتمامات القطاع الخاص بنسبة (١٣, ٥٪).
- * رجال الأعمال ليسوا على استعداد لاستثمار أموالهم في تطوير القدرات التكنولوجية المحلية بنسبة (١٦, ٧٪).
- * اللجوء للتكنولوجيا المستوردة ولأسلوب تسليم المفتاح بنسبة (١٣, ٥٪).
- * عدم وجود آلية لخلق الطلب على البحث العلمي بنسبة (١٣, ٥٪).
- * غياب التنسيق بين المجتمع ومنظومة البحث العلمي بنسبة (١٦, ٧٪).
- * عدم تخصيص نسبة من عائدات المشاريع البحثية لتمويل البحث العلمي وانفاقها على المعامل وتحديثها وشراء أجهزة علمية حديثة بنسبة (٨, ٣٪).

ولعل هذه الأسباب تعطي الدلالة السادسة ضمن معوقات البحث العلمي الجامعي وأنه لا يوجد طلب على البحث العلمي في مصر حيث المؤشرات كثيرة فالإنفاق^(١) على العلم من جانب الدولة (٨٦٪) ومن جانب الصناعة لا يتجاوز (٤, ٣٪) وهي نسبة ضئيلة للغاية إذا قورنت بنسبة ما تنفقه جهات أجنبية على البحث العلمي في مصر وتقدر نسبته بـ (١١, ٥٪) من جملة الإنفاق والحقيقة أن هذا الوضع مؤسف جداً خصوصاً إذا عقدنا مقارنة مع دولة فقيرة مثل الهند التي تنفق الدول فيها (٦٤٪) من إجمالي الإنفاق على البحث العلمي ويساهم القطاع الخاص بـ (١٥٪) كما

(١) محيا زيتون، مرجع سابق، ص ٣٩.

أن (٤٤٪) من المؤسسات العامة في مجال البحث العلمي بالهند تتواجد وتنتمي للقطاع الخاص، وطالما كانت نسبة إنفاق القطاع الصناعي محدودة على البحث العلمي فهذا معناه أنه لا يوجد طلب يذكر عليه من جانب قطاع الإنتاج، لأن الصناعة هي الدافع للتطور وهي أيضاً الساحة الرابعة للاستفادة منه.

إذن توجد مشكلة انفصال واضح بين قطاع البحث العلمي الجامعي وبين قطاعات الإنتاج والخدمات حيث لا توجد آليات فعالة لربط مؤسسات البحث العلمي بجهات الإنتاج المختلفة وأن عدم الربط الواضح لسياسة البحث العلمي والتطور التكنولوجي ببرامج التنمية يعد واحداً من نقاط الضعف الهامة في الوضع الراهن للبحث العلمي الجامعي في مصر.

إحدى الدراسات تناولت مدى الاتفاق بين رؤساء^(١) كليات التكنولوجيا وكبار رجال الأعمال والصناعة في المملكة العربية السعودية في مجال أنشطة التعاون حيث أوضحت النتائج أهمية التعاون بين الطرفين المشار إليهما، واتفق الجانبان على أن هناك مصالح مشتركة وراء التعاون، وفي الوقت نفسه أكد رجال العلم أهمية الاشتراك مع الصناعة في اكتساب الطلاب الخبرات العلمية من خلال دورات تدريبية للطلاب في العمل والصناعة، كما أبدى نسبة كبيرة من رجال العلم والأعمال الرغبة في اشتراك رجال الأعمال في مجالس إدارة الجامعة.

ونتيجة إحدى الدراسات أكدت وجود علاقات قوية بين الجامعات^(٢) ورجال الأعمال تمثلت في ثلاثة أنواع من العلاقات هي تدريب الباحثين الجدد، والإبداع التكنولوجي وحقوق الملكية الفكرية فبتوثيق العلاقة وجدت عدد من المزايا الهامة منها تقديم مبالغ تتراوح بين (٨٤) مليون دولار و (١٣٥) مليون دولار لأبحاث الجامعة في

(١) Althwaini, Tariq Mohammed : Cooperation between colleges of technology and business and industry in Saudi Arabia, Ed. D., University of Pittsburgh 1999, Dissertation Abstracts International, Vol. 60, No. 9, March, 2000, p. 3285-A.

(٢) Gluck, Michael Edward : University - Industry Relationships In Biotechnology : Implications for Society, Ph.D., Harvard University, 1997, Dissertation Abstracts International, Vol. 48, No. 12, 1998, P. 3194-A.

مجال التقنية الحيوية خلال السنوات العشر الماضية، وكذلك تقديم مبالغ تتراوح بين (٨) و (٢٤) مليون دولار لتدريب الخريجين وطلاب الدراسات العليا في مجال علوم الحياة، وكذلك نقل الاكتشافات العلمية ذات الامكانيات التجارية بين الجامعات والأكاديميات العلمية إلى السوق التجارية.

- ولقد أشارت استجابات الباحثين بأن التعتن الإداري والتعقيد والبيروقراطية والتدخلات الطفيلية باسم حرفة القوانين وإهمال جوهر هذه القوانين وروحها ربما كل ذلك هو حجر العثرة أمام عمل بناء في مسار طموحات العالم الثالث نحو الارتقاء والتقدم إلى ما هو أفضل، وهذا يمثل معوق سابع من معوقات البحث العلمي الجامعي ولقد حدد الباحثون مؤشرات هذا المعوق من خلال هجرة الكفاءات العلمية حيث كانت الاستجابات بنسبة (٩, ٢٩٪)، ومركزية اتخاذ القرارات بنسبة (٤, ١٩٪).

- الإحباط والعجز عن استكمال البحث العلمي بنسبة (٣, ٢٧٪) - عند قياس عينات علمية فإن الأمر يستغرق الكثير من الوقت في وجود لجان متعددة بنسبة (٤, ٢٣٪) وكل ذلك يعطى مؤشرات لضعف المشاركة المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني في تفعيل وتنشيط البحث العلمي وتطويره وذلك لعشرات الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية والبيروقراطية، فالمشاركة المجتمعية ماتزال دون المستوى، ولم تصل بعد إلى ما هو المنشود ومأمول.

جدول رقم (٤)

توزيع أفراد عينة البحث نحو الصعوبات التي تحول دون وجود استراتيجية البحث العلمي الجامعي.

المثير	الاستجابة	
	(ع)	(%)
ما هي الصعوبات التي تحول دون وجود استراتيجية للبحث العلمي الجامعي ؟		
١ - غياب رؤية واضحة للبحث العلمي	١٠	٨,٨
٢ - غياب سياسة محددة لتنمية البحث العلمي	١٥	١٣,٠
٣ - غياب الأولويات	٢٠	١٧,٤
٤ - نتائج البحث العلمي غير موجهة لتنمية المجتمع وتخطيطه	١٥	١٣,٠
٥ - عدم توافر قاعدة للبيانات التكنولوجية والتسويقية	١٥	١٣,٠
٦ - غياب التحالف والشراكة بين الجامعات والمؤسسات الإنتاجية	٢٠	١٧,٤
٧ - النظرة إلى البحث العلمي على أنه مجرد خدمة دون النظر إليه على أنه استثمار مفيد اقتصادياً باعتباره أساس التقدم والتنمية	٢٠	١٧,٤
الإجمالي	١١٥	٪١٠٠

إذا كان البحث العلمي يمثل بعداً من أبعاد التنمية الأمر الذي يفرض أهمية وضع الاستراتيجيات لتنمية هذا القطاع. فإن غياب التخطيط لمشاريع البحث العلمي يعني غياب السياسات والأهداف قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى، وكذلك فإن غياب آليات تنفيذ المشاريع يعني عشوائية الإدارة وغياب الاستراتيجيات التي من شأنها تحقيق الأهداف.

ويكشف جدول رقم (٤) من خلال النسب والدلالات الإحصائية عدة مؤشرات، قد تكون لها دور في غياب استراتيجية محددة للبحث العلمي الجامعي، وهذا يمثل معوق ثامن

من معوقات البحث العلمي في الوقت الذي يشهد العالم حالياً مجموعة هائلة من التغيرات التي نشعر بها على المستوى المحلي والدولي، فالمجتمع الآن يقول أنه لا وجود في النظام العالمي الجديد ومولودته العولمة إلا للدول التي تملك قدرة علمية وتكنولوجية وهذا الشرط لن يتوفر إلا بالإبداع - عن طريق التعليم المجود والتدريب المستمر - باعتباره المدخل الرئيسي للبحث العلمي الذي يؤدي إلى ثورة التطور والابتكار.

ونحن إذا نظرنا إلى أنشطة العلم والتكنولوجيا سنجد أن هناك خمسة أنشطة أساسية فلدينا علوم أساسية، وتطبيقية، وتكنولوجيا تقليدية، وأخرى حديثة ثم هناك مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية وأخطر جانب في كل هذه الأنشطة ما يسمى بالبحث والتطوير المرتبط بالإنتاج وهذا يعني وجود عملية بحثية منتظمة لها نتائج ملموسة يتم تحويلها إلى سلع ومنتجات مثل الهياكل والنماذج والإنتاج.

والواقع أن حجم البحث العلمي في مصر ضخم جداً ويستحق أن تكون له استراتيجية وسياسات لتنفيذها ... ولكن من خلال البيانات الواردة في جدول رقم (٤) يتضح الصعوبات التي تواجه الاستراتيجيات، في عدم وجود سياسة واضحة للبحث العلمي وعدم وجود سياسة محددة من قبل الدولة للتنمية الاقتصادية من خلال رؤية علمية واضحة وعدم وجود شفافية في مجال البحث العلمي بصفة عامة فضلاً عن ضرورة تطوير الكوادر البشرية من خلال مزيد من التدريب حتى نستطيع أن نلحق بركب التقدم العلمي العالمي وهذا يحتاج إلى إيقاع سريع وبالتالي هناك فجوة ضخمة بيننا وبين الدول المتقدمة حيث الصراع أصبح صراع قدرات وصراعاً علمياً^(١) وبالتالي لا بد أن نجد لنا مكاناً على الخريطة العالمية إذن يوجد خلل في أشياء كثيرة وهذا راجع لأسباب عديدة منها الإداري ومنها المادي.

إذن في ظل هذه الأوضاع المتردية هل يمكن لأي بحث علمي لا يخدم المجتمع ولا يخدم الإنسانية أن يأتي بثماره كما يجري في أمريكا أو إنجلترا حتى نقنع أنفسنا أننا لسنا أقل منهم، فوجود استراتيجية مخططة للبحث العلمي تساهم في حصر أهم مشاكلنا في

(١). P2 of2. 16/10/25 http : WWW.al-araby. Com/articles/930/041010-12-930-pnpol.htm.

جميع معاركنا الحياتية حتى نوجه إليها كل نشاطنا العلمي، الخلاق المبدع، وعندها يكون البحث العلمي ممارسة لا ديكوراً، عملاً لا شعاراً، فائدة لا تكلفة.

- وبسؤال المبحوثين عن تحقيق فكرة د. أحمد زويل بإقامة مجمع علمي داخل مصر كانت الاستجابات "بنعم" بنسبة (٢٠٪) والاستجابات "بلا" بنسبة (٣، ٥٣٪)، والاستجابات "بإلى حد ما" بنسبة (١، ٢٦٪).

ومن كانت استجاباتهم (بنعم) حددوا كيفية إقامة فكرة د. أحمد زويل عن طريق العمل الجماعي وليس العمل الفردي بنسبة (١٩٪)، وتنمية الوعي المجتمعي بأهمية البحث العلمي بنسبة (١٩٪) والتمويل بنسبة (٥، ١٦٪)، ونظام إداري تتوافر فيه الأمانة والموضوعية وعدم التعقيد بنسبة (١٤٪) وربط خطط البحث العلمي بالتنمية مع تحديد لجان للمتابعة والتقييم بنسبة (١٩٪) وكذلك بالتعاون بين الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية ومؤسسات الإنتاج بنسبة (٥، ١٢٪).

وأما عن كانت استجاباتهم "بإلى حد ما" و "بلا" فقد وضعوا عدة مؤشرات تعوق تحقيق فكرة د. أحمد زويل داخل المجتمع المصري وهي :

* ضعف مكانة العلم والعلماء مقارنة بالشرائح المختلفة في المجتمع فكانت بنسبة (٥، ١١٪).

* غياب الإرادة والرغبة الجادة بنسبة (٥، ١١٪).

* وعدم وجود آلية لتشجيع المبتكرين والمبدعين بنسبة (٣، ١٧٪).

* غياب شبكة قومية للمعلومات والبيانات تربط بين الجامعات المصرية ومؤسسات البحث العلمي والمجتمع الخارجى بنسبة (٤، ١٦٪).

* وعدم استثمار البحث العلمي بنسبة (٥، ١١٪).

* وكذلك البيروقراطية وتعتتها بنسبة (٣، ١٧٪).

وفى أثناء المقابلة أوضح المبحوثون أنه من الصعوبة تحقيق فكرة د. أحمد زويل فى إقامة صرح علمي؛ نظراً لأننا نواجه فجوة كبيرة فى المعرفة ولاسيما أن المعرفة بمعناها

الواسع هدف متحرك وحدودها في توسع مستمر وللتصدي لفجوة المعرفة لابد من القيام بعمل متزامن في ميادين ثلاثة مترابطة ومتكاملة هي : استيعاب المعرفة واكتسابها ونشرها وتوقف قيمة المعرفة لاغراض التنمية على مدى تطبيقها بفعالية، ولذلك يتطلب السعى لإقامة مجتمع يقوم على المعرفة ووضع استراتيجيات تحقق التكامل بين استيعاب واكتساب ونشر المعرفة من خلال إيجاد حلقات وصل بين نظم التعليم والتدريب وطلب سوق العمل، وبالمثل يتعين إيجاد وصلات تربط المبدعين والباحثين مع المنتجين وصانعي القرار ويتعين أن ينظر إلى استراتيجيات المجتمع العلمي على أنه موضع اهتمام المجتمع والفاعلين الاقتصاديين والإدارات الحكومية والقطاع الخاص والمجتمع المدني مما يعزز اتساق هياكل ومدخلات ومخرجات نظم التعليم والتدريب والبحث مع متطلبات الإنتاج رفاهية الإنسان وعملية التنمية.

ونستطيع القول من خلال الدلالات الإحصائية إذا كنا نمتلك قاعدة علمية وتكنولوجيا وإرادة ووعي مجتمعي فلماذا لا نخطط لهذا الصرح العلمي الذي يضع مصر باعتبارها إحدى دول العالم العربي والإسلامي على خريطة البحث العلمي ونستطيع من خلال استثمار طاقاتها المبدعة والمتمثلة في باحثيها وعلمائها وخبرائها أن نصل إلى الوضع العالمي والدخول إلى السوق العالمي كما كان ذلك بارزاً وواضحاً وجلياً للعيان للعالم العربي الإسلامي في مرحلة ازدهاره ونهضته في الوقت الذي كان يعاني فيه الغرب من ظلام دامس ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن تحقيق البحث العلمي لأهدافه في خدمة التنمية لابد وأن يكون هناك مشروع قومي للبلاد ولكن الواضح حتى الآن انه لا يوجد سياسة تكنولوجية عليا لمصر.

إذن مسألة التنمية التكنولوجية ضرورة بشرط أن يحدد النظام السياسي اختباره وبذلك يمكن القول إن إقامة مجتمع علمي وتبنى فكرة د. أحمد زويل وعدم الوصول إلى الإحباط يتطلب الإرادة السياسية ورغبة الجماعة العلمية واقتصاديات البحث العلمي اننا على شفا ثورة كبرى في المجتمع العالمي ومفتاح هذه الثورة هو الانتقال إلى مجتمع المعلومات العالمي ونتيجة لهذه الثورة توجد في فلسفة العلم نظريات جديدة

وهناك فى النظريات اتجاهات لدراسة الحالات المتوقع لها أن تؤدى لإفلااب على مستوى الممارسة العلمية وهذا الجانب نحن غير مهتمين به ولا بمتابعته.

وأما من كانت استجاباتهم سلبية فقد حددوا المؤشرات وتكشف النسب كيف ان هذه الفكرة إنسلخت وقدمت لشعب آخر غير الشعب المتمى إليه صاحب الفكرة العبقرى وأضاف إلى العلم العديد من الابتكارات والإبداعات العلمية والتطوير والارتقاء بالقدرات والإمكانات البحثية من ناحية والارتقاء بالطلب على خدمات البحث العلمى على المستوى العالمى والمحلى من ناحية أخرى.

جدول رقم (٥)

توزيع أفراد هيئة البحث بحسب استجاباتهم نحو مقترحاتهم
لرسم استراتيجية لتطوير وارتقاء البحث العلمي

المثير	الاستجابة	
	(ع)	(%)
ما هي مقترحاتكم لرسم استراتيجية لتطوير وارتقاء البحث العلمي الجامعي ؟		
١- التمويل المادي والدعم المعنوي	٢٠	٩,٣
٢- الموضوعية و الالتزام بأخلاقيات البحث العلمي	١٢	٥,٦
٣- التخطيط ووضع الأولويات	٢٥	١١,٧
٤- الحرية	١٥	٧,٠
٥- الأبحاث الجماعية بعيداً عن الفردية	٢٥	١١,٧
٦- أن يتولى القادة العلميين المتخصصين أمر البحث العلمي	١٥	٧,٠
٧- إيجاد منظومة علمية متكاملة موجه تربط البحث العلمي بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية.	٢٠	٩,٣
٨- منظومة علمية قادرة على خلق الطاقة الإبداعية	٢٥	١١,٧
٩- مشاركة رجال الأعمال في تطوير وتحديث البحث العلمي عن طريق تخصيص جزء من الأرباح كضريبة	٣٠	١٤,١
١٠- وضع خطط وبرامج بحثية على مستوى كل قسم مع توفير شبكة قومية للبيانات والمعلومات تربط بين الجامعات	١٥	٧,٠
١١- المتابعة والتقييم من جانب الإشراف مع توفير الوقت الكافي من جانب المشرفين.	١٢	٥,٦
الإجمالي	١٤٢	٪١٠٠

ويوضح جدول رقم (٥) مقترحات أفراد عينة البحث لرسم استراتيجية لنشل البحث العلمى الجامعى عما أصابه من انتكاس وتدهور رغم الجهود المضنية التى يبذلها علماء وطنيون يقدمون جهودهم الفردية فى مناخ غير موات وهو مناخ طارد للعلماء حيث يصل عدد علمائنا وخبرائنا العاملين بالخارج حسب إحصائية الجهاز المركزى للإحصاء إلى ٨٢٢ عالماً وخبيراً وتراجع براءات الاختراع وتتفق هذه الاستراتيجية المقترحة عما حدده الباحثون الذين قمت معهم بالمقابلة.

ففى ظل تنامى دور العلم والمعرفة فى الألفية الثالثة^(١) بوصفها أحد عناصر الإنتاج الرئيسية المؤثرة فى نجاح الأنشطة الصناعية والخدمية فى تحقيق أهدافها الاستراتيجية، وفى إطار الطفرة غير المسبوقة فى تقنيات المعلومات والاتصالات، ارتبطت استدامة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بنجاح الدول النامية فى الانتقال إلى مجتمع المعرفة، وتحقيق مستويات متقدمة فى البحث العلمى والتكنولوجيا وقد صاحب ظاهرة تعاظم أهمية البحث العلمى - فى عصرنا الحالى - تزايد فى متطلباته البشرية والمادية وتراجع دور الدولة فى توفير برامج التمويل. ويعود ذلك إلى ظهور العديد من العلوم البيئية والتخصصات متعددة التطبيقات، وارتفاع تكلفة الأجهزة العلمية والتجهيزات المعملية والخاصة إلى تكوين فرق بحثية متعددة التخصصات والمهارات.

وعند وضع خطط البحث العلمى على المستويين القومى والقطاعى فإنه يتعين على المخطط أن يتعامل مع البحث العلمى كخدمة مجتمعية يتم تقديمها من خلال أسواق تخضع لقوى العرض والطلب، فعرض البحوث العلمية بجامعة الأزهر - على سبيل المثال - يتمثل فيما تملكه الجامعة من إمكانيات وقدرات بشرية ومادية وتمويلية وتنظيمية لتقديم خدمة البحث العلمى. فى حين ان الطلب على الخدمات البحثية - التى تقدمها جامعة الأزهر - يتكون من الجهات المستفيدة من هذه البحوث على المستويين العالمى والمحلى. فعند قيام جامعة الأزهر ببحث لصالح جهة أجنبية فإنها تحقق جانب

(١) معتز محمد حنى خورشيد، تخطيط البحث العلمى وإدارته، المؤتمر الدولى الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها بجامعة القاهرة، ١٨ - ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٢٨٨.

من الطلب على الخدمات البحثية على المستوى العالمي. وعندما تتصدى الجامعة لدراسة قضية قومية - مثل البطالة أو المخدرات أو التلوث البيئي - فإنها تحقق طلباً على المستوى القومى. وبالمثل فإن قيام الجامعة بدراسة لصالح أحد الشركات الخاصة لتطوير أحد منتجاتها وتطويرها وضمان جودتها، يعنى تحقيقها للطلب على خدمة البحث العلمى على مستوى الوحدة الاقتصادية.

وبالطبع فإن سعر الخدمة المقدمة يتحدد بجودة الخدمة التى تقدمها جامعة الأزهر (العرض) ومتطلبات المستفيد من الخدمة (الطلب).

بناء على ما سبق فإن جهود إعداد خطة البحوث العلمية يجب أن تسعى إلى تطوير والارتقاء بالقدرات والامكانيات البحثية من ناحية وأن تتوجه - فى نفس الوقت - إلى الارتفاع بنصيبها فى جملة الطلب على خدمات البحث العلمى على المستوى العالمى والمحلى وهنا يتعين على جامعة الأزهر - فى إطار إعدادها للخطة البحثية - أن تقوم بمسح شامل لمتطلبات سوق البحث العلمى على مستوياته المتعددة وعليه فإنه من اللازم وجود آلية تضع الرؤى المستقبلية لمنظومة البحث العلمى والاستراتيجية الشاملة لتطوير التكنولوجيا التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والصناعية. كل ذلك يساهم فى تحفيز الابتكار الذى يستلزم^(١) الآتى :

- ١ - تقوية الثقافة العلمية والتكنولوجية فى المجتمع.
- ٢ - وجود علاقة وثيقة بين البحوث من جهة والإنتاج من جهة أخرى.
- ٣ - التوعية المجتمعية.
- ٤ - التوجه إلى إنشاء مراكز البحث المتميزة.
- ٥ - تطوير مكاتب براءات الاختراع.
- ٦ - تخصيص مكافأة سنوية للإبداع.

(١) هانى الناظر، تخطيط البحث العلمى وإدارته، المؤتمر الدولى الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها بجامعة القاهرة، ١٨-٢٠ ديسمبر، ٢٠٠٤، ص ٢٩٠.

٧- تركيز الاضواء على الرموز البارزة في مجال الابتكارات الحديثة وتطبيقات التكنولوجيا فالسياسة العلمية أصبحت علماً له خبراؤه ومنظروه، ومؤسساته، وليس عملاً عشوائياً، أو مجرد مؤتمرات ولقاءات والخروج بتوصيات عامة تتجاوز الواقع وإمكانياته.

أهم نتائج البحث

توصلت الباحثة في ضوء أهداف البحث وتساؤلاته إلى مجموعة من النتائج كما يتضح ذلك في الرسم البياني الذي يوضح معوقات الابتكار والإبداع في البحث العلمي الجامعي نجملها فيما يلي :-

١- عدم وجود بيئة حاضنة للبحث العلمي الجامعي حيث بلغت أعلى معدل بنسبة (٩, ١٨٪) من خلال استجابات عينة البحث، وهذا يعطى مؤشراً خطيراً بأن البحث العلمي لن يؤدي أهدافه ولا وظائفه على اعتبار بأن الحضنة مليئة بالفيروسات المعادية للبحث العلمي؛ مما ساعد هذه البيئة على تكرار الأبحاث وخضوع البحث العلمي للاجتهادات الفردية في ظل غياب رؤية جماعية تحدد ضوابط الطلب والعرض.

٢- ان البحث العلمي الجامعي نشاط هامشي غير موجه لخدمة المجتمع، وقد بلغت نسبة هذا المعوق (١, ١٣٪) من خلال استجابات عينة البحث، واتضح ذلك من خلال المقابلة مما يسهم في اخفاق الطاقة الإبداعية والابتكارية وذلك باعتبار ان نتائجه لم توجه لخطط التنمية وينقصه فريق عمل بحثي متكامل وكذلك التمويل مما جعل البحث العلمي هدفه الترفيه فقط واحاطته بالواسطة والمحسوبية، ومن ثم فقدت هذه البحوث جدواها.

٣- أظهرت نتائج البحث عدم وجود آلية لخلق الطلب الاجتماعي على البحث العلمي الجامعي حيث بلغت نسبة هذا المعوق (٧, ١٢٪) وهذا معناه غياب مفهوم صناعة البحث والتطوير عن مجتمع البحث العلمي وبالتالي لم يكن له دور حيوي في

توليد تكنولوجيا محلية قائمة على الابتكارات المصرية ومن هذا المنطق صعب عليه الارتقاء به، ليؤدى دوره كآلية من آليات التنمية الاقتصادية، واستمرت النظرة الغالبة إلى البحث العلمى كآلية من آليات التعليم، وهذا يعطى مؤشر خطر بضعف قنوات الاتصال بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج ورجال الأعمال والمؤشرات كثيرة حيث نجد أن (٨٦٪) من الإنفاق على البحث العلمى تقدمه الدولة والإنفاق من جانب الصناعة لا يتجاوز (٣, ٤٪) وهى نسبة ضئيلة للغاية إذا قورنت بنسبة ما تنفقه جهات أجنبية على البحث العلمى فى مصر وتقدر نسبته (٥, ١١٪) من جملة الإنفاق والواقع أن هذا الدور المحدود له دلالات عديدة منها تراجع حجم التصنيع فى مصر، وتراجع ترتيب التطوير والتجديد فى قائمة اهتمامات القطاع الخاص الذى يفترض أنه سيقود عملية التنمية فى مصر، وكذلك رجال الأعمال ليسوا على استعداد لاستثمار أموالهم فى تطوير القدرات التكنولوجية المحلية بإنشاء وحدات للبحث والتطوير داخل مشروعاتهم والبديل لدى هؤلاء اللجوء إلى التكنولوجيا المستوردة واللجوء لاسلوب "تسليم المفتاح" ... بدلاً من الاستعانة بالقدرات الوطنية.

٤- أظهرت نتائج البحث إلى افتقار البحث العلمى فى الجامعات إلى استراتيجية محددة حيث بلغت نسبة هذا المعوق (٩, ١١٪) وهذا راجع إلى عدم وجود سياسة لتنمية البحث العلمى، وعدم وجود أولويات واضحة وعدم وجود رؤية للبحث العلمى وعدم توافر قاعدة للبيانات التكنولوجية والتسويقية وقصور فى التكنولوجيا والبدايل المتاحة ونقص الموارد المالية وقلة الاهتمام بأهمية العنصر البشرى الذى يحتاج إلى دعم مستمر وتخصيص بعثات ترسل إلى الخارج.

٥- اتضح من خلال الرسم البيانى فى ضوء نتائج البحث إن نقص التمويل وعدم وجود شراكة أو تحالف بحثى بين الجامعات ومؤسسات الإنتاج معوقاً من معوقات البحث العلمى حيث بلغت نسبته (٢, ١٠٪)، حيث أن الميزانية المخصصة له محدودة ولا تفى باحتياجاته وعدم التوجه نحو إقامة الشراكات والتحالفات بين

الجامعات ومؤسسات الإنتاج جعل الجامعة فى وضع بعيد عن قلب الأحداث الاجتماعية وعدم توجيه دورها فى "التعليم البحثى" وهذا يساهم فى افراز عدم الوعى الاجتماعى بأهمية العلم ودوره فى الحياة، وعدم التقارب والتداخل بين ثقافة الحرم الجامعى وثقافة المجتمع للعديد من الجامعات نحو المغامرة والمخاطرة.

٦- اتضح من خلال نتائج البحث وجود قصور فى إعداد الباحث العلمى فى مرحلة الدراسات العليا حيث بلغت نسبته (١, ٩٪) حيث توجد عشرات الأسباب التى تتعلق بالمناخ السائد - من عدم التفرغ للبحث العلمى، وغياب المتابعة والتقييم الجادين وغياب الضمير الأخلاقى ... إلخ - والبرامج والمناهج، والامكانيات، والمكتسبات والمعامل، صحيح أن هذا الضعف محصلة لما تعرض له من خبرات ثقافية ومجتمعية وتربوية منذ نعومة أظفاره لكن والصحيح أيضاً - إنه خلال مسيرته العلمية يعاني عشرات المشكلات التى تزيد من ضعف اعداداته وتكوينه. بالإضافة إلى أن التعليم المصرى والعربى بعامة وما يعانيه من تركة متوارثة، ومن ثقافة مستمدة من الثقافة المجتمعية السائدة. وتركيزه على "ما حدث" لا على "ما يحدث" أو "سوف يحدث" وعلى "الكم" أكثر من "الكيف" وعلى "الانفصال" ووضع الحواجز وليس "التحاور" و "التكامل" بين العلوم والمعارف وعلى "المعلومات" أكثر من "المعرفة"، ومن قبل ومن بعد على "ثقافة المذاكرة" أكثر من التركيز على "ثقافة الإبداع" فغابت العقلية العلمية الناقدة القادرة على البحث وإتقان مهاراته. وهنا نشير إلى ثمة إصلاحات وعمليات تطوير قائمة ونتوقع لها النجاح إذا ما توافر لها "الثقافة الداعمة" و "التمويل الكافى" ومن قبل ومن بعد "الرؤية الواسعة العميقة والثابتة" ذات التوجه المستقبلى، والقدرة على التعامل مع المتغيرات والتطورات على كافة المستويات المحلية والقومية والإقليمية والعالمية.

٧- من خلال الرسم البيانى يتضح تراجع الدور العلمى للدولة ووجود فجوة بين البحث العلمى ورسم السياسات واتخاذ القرارات حيث بلغت نسبة هذا المعوق (٣, ٨٪) فى ضوء هذه الدلالة الإحصائية يمكننا وصف مجتمع البحث العلمى

بأنه ضمن القطاع غير الرسمي في الدولة، وأنه يخضع للاجتهادات الفردية في ظل غياب رؤية عامة ووجهة جماعية تحدد ضوابط الطلب والعرض، وكذلك هو سوق للبحث تنقصه المعلومات، بل إن وسائل توفير المعلومات غير نظامية، وهو سوق يختلط فيه المحلي بالأجنبي ويتفاوت فيه العائد من بحث إلى آخر ومن مجال إلى آخر بل ومن باحث إلى آخر نتيجة لغياب المنافسة وغياب دور الدولة. إذن يوجد تراجع من جانب الدولة للاتفاق على البحث العلمي، والإنفاق المخصص للبعثات العلمية إلى الخارج كما أن منظومة البحث العلمي لم تحقق وظائفها من خلال أهداف محددة والتعامل مع المعلومات والتشغيل والتنسيق والمتابعة، وبالتالي وجدت فجوة بين البحث العلمي وطرق رسم السياسات واتخاذ القرارات.

٨- يوضح الرسم البياني أن غياب التخطيط والبرامج والأولويات للبحث العلمي داخل كل قسم من الأقسام العلمية يعد معوقاً للبحث العلمي حيث بلغت نسبته (٨٠٪) كل ذلك يساهم في عدم التوازن المطلوب بين أنواعه وربطه بعمليات التنمية، فالسياسة العلمية أصبحت علماً له خبراؤه ومنظروه ومؤسساته، وليس عملاً عشوائياً، أو مجرد عقد مؤتمرات ولقاءات والخروج بتوصيات عامة طوباوية تتجاوز الواقع وإمكاناته.

٩- يوضح الرسم البياني افتقار مؤسسات البحث العلمي في الجامعات إلى مناخ تنظيمي ملائم للابتكار والإبداع، وإلى جهاز إداري متقدم ومتدرب باعتبار أن التعتن الإداري والبيروقراطي له دور في إخفاق البحث العلمي حيث بلغت نسبته (٧٠٪) ولهذا الوضع السيئ دلالات ومؤشرات خطيرة تتمثل في هجرة الكفاءات العلمية إلى الخارج بصفة مؤقتة أو دائمة مما يشكل فقداً كبيراً في إجمالي إنتاج البحث العلمي وفقداناً مادياً من جراء استقدام خبراء أجانب بأعداد كبيرة، يتقاضون أجوراً باهظة، بالإضافة إلى الإحساس بالإحباط والعجز واستغراق عامل الوقت من إعداد لجان متعددة عند اللجوء لقياس عينات علمية.

١٠- أوضحت استجابات الباحثين أن للبحث العلمي بوجه عام - عدة سمات تتمثل

فى اكتشاف العلاقات العلمية أو السببية بين المتغيرات مما يساعد على فهم حل المشكلات، وكذلك التوصل إلى تعميمات أو مبادئ أو نظريات تساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بالمستقبل، وكذلك التجريب والملاحظة الدقيقة والوصف الموضوعى والموضوعية والالتزام، مما يجعل للبحث العلمى مساهماته البناءة فى ركب الحضارة العالمية، وهذا يتطلب عدة مقومات للبحث العلمى تمثل فى عدة مصادر، منها وعى القيادات السياسية بأهمية العلم والتكنولوجيا، وتوفير القدرة المالية لتحقيق الاستثمار، وتمويل البحث العلمى، وتوفير البيئة الملائمة والوعى المجتمعى والعناية بالتعليم الفعال، وتوفير فرص التدريب واكتساب الخبرات والتقنية من مواردها واستقطاب العلماء والتقنيين من البلدان الأخرى.

١١ - حاول أفراد عينة البحث وضع عدة مقترحات قد تساهم فى انتشار البحث العلمى الجامعى عما أصابه من انتكاس وتدهور رغم الجهود المضنية التى يبذلها علماء وطنيون يقدمون جهودهم الفردية فى مناخ غير موات، وهو مناخ طارد للعلماء وتتمثل تلك الاقتراحات فى الموضوعية والالتزام بأخلاقيات البحث العلمى، والتخطيط ووضع الأولويات والحرية، والبحث العلمى الجماعى، وإيجاد منظومة علمية متكاملة تربط البحث العلمى بالتنمية، ومشاركة رجال الأعمال فى تطوير البحث العلمى عن طريق تخصيص جزء من الأرباح كضريبة، ووضع خطط وبرامج بحثية على مستوى كل قسم مع توفير شبكة قومية للبيانات والمعلومات تربط بين الجامعة، وكذلك الإشراف الجاد والمتابعة والتقييم على الرسائل العلمية - كل ذلك - كما يرى المبحوثون - قد يساهم فى تطوير وارتقاء القدرات والإمكانات البحثية من ناحية والارتفاع بنصيبها فى جملة الطلب على خدمات البحث العلمى على المستوى المحلى والعالمى مما قد يساهم فى تحفيز الإبداع والابتكار، على اعتبار أن السياسة العلمية أصبحت علماً له خبراؤه ومنظوره ومؤسساته، وليس عملاً عشوائياً أو مجرد مؤتمرات ولقاءات والخروج بتوصيات عامة طوباوية تتجاوز الواقع والإمكانات.

التوصيات والمقترحات:

لكي يتفاعل البحث العلمي في جامعاتنا مع مراكز البحوث العلمية ، ويساعدها في مجالات التطوير والابتكار ، خصوصا في المجال الصناعي ، وحتى لا تكون الأبحاث العلمية في الجامعات بمعزل عن مجالات التطبيق التكنولوجي ، فإن الأمر يقتضى تطوير دور البحث العلمي في الجامعات على أن يأخذ هذا التطوير التصور التالى:

✳ وضع خطة بحثية جادة لكل قسم، مع التنسيق بين الأقسام المتناظرة في الجامعات المختلفة، حتى لا يضيع الوقت والجهد والمال فى بحوث مكررة أو لا فائدة منها للاقتصاد القومى ، مع نشر هذه الخطة سنويا حتى يطلع عليها الجميع ويلتزم بها.

✳ تشجيع روح الفريق فى البحوث العلمية، وذلك باشتراك أكثر من شخص أو قسم أو كلية فى مشروع واحد متكامل ، لدراسة كل مشكلة من المشكلات التى تؤثر فى الاقتصاد الوطنى، وابتكار الحلول لمواجهتها بأسلوب عصري متطور، وباستخدام أحدث وسائل التكنولوجيا، مع إيجاد قاعدة علمية سليمة لتطوير التكنولوجيا محليا بالتدرج بدلا من استيرادها .

✳ توفير الدعم الكافى لإنشاء معامل حديثة فى مختلف فروع العلم فى الجامعات ومراكز البحث العلمى ، وتوفير الفنيين اللازمين لإدارة هذه المعامل واستخدامها، ولناخذ بمبدأ العمل المركزى ، فى كل قسم أو كلية ، حتى يستفيد أكبر عدد من الباحثين من الأجهزة العلمية، مع توفير امكانيات الصيانة المستمرة.

✳ تزويد المكتبات العلمية فى الجامعات ومراكز البحث بأحدث الكتب والدوريات العلمية ، التى تعتبر -بالإضافة إلى خدمات الانترنت- ضرورة حتمية لمتابعة التطور العلمى العالمى . مع توفير الاتصال الالكترونى مع المكتبات العديدة فى مصر؛ علما بأن هذا النظام معمول به فى الولايات المتحدة عن طريق مكتبة الإعارة

الدولية . National lending library.

✳ ضرورة التزام موضوعات الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراة) بالخطة العلمية

للقسم أو المركز البحثى التابع له الطالب ، مع التزام الجدية والدقة العلمية عند التحكيم فى هذه الرسائل ، على أن يتولى مجلس القسم اختيار المحكمين الأكفاء لكل رسالة حسب تخصصها .

※ ربط البحوث العلمية والتطبيقات التكنولوجية بالدراسات البيئية فى المدن والمجتمعات الصناعية الجديدة ، وذلك فى النقاط الرئيسية الآتية :-

※ تكوين شركات متخصصة للبحث العلمى والتكنولوجى والبيئى فى المدن الجديدة ، تكون مهمتها تقديم المعونة الفنية والتكنولوجية والبيئية للقطاع الصناعى فى المجتمعات الصناعية الجديدة .

※ أن يتم تمويل وتكوين هذه الشركات من مساهمات القطاع الصناعى الخاص ، والأنشطة الأخرى المستفيدة .

※ مساهمة هذه الشركات فى مجال الدراسات التسويقية ورفع مستوى جودة الإنتاج ؛ لمواجهة المنافسة العالمية ، خصوصاً وأتينا على أبواب التطبيق الفعلى لاتفاقيات الجات .

※ إعفاء الشركات التى تتخصص فى مجال البحث العلمى والتكنولوجى من الضرائب على الدخل ، تشجيعاً لها على التوسع فى تكوين وإدارة هذه الشركات .

※ إدارة المؤسسات البحثية تحتاج إلى اهتمام خاص فهى تحتاج إلى علم وخبرة وحزم وحنكة مما يحتم على الدولة اختيار القيادات التى سيختار من بينها مديرى المؤسسات البحثية وقياداتها وإعدادهم إعداداً جيداً قبل توليهم هذه المناصب ، وهذا الأمر حيوى لحسن توظيف الوزارات البشرية إمكانيات التوظيف الأمثل .

※ مساندة الإدارة المسئولة بلوائح مرنة وقواعد تضمن انضباط وحسن استغلال الإمكانيات مع سرعة التصرف مما يؤدى فى النهاية إلى الجدوى الاقتصادية الإيجابية للتشغيل .

※ الرفع الفورى لنسبة تمويل البحث العلمى فى خطة الدولة إلى المستويات المتعارف

عليها عالميا وبحيث لا تقل عن ٢٪ من الدخل القومي والوصول بها إلى ٣٪ خلال خمس سنوات.

❖ وضع آلية لإنشاء شركات إنتاجية لتطبيق نتائج الأبحاث في الجامعات وتدار هذه الشركات بواسطة متخصصين بالإضافة إلى أساتذة الجامعة ... ويخصص جزء من دخل هذه الشركات للمشروعات البحثية بالجامعة لضمان استمرارية النشاط البحثي .

المراجع

(أ) المراجع العربية:

- ١- إيتسام حسين على حسين، التكنولوجيا الحيوية الحاضر والمستقبل، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها، ١٨-٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، جامعة القاهرة، ص ١٧٥ .
- ٢- تقرير مجلس الشورى (تحديث مصر) - الفصل الرابع التعليم والبحث العلمي والشباب، القاهرة، فبراير ٢٠٠٢ .
- ٣- رمضان أحمد عيد، محمود عطا محمد على، آليات الربط بين البحث العلمي الجامعي والتنمية الاقتصادية، دراسة مقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مجلة التربية والتنمية، مركز التنمية البشرية والمعلومات، ع ١٣، السنة الخامسة، القاهرة، مارس، ١٩٩٨ .
- ٤- سيد الحديدي، أضواء على البحث العلمي، مرجع سابق، ص ٢٧ .
- ٥- شريف مفلح، أهمية البحث العلمي في استراتيجيات التنمية والتطوير التقني، المجلة الثقافية، الأردن، ع ٥٣، مارس - مايو ٢٠٠١، ص ١٨ .
- ٦- عادل جزار، التعريب وصلته بالرقى العلمي، المجلة الثقافية، الأردن، أبريل - يوليو ١٩٩٥، ص ١٠-١٢ .
- ٧- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٧، ص ٧٧ .
- ٨- عبد الغنى سيد أحمد عبود، دراسة مقارنة لنظام البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٢ .
- ٩- عزت حجازي، الإشكاليات الأخلاقية في البحث الاجتماعي في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، مركز دراسات الوحدة، القاهرة، ديسمبر ١٩٩١، ع ٧٦، ص ٧٦، ٧٧ .
- ١٠- على على حبش، البحث العلمي والتنمية التكنولوجية في مصر رؤية مستقبلية، سلسلة ندوات (حوار حول الرؤية المستقبلية للتنمية في مصر)، معهد التخطيط القومي، القاهرة، الحلقة السابعة (١٩/ ٣/ ٢٠٠٢)، ص ٨-٥ .
- ١١- عتتر لطفى محمد، معوقات البحث العلمي بالجامعة كما يراها أعضاء هيئة التدريس وسبل تطويره، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، ع ٣٦ السنة ١٢ أبريل ١٩٩٥ .

- ١٢- فرج مصطفى محمد الشافعي، استراتيجية مقترحة لتطوير العلاقة بين البحث العلمي بالجامعات وبعض مؤسسات الانتاج بمصر، مرجع سابق، ص ١٢٥ .
- ١٣- محمد سكران، البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مصر، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها، جامعة القاهرة، ١٨- ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٣٠٤ .
- ١٣- محمد سكران، البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مصر، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها، جامعة القاهرة، ١٨- ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٣٠٤ .
- ١٤- محمد شهاب أحمد، واقع البحث العلمي في الوطن العربي ومستقبله، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، مارس ١٩٩٨، ص ٦٤ .
- ١٥- محمد رؤوف حامد، البحث العلمي والتنمية في مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ع ٢٨، القاهرة ٢٠٠٤، ص ٤١ .
- ١٦- محمد عزت عبد الموجود، من قضايا التعليم والتنمية، مستقبل التربية العربية، المجلد (١) ع ١، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، يناير، ١٩٩٥، ص ٦٩، ٧٠ .
- ١٧- مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار - مجلس الوزراء - أكتوبر ٢٠٠١ .
- ١٨- معتر محمد حسنى خورشيد، تخطيط البحث العلمي وإدارته، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها بجامعة القاهرة، ١٨ - ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٢٨٨ .
- ١٩- محمود عطا محمد على ميل، العلاقة بين البحث العلمي والمؤسسات الانتاجية في مصر في ضوء خبرات بعض الدول الأجنبية، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ع ٢٨، يناير، ١٩٩٧، ص ٤٣ .
- ٢٠- محيازيون، البحث العلمي والتنمية في مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد (٢٨)، القاهرة ٢٠٠٤، ص ٣٥ .
- ٢١- نادر فرجاني، البحث العلمي والأمن القومي، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٩، ٢٠ .
- ٢٢- هاني الناظر، تخطيط البحث العلمي وإدارته، المؤتمر الدولي الأول للبحوث العلمية وتطبيقاتها بجامعة القاهرة، ١٨- ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٢٩٠ .
- ٢٣- وزارة البحث العلمي، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، اقتصاديات البحث العلمي، المؤتمر العام، الدورة الثامنة عشر، ديسمبر ٢٠٠١، ص ٢١ .
- ٢٤- يوسف سيد محمود، التحالف بين الجامعات والمؤسسات الانتاجية مدخل لتفعيل الدور البحثي للجامعة، المؤتمر الدولي الأول، البحوث العلمية وتطبيقاتها، ١٨- ٢٠ ديسمبر، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٩٨ .

(ب) المراجع الأجنبية:

- 1- Althwaini, Tariq Mohammed : Cooperation between colleges of technology and business and industry in Saudi Arabia, Ed. D., University of Pittsburgh 1999, Dissertation Abstracts International, Vol. 60, No. 9, March, 2000, p. 3285-A.
- 2- Berman, Evan Michael : The Economic Impact of Industry Funded University Research and Development, Ph.D. The George Washington University, 1998, Dissertation Abstracts International, Vol. 49, No. 11, May, 1999, p. 3434-A.
- 3- Casanueva, Cristina R : S& technology Policy Mexico. Government Research Development & Technological Innovation, 1970-1980, Ph.D. Stanford University, 1998, Dissertation Abstracts International, Vol. 419, No. 6, 1998. P. 1420-A.
- 4- Kerlin, Scott Paul : The Fiscal Crisis of the American Public Research University and its Impact on Faculty A case study of factors influencing Recruitment and Retention of Academic Personnel. Ph.D. University of Oregon, 1982, Dissertation Abstract : International, Vol. 53, No. 8, February, 1999, p. 2704-A.
- 5- Gluck, Michael Edward : University - Industry Relationships In Biotechnology : Implications for Society, Ph.D., Harvard University, 1997, Dissertation Abstracts International, Vol. 48, No. 12, 1998, P. 3194-A
- 6- Philips, Eva Clarisa : The Transformation of Public Research Universities in Response to Declining State Support : A case study of one institution in the 1990 S. Ph.D. University of Virginia, 1997 Dissertation Abstracts International, Vol. 58, No. 7, January 1998, P. 2562-A.
- 7- [http : WWW.al-araby. Com/articles/930/041010-12-930-pnpol.htm](http://WWW.al-araby.Com/articles/930/041010-12-930-pnpol.htm). 16/10/25 P2 of2.
- 8- Stanford University, Research, Science, and Innovation National Innovation systems, U.S.A. <http://WWW.P14.Stanford.edu/group/STS.279/handouts/H21.htm>.

القسم الثاني
المقالات

obeikandi.com

مدخل إلى فقه الأقليات

د/ طه جابر العلوانى (*)

مفهوم "فقه الأقليات" لم يأت من فراغ وليس مجرد ذكاء فردى من باحث أو كاتب، بل هو فكرة وقضية تمثل حصيلة عشرات اللقاءات والحوارات والمناقشات المستفيضة حول أسئلة لم تعرفها البيئات المسلمة التي ارتحل المسلمون المقيمون في الغرب عنها إلى هذه البيئات الغربية في أمريكا وأوروبا.

لقد كان الجيل الأول من المسلمين القادمين إلى هذه الديار قد شغل بقضيتين أعطاهما من الحجم ما كان ملائماً لهموم واهتمامات أولئك المسلمين الذين يمثلون بقايا "العالمية الإسلامية الأولى" كما يقول أخونا أبو القاسم أو بقايا المسلمين في دائرة انتشار "الإسلام الأولى" بين الأميين الذين لم يأت إليهم قبل رسول الله محمد ﷺ من نبى ولا رسول، تلك القضيتان هما "الحلال" و"الهلال". والحلال يراد به اللحم الحلال، وهل للمسلم أن يطعم لحوم أهل الكتاب؟ فيسمى ويأكل أو لا بد من أن يذبح بنفسه، فلا يأكل إلا ما ذبحه مسلمون بوسائلهم وبأساليبهم وشروطهم. أما قضية الهلال فتتعلق بشئ دخل شهر رمضان وخروجه وتحديد يومى الفطر والأضحى، وهل يجب على المسلمين أن لا يصوموا ولا يفطروا حتى يرى نفر منهم - واحداً أو أكثر - الهلال بالعين المجردة، أو يمكن الأخذ بالحساب الفلكي أو متابعة البلدان المسلمة؟

تلكما القضيتان كانتا الشغل الشاغل للمسلمين حين يأوون إلى مساجدهم ويجالسون فقهاءهم منذ أن لم يكن في أمريكا كلها أكثر من عدة مساجد لا تتجاوز أصابع الكف الواحدة حتى صار فيها - بفضل الله - تعالى - ما يزيد عن ألفين وثلاثمائة مسجد ومركز، وما يقرب من خمسمائة مدرسة إسلامية.

أما الآن فهناك أجيال طالعة مسلمة في الغرب تختلف اهتماماتها اختلافاً كبيراً عن اهتمامات آبائهم وأجدادهم ولها هموم وأسئلة وإشكالات مغايرة، إنهم أبناء "العالمية

(*) رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بالولايات المتحدة الأمريكية.

الإسلامية الثانية" التي يتجه الخطاب القرآني فيها إلى البشرية كافة، وفي مقدمتها أهل الكتاب من نصارى ويهود ونحوهم تمهيداً لالتقاء البشرية على الدين القيم الموحد، الدين الذي حمّله الأنبياء كافة سداً وحمته قيم الهدى والحق والخير، وإسلام الوجه لله رب العالمين. وقد انضم إلى الأجيال الطالعة من أبناء المسلمين - أولئك الذين اعتنقوا الإسلام أو عادوا إليه من أبناء هذه الديار الغربية، فانضموا إلى الإسلام بعد أن صيغت شخصياتهم، وتكونت ثقافتهم، وتأسست وتكاملت هوياتهم الغربية.

وإذا كانت الشريعة وضعت إلهياً ثابتاً لا يقبل التغيير فإن الفقه في الشريعة فهم بشري قابل للتأثر بكل ما يؤثر على الفكر البشري من مؤثرات زمانية أو مكانية أو ثقافية أو بيئية. وإذا كانت الشريعة الإلهية تتسم بالإطلاق على الجملة فإن "الفقه" نسبي، ولذلك تحول "الفقه المذهبي" إلى مدارس تأثرت بنفس الأقاليم التي انتشرت فيها المذاهب "والمناطق التي استقر بها العمل فيها - حتى اتخذ الفقه طابعاً إقليمياً خاصاً في تلك البلدان والأمصار، شأنه في ذلك شأن كل كائن حي يخضع لعوامل الزمان والمكان تبعاً لذلك. ومن أمثلة ذلك: القديم والجديد من مذهب الإمام الشافعي، فالمشهور أن "القديم" هو ما قاله في العراق إفتاءً أو تصنيفاً، وتلقاه عنه تلامذته العراقيون أحمد بن حنبل، وأبو ثور والزعفراني والكرابيسي ومن إليهم. و"الجديد" ما قاله بمصر حينما تغيرت رؤيته للمسائل وتكييفه لها، وظهرت له أدلة لم تكن حاصلة له من قبل، إذ بلغت أحاديث لم تبلغه حين كان في بغداد يدون مذهب القديم، وقد شاع وعرف تناول الشافعيين لمذهبهم بطريقتين: الأولى "طريقة العراقيين"، والثانية "طريقة الخراسانيين" وقد وصف الشافعية "طريقة العراقيين" في تدوين المسائل الفقهية بأنها أتقن وأثبت. ووصفوا "طريقة الخراسانيين" بأنها أحسن من حيث التصرف والبحث والتفريع والترتيب.

ومثل ذلك يقال عن المذهب المالكي فهناك طريقة المالكية العراقيين، وثانية للمغاربة، وثالثة للقرطبيين في الأندلس، ورابعة للمالكية مصر. ولكل طريقة من هذه الطرق مصنفات في المذهب تختلف قليلاً أو كثيراً عن مصنفات أصحاب الطرق

الأخرى. ومالكية العراق يعدون أشبه بالحنفية من حيث أخذهم الكثير بإجماع الرأى وإثبات الاستدلال، ويغلب على مالكية المغرب مراعاة الأمور العملية وتكييف الأحكام فى التوازل. ويختلف شافعية جنوب شرق أسيا فى عصرنا هذا فى كثير من مسائل الفقه عن الشافعية فى مصر والعراق ومثل ذلك يقال عن المذاهب الأخرى. وكذلك مذاهب الفرق الإسلامية خارج الدائرة السنية التى تأثرت تأثراً كبيراً فى اختلاف الأقاليم.

لذلك كان اقتراح الشيخ على حسن عبد القادر - العميد الأسبق لكلية الشريعة بالأزهر - بضرورة تقسيم دراسة الفقه عند المقارنة إلى مناطق اقتراحاً وجيهاً له ما يبرره بحيث يمكن النظر إلى المناطق الإسلامية الكبرى باعتبارها وحدات جغرافية اجتماعية لكل منها مميزاتها فى نظامها الاجتماعى والثقافى، واختلاف العادات والملايسات النفسية والاقتصادية والسياسية، وأحوالها الطبيعية.

وقد كان ابن خلدون وهو القاضى الفقيه المؤرخ وعالم الاجتماع من أوائل من التفتوا إلى ما يمكن تسميته "بالجغرافية الفقهية"، فقد ذكر وهو يتحدث عن انتشار المذهب المالكى واختلاف مالكية المغرب عن مالكية العراق، قال "فالبداوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التى لأهل العراق. فكانوا إلى أهل الحجاز أميل - بمناسبة البداوة - ولهذا لم يزل المذهب المالكى عندهم غصاً، ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع فى غيره من المذاهب". ومن هنا يتضح أن البعد الجغرافى بعد أساسى فى عمليات تكييف القضايا والمشكلات الفقهية تجب مراعاته وملاحظته فى الفقه والفتوى والقضاء، وليس بفقير من يتجاهل بُعداً له هذا القدر من التأثير فى تكييف المسائل. بل إن الناظر فى المراجع الفقهية وفى أقوال الفقهاء واختيار الفتاوى والأحكام والترجيح بينها لابد أن يلاحظ بدقة هذا البعد. ولم يبعد من قال: إن هناك "فقهاً إقليمياً" وفقه مناطق.

وأمرىكا بكل ما فيها من اختلاف عن العالم الإسلامى يظلم المسلمون أنفسهم ويظلمون الإسلام لو فرض على المسلمين من أبنائها والمقيمين فيها فقه لا يلاحظ هذا البعد ولا يأخذه بنظر الاعتبار، فإنه إذا بقى أئمة المساجد والمتصدون للفتوى يحاولون

تطبيق فقه مذهبهم في هذه البيئة دون نظر إلى اختلاف هذه البيئة الكبير في مسائلها ووقائعها ونظم حياة أهلها، وثقافتهم ونفسياتهم فإنهم قد يحملون أبناء الإسلام قبل غيرهم على البحث عن معالجات وحلول لمشكلاتهم وأسئلتهم وقضاياهم خارج الفقه الإسلامي كله، وأخشى أن أقول: خارج الدائرة الإسلامية كلها والمسألة ليست مسألة تخفيف وتشديد، بل هي أكبر وأخطر إذ إن للفقه والتقنين تأثيراً مباشراً في البناء الاجتماعي والثقافي والنفسى، ولذلك فإن الأمر أخطر مما يظن أولئك الذين يصورون هذه الأمور على هواهم، إن الأمر يتعدى ويتجاوز تلك المشكلات الفقهية التي تعن للأفراد. إن الإشكال يتعلق في كيف نجعل مقاصد القرآن العليا الحاكمة ومقاصد الشريعة والعقيدة والشريعة معاً تنعكس كلها على مجتمعاتنا في المهجر لنقدمها نماذج تستولى على احترام الآخرين وإعجابهم وتقديرهم، ومن ثم الرغبة في الانضمام إلى هذه الأمة القاننة؟!

ومن هنا بدأ التفكير بوضع ما أسميناه "فقه الأقليات" والتأصيل له، وبناء أصوله وقواعده.

الفقه الذى نسميه بفقه الأقليات ليس أمراً مبتدعاً ابتكرناه أو ابتدعناه، لكنه كان معروفاً في تاريخنا الفقهي بأنه فقه النوازل، وكتبه ودراساته كثيرة فهناك "نوازل أهل بغداد في عهد التتار" و"نوازل أهل بيت المقدس في عهد الصليبيين" و"نوازل أهل الأندلس" إلى غير ذلك. لكننا نريد أو نحاول أن نخرج هذا الفقه من دائرة فقه نوازل ومصائب وظروف استثنائية وأحكام عرفية إلى دائرة أخرى ليكون فقهاً له تأصيل آخر وننحو به منحاً آخر يجعل منه فقهاً لجماعة نموذجية إذا نظر الناس إليها وجدوا نظام حياتها وطرائق تعاملها مع الآخرين هادياً لإدراك محاسن الإسلام. وهذا في الحقيقة ما حاولت أن أفعله أو هذا هو ما جعلناه هدفاً حين وضعنا "مقرر فقه الأقليات" لتدريسه في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية للدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكانت النية أن نغير من اتجاه فقه النوازل إلى تأصيل فقه أقليات.

يزورنا هنا في الولايات المتحدة ويزور إخواننا في أوروبا وغيرها الكثير من

المشايخ والعلماء من بلاد المسلمين ويقدمون فتاوى فقهية كل منهم حسب منطلقه ومذهبه ومقدار فهمه للواقع. فلم تعد هناك مشكلة من المشاكل إلا وفيها عشرات الفتاوى التى تعطى الشيء ونقيضه: فالشيء الواحد حلال وحرام، كفر وإيمان، أسود وأبيض، ولا يمكن فى هذه الحالة من الفوضى الفكرية أن نبقى على هوية أمة أو أقلية ولا يمكن أن نحافظ عليها، ستذوب إن لم تذب فى الجيل الأول فإنها ستذوب فى الجيل الثانى أو الثالث كما ذابت هجرات قبلنا. من هنا انبثقت الحاجة لإيجاد أو لتدريس هذا الفقه فى مؤسستا التعليمية الناشئة، فكيف نبنيه؟

الأمر الأول: استبعدنا فكرة الفقه بمفهومه الاصطلاحي الدقيق المصغر لنأخذ الفقه الأكبر وهذه نقلة أساسية ونوعية إذا لم نأخذ بها فمن العسير جداً علينا أن نخرج من هذه الدوامة. لم يكن الفقه (بمعناه المتداول اليوم) معروفاً عند المسلمين حتى سنة ٤٠ هـ للهجرة، كان البديل عنه ما سماه أبو حنيفة - رحمه الله - بعد ذلك بالفقه الأكبر. يعنى أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن عندهم فقه أصغر كالفقه الذى ورثناه عن المدارس الفقهية المتأخرة وإنما كان لديهم فقه أكبر والفقه الأكبر هو فقه يشتمل على جانبين: فقه الدين، وفقه التدين. ولكن هذا الفقه الأكبر تحول أو بدأ يتحول بعد سنة ٤٠ هـ ليصبح فقهاً بدأ يتضيق ويصغر ويأخذ المعانى الفنية الدقيقة، شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح على أيدي علماء أواخر القرن الثانى الهجرى والقرن الثالث هو "معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية". فراجع الفقه الأكبر لحساب الفقه الاصطلاحي الخاص بالأحكام العملية لمسائل معينة توصف تارة بأنها "عملية" وتارة أخرى بأنها "فروعية" تميزاً لها عن المسائل الاعتقادية التى يتناولها علماء الكلام والتوحيد، وكذلك المسائل الأصولية التى يعجز بحثها فى علم "أصول الفقه".

و حينما نتابع دراسة الأدلة والمفاهيم الشرعية وتاريخ كل منها والظروف التى نشأت فيها نجد الصلة الوثيقة والرابطة التى لا انفصام لها بين الفقه وبين الاجتماع الإسلامى. فالمجتمع الإسلامى المتحرك يفرز مشكلات وي طرح أسئلة، والفقيه وهو يحاول أن يجيب عن تلك المشكلات وعن تلك الأسئلة هو ابن بيئته ومحدود بظروفه،

وبالإضافة إلى هذا فإن محدودية العقل الإنساني لا تسمح بتجاوز البيئة والزمان للإتيان بفهم يتجاوز ظروف المشكلات التي يعالجها الفقيه أو المفكر. من أجل ذلك كان من الضروري أن لا نجعل أقوال الفقهاء وأصولهم فى الأصول وفى الفروع مرجعية مطلقة بل ننزلها بما يليق بها من مكانة كسوابق اجتهادية يستفاد منها دون الغفلة عن نسبتها، وصلتها الوثيقة بالزمان والمكان لمعرفة مناهج السالفين فى التعامل مع الأصول وباعتبارها أمثلة على طرائق العلماء فى تحديد "فقه الدين" فى كل عصر، وممارسة التجدد والتجديد الذاتى فى إطار القيم الحاكمة والمقاصد العليا لا فى إطار التقليد المذموم.

الأمر الثانى: إن النظر فى المسائل والوقائع والظواهر المستجدة من خلال الفقه الأكبر، لا من خلال الأدلة التفصيلية وحدها يحمل المفتى على الرجوع إلى المصدر المنشئ للأحكام والمصدر المبين له على سبيل الإلزام. فالقرآن الكريم فى مفهومنا الفقهي هذا هو المصدر المنشئ للأحكام لا مصدر غيره، ولم يكن يعرف المسلمون مصدراً للمعرفة بكل أنواعها - ومنها الشرعية - إلا القرآن الكريم طيلة عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وتلك هى السيرة. القرآن وحده كان هو المصدر المنشئ لفكرهم، لمعتقداتهم، لتصوراتهم لنظام حياتهم، لكل شأن لديهم. ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلو عليهم القرآن ويطبق القرآن فيهم. ولذلك كانت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - وهى من أفقه الصحابة رضوان الله عليهم، كانت حينما تسأل عن خلقه - عليه الصلاة والسلام - تقول: "كان خلقه القرآن". ليس هناك شئ سوى القرآن. وكانت حينما توجه لها بعض الأسئلة ويقال لها روى فلان أن رسول الله ﷺ قال كذا فلا تعقب إلا أن تقول: أقول لكم ما فعل - عليه الصلاة والسلام -، وتصرفهم عن القول ومناقشته بذكاء شديد إلى الفعل النبوى لرسول الله ﷺ لتبين المصادر المعرفية كما هى. فالسنة النبوية هى المصدر المبين للقرآن على سبيل الإلزام وأى بيان آخر خارج القرآن وخارج السنة هو بيان غير ملزم ولذلك نقل البيهقى عن الإمام الشافعى - رضى الله عنه - (إنه لا سنة لرسول الله صحت ولا أصل لها فى القرآن كما فى أحكام القرآن

للإمام الشافعى الذى جمعه البيهقى). أما أقوال الفقهاء فلك أن تسمع إليهم وتناقش وتحاور وترجح وفقاً لقواعد النظر والاستدلال آخذاً من أقوالهم المختلفة ما ترجحه ولكن لا يلزمك شئ منها. فالقرآن هو المصدر المنشئ والسنة هى المصدر المبين له فى إطار علاقة تكاملية لا تسمح بإسقاط أحدهما على حساب الآخر كما لا تسمح بالفصل بينهما.

الأمر الثالث: يجب أن نميز بين مقاصد الشارع والشرعة وبين مقاصد المكلفين. لذلك وجدنا أن المقاصد الشرعية التى يمكن أن تشكل لنا إطاراً قيمياً حاكماً بموجب استقراءنا لآيات الكتاب الكريم المحددة لهذه القيم يمكن تلخيصها بالمقاصد الثلاثة الآتية:

المقصد الأول: التوحيد

المقصد الثانى: التزكية

المقصد الثالث: العمران

وقد حصرنا القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة بهذه الثلاثة على اعتبار أن حاصل أى شئ من الأشياء إنما هو ناجم عن تفاعل يجرى بين الغيب والإنسان والكون. الغيب واسع يشمل الغيب المطلق والغيب النسبى، وكل ما يتعلق بالعقيدة نعتبره مدرجاً تحت التوحيد، ويمكن للتوحيد أن يدل عليه.

ومفهوم التزكية تندرج تحته قضايا كثيرة جداً تتعلق بالتكوين العقلى والنفسى والتربوى والجسدى لهذا الإنسان المزكى الذى يستطيع أن ينفذ مقتضيات العهد الإلهى. فلا يستطيع أن يقوم بمهمة الائتقان أو الأمانة ومهمة الاستخلاف إنسان غير مزكى، ولا يستطيع أن يقوم بالعمران إنسان غير مزكى ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ولا يستطيع أن يكون إنساناً ناجحاً فى الابتلاء حتى يتزكى ﴿لِيَلْوَكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]... إلى غير هذا.

وأما مفهوم العمران فابن خلدون - رحمه الله - كان فى مقدمة من لفت الأنظار

إليه وإلى الفوارق الدقيقة بينه وبين مفهوم الحضارة، وبين أن العمران حضارة ولكنها قائمة على رؤية كلية ومصحوبة بقيم. وحينما ننظر فى سيرة وسنة رسول الله ﷺ وهو يتعامل مع الجماد ويتعامل مع الشجر ويتعامل مع الماء ويتعامل مع التراب ويتعامل مع الحيوانات وغيرها، نستطيع أن نكتشف هذا الحس العمراني في الوجود. فالإنسان ليس عدواً للطبيعة والعلاقة بينهما ليست علاقة صراع، إذ إن الإنسان ابن الطبيعة والمستخلف فيها وعليها كذلك.

فى إطار هذه القيم الحاكمة والمقاصد العليا تأتى مقاصد الشريعة الأخرى ومنها المقاصد التى ذكرها أئمة الفقه من الإمام الشافعى والإمام أبى حنيفة - باعتبارها مقاصد المكلفين - ثم مروراً بالأئمة الآخرين حتى الغزالي والعز بن عبد السلام والشاطبي. فالقرآن لم يكذب شيئاً من الأشياء ذات الأهمية، إلا وأضاف لها قيمتها وعلل تشريعها. علل النبوة وعلل الرسالة وعلل فى قضايا الحلال والحرام، وبين الأسباب والعلل الكامنة وراء ذلك كله. ورسول الله ﷺ سلك المسلك نفسه وهو يبين تلك الأحكام حتى لم يكذب بقى شئ يقال له: أنه غير معقول المعنى، وما يطلق عليه العلماء اسم "أمر تعبدى" يقصد به: أنه ليس له علة متعديّة تصلح للقياس ولكن لم يقصدوا به أن لا يكون له معنى أصلاً. فليس هناك شئ غير معقول المعنى فى هذه الشريعة، ولكن هناك معنى اكتشفه مجتهد فى عصر ويغيب عنه معنى آخر قد يكتشفه من يأتى بعده؛ لأن من المهم أن ندرك خصائص هذه الشريعة الخاتمة، ومنها هذه العلة التى تتكشف للمجتهدين وفقاً لشروط وضوابط تتفق والوقائع والآفاق المعرفية للمجتهدين لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ما تركا شيئاً إلا وعللاه ضمن المقاصد العليا وفى دائرة المقاصد المترتبة عليها. وكذلك مقاصد المكلفين التى نص الفقهاء أيضاً - على مراعاة الشارع لها - هى مدرجة فى هذا الإطار محكومة بالمقاصد الحاكمة التى تعتبر بمثابة قمة الهرم نفع عليها ما بقى. فيجب ملاحظة المقاصد هنا ملاحظة دقيقة، وفيما نتناوله منها نحاول إحداث الوعى على أهميتها وعلى قيمتها كمدخل أساس وضرورى فى بناء فقه الأقليات.

الأمر الرابع: لم نقبل مفهوم الأقلية كما هو في العلوم السياسية المعاصرة التي نهض ببنائها على فكرة الدولة القومية، وحين نرجع إلى القرآن الكريم المصدر المنشئ لمعارفنا وتصوراتنا نجد القرآن الكريم ينحو بمفاهيم الأقلية والأكثرية منحى آخر: فكثيراً ما يذكر الأكثرية في معرض الذم ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ففي هذه الآيات يذكر القرآن الأكثرية في معرض النقد وفي معرض التنديد؛ لأنه هو - أى القرآن - لم ينطلق من منطلق القوة كما تصوغ مفهومها العلوم السياسية المعاصرة - القوة التي تحتاج إلى عدد وأغلبية - ولكن القرآن الكريم انطلق من مفهوم الحق، ومفهوم الحق شئ ومفهوم القوة شئ آخر، في إطار مفهوم الحق يجب على المكلف أن يبحث عن الحق والحقيقة بكل ما لديه من وسائل فإذا وصل إلى نهاية جهده وبذل قصارى طاقاته قال: يا ربى هذا ما أملكه وهذا ما توصلت إليه، ثم يعمل بما أده إليه اجتهاده، ولكن ينبغي أن لا يتوقف بحسه عن ذلك، فما دام الأمر اجتهادياً فيمكن أن يتغير الاجتهاد بعد سنوات أو في الجيل القادم، فما يتوصل إليه اجتهاد إليه ملزم له ولمن يقلده في عصره، أو يتبنى - اجتهاده - بعد قبول أصوله بعد ذلك. و"الأقلية" أحياناً تكون هي صاحبة الحق. حتى إن شاعرنا العربي يقول مفاخرأ:

تعرينا أنا قليل عديداً فقلت لها إن الكرام قليل

لذلك ارتبط بوعينا الأدبي مفهوم القلة بالنخبة فليس بشرط أن تكون القلة ضعفاً بل قد تأخذ مفهوم النموذج - النخبة، الأمة المسلمة المخرجة صاحبة رسالة ودعوة وهي بالنسبة لسائر الأمم أقلية.

ولقد خاطبنا ربنا جل شأنه حينما قال ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فنحن أمة "مخرجة" نموذجاً لغيرها شاهدة على الناس وبنو إسرائيل أمة "مدخلة" إلى الأرض المقدسة. فالله - تعالى - يقول ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ويقول لهم ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]، أى أن عندكم بقعة محددة من الأرض خذوها. بالنسبة لنا الأرض كلها ميدان عمل لنا، يقول الرسول ﷺ: "جعلت لى الأرض مسجداً وظهوراً"، فالأرض كلها مسجد يدور حول الحرم ويتجه إليه "إن الأرض يرثها

عبادى الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ولذلك لم يكن تأصيل أو عناية في الإسلام بمفهوم الوطن، بل هناك مفهوم الدار. وما ورد في الأثر من أن رسول الله ﷺ كان يحن إلى مكة ويقول "لولا أنهم أخرجوني ما خرجت" لا علاقة له بما نقول. فالدار هو أى جزء من الأرض تستطيع أن تسكنه وتستقر فيه. إنه ليس للمسلم موطن يمثل جزءاً من الأرض يقدسه دون سواها، ويحميه ويدافع عنه، وبقيّة الأرض لا مانع أن تكون ميداناً للتلوث وتدمير البيئة ودفن النفايات النووية.

أما فكرة تقسيم الأرض لدى الفقهاء المتقدمين إلى دار الحرب ودار الإسلام فإنها موضع نقاش وتحييص في ضوء خصائص الشريعة وعالمية الإسلام، وقد ناقشنا قبلنا فخر الدين الرازى - رحمه الله - (ت: ٦٠٦ هـ) ووصل إلى نتائج مختلفة تؤصل توجهاً آخر غير ما اعتدنا سماعه في هذا الموضوع وهو تقسيم الأرض إلى دار إجابة ودار دعوة، والأمم أمتان: أمة إجابة وأمة دعوة.

فالمسلم لديه دار، وهذه الدار توجد بوجوده وتغيّب لغيابه. هذه الدار ليست مجرد بقعة أرض بمواصفات معينة، وإنما هي دار يستطيع أن يمارس أحكام دينه فيها. ما دام قد حل بها مسلم تمكن من إقامة الإسلام ولو على المستوى الفردى فهي دار إسلام. فعندنا فرق كبير بين مفهوم الدار ومفهوم الوطن لا بد من ملاحظته - وقد نص الإمام الماوردى على أن دار الكفر بالنسبة للمسلم تصبح دار إسلام ما دام يأمن فيها على نفسه وعرضه وماله، ويتمكن من إقامة فرائضه من صلاة وصيام ونحوها، بل إن الماوردى قد نص على كراهة مغادرة هذه الدار إلى دار الإسلام إذا طمع في إسلام أحد على يديه.

في إطار كل هذه المعطيات وكثير غيرها، بنينا هذا المقرر الدراسى لتجيب على أسئلة أو تحديات البيئة الأمريكية إجابة لا تخضع لآراء وأقوال فقهاءنا الماضين وحدهم، ولكن تقوم على الرجوع إلى مصادر الشريعة لاستنباط الأحكام منها فالمصادر هي: القرآن الكريم وهو المصدر المنشئ والسنة النبوية هي المصدر المبين على سبيل الإلزام، والعلاقة بينهما تكاملية. والأدلة الأخرى يستفاد منها كسوابق في إطار اجتهادنا الفقهي. الأرض هي دار وليست وطناً، إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جاء ليقيم

أمة دعوة شاهدة على الناس، والفرق كبير بين أمة الدعوة التي تكون للعالم بمثابة القطب أو المحور وبين دولة ذات سيادة على بقعة تحددها حدود جغرافية تنحصر مهمتها فيها، وهذا هو الخطأ الكبير الذى وقعنا فيه ونحن نفكر من منطلقات الهيئات والحركات التي نشأت على فكرة إقامة دولة والوصول إلى الحكم؛ لأن حركاتنا السياسية كلها أقيمت وفقاً للطراز الغربى ومفاهيمه للدولة والأقاليم والسيادة ونحوها، وهيكلية الأقلية والأكثرية جزء من ذلك. ولقد عرفت الأمة - شذوذاً - فكرة الطوائف والفرق، لكن الأحزاب بطريقتها هذه هي أمور أخذناها من الغرب ووضعنا لها المحتوى الإسلامى: أو هيكلناها هيكله إسلامية، ومشينا فيها بشكل أو بآخر، ولذلك فتحن فى حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيها، فرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان عبداً لله ونبياً ورسولاً ولم يكن ملكاً من الملوك والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة.

الأمر الخامس: نحن فى هذا الإطار حذرون جداً من أن ندخل إلى فقهننا عملية أو فكرة الارتهان إلى الواقع الأمريكى. وهناك أخوة تلقفوا منا الكلام عن "فقه الأقليات" وبدأوا يكتبون ويناقشون قبل أن يقرأوا شيئاً مما كتبنا وزعم بعضهم أننا نحاول أن نوجد فقهاً خاصاً بهدف التحلل من أى ارتباط بالأحكام الفقهية المعروفة وفصل ما بين الأقليات وعمقها فى العالم الإسلامى، وأن الشريعة واحدة فلا تتنوع وفقاً لكثرة الناس وقتهم. إننا لم نرد بالدعوة إلى بناء هذا الفقه أن نعطى للأقلية إذناً بالتحلل من كثير من الضوابط الشرعية! بل نريد أن نلقى على عاتقها هموماً أخرى لكى تبنى الأمة المخرجة أو نموذج الأمة المخرجة فى المهجر فتكون أمة قطباً وتكون أمة نموذجاً حيث تكون، سواء أكانت فرداً أو مجموعة فهى أمة. والأرض هى دار والدار مؤقتة، الدار خيمة نبئها ونرفعها غداً تنتقل بانتقالنا ومعنا قيمنا وديننا والمعانى التى نحملها ونشرها. إننا نريد أن نقدم هذه الأمة أو هذه المجموعة المسلمة لهذا المجتمع أنموذجاً قدوة بحيث يستطيع من يراهم أن يرى من خلال سلوكهم والنموذج الذى يقدمون قيم الإسلام ونموذجه، وذلك كنموذج أهل الفسطاط بالنسبة لأهل مصر. فالإسلام لم يدخل مصر بالقوة... أربعة آلاف جندي فقط كانوا مع عمرو بن العاص وأمره سيدنا عمر بن

الخطاب بيناء الفسطاط وبنى لهم الفسطاط بجوار القاهرة وبدأ الإسلام ينتشر من ملاحظة الناس للمسلمين وطريقة تعايشهم والسلوك الذى يسلكونه.

ولا أدري ما الذى سيحدث إذا قدم المسلمون أنفسهم إلى المجتمع الأمريكى أو أى مجتمع آخر بالطريقة التى تبرزها الفتاوى المنتشرة فى قضايا الزواج أو الطلاق بالطرق المعروفة فى بوايدى المسلمين أو المعاملات الأخرى التى لا تستصحب مفهوم أمة الدعوة وإنما تؤكد على وجود تاريخى للمسلمين امتزجت فيه الأعراف والتقاليد بالتدين مما لم يعد له أثر فى الواقع. فى هذا الإطار بنينا هذا الذى أسميناه فقه الأقليات وبدأنا نستعرض كثيراً من مشكلاتنا فى ضوء أصوله وقواعده. وقد رأيت وسمعت فتاوى فى كثير من القضايا لكبار مشايخنا المعاصرين جزاهم الله خيراً جلّها إن لم تكن كلها لم تراعى الأبعاد التى تختص بها بيئات المسلمين فى الغرب، ولذلك كان متطوّل حل من تصدوا للفتوى فى قضايانا أن المسلمين هنا فى دار حرب ولهم ضرورات كذا والضرورات تسمح بكذا وكذا. نحن رفضنا هذا النوع من الفتاوى لأسباب كثيرة نفسية واجتماعية وتربوية وثقافية، بل إن بعضها قد يهدد الوجود الإسلامى كله فى هذه البلاد ولو بعد حين، أما النفسية فعندما نجعل أبنائنا يشعرون باستمرار أنهم أقلية سيشتعرون بالدونية وحين يشعرون بالدونية لن ينشأوا نشأة طبيعية، سيكونون أقل استقراراً من الأمريكى، أقل من جيرانهم، سيشتعرون أنه ابن أقلية يعيش على هامش المجتمع، وستضطرب عندهم فكرة المسؤولية، وستضطرب عندهم فكرة الهوية. كل هذه الأمور سيشتعرون بها وهى خطر نفسى كبير لا تقلل من خطورته عملية تخريج المسألة الفقهية على قواعد الأقدمين والإفتاء بناءً على أدلة الضرورة وسد الذرائع واختلاف الدار ونحوها، وقد يكون هذا الاستخدام صحيحاً من الناحية الفنية، ولكننا لا نحتاج إلى فتوى تأتينا بشرور وأضرار نفسية واجتماعية أكبر من الفوائد التى نحصل عليها منها. إننا إذا استرسلنا مع فقهاء الموروث نحاول حملة قسراً على الانطباق على نظام حياتنا فى أمريكا فستكون فتاوانا كلها قائمة على قواعد التخفيف، والضرورات، وفى دار الحرب يسمح بما لا يسمح به فى دار الإسلام، والربا بين المسلم وغير المسلم جائز إذا كانت

الفائدة تعود إلى المسلم، وبذلك يصبح المسلم نموذجاً لإنسان انتهازى نفعى طفيلى فى المجتمع يعيش على هامش مشاكل الناس، وأبناؤنا سينشأون على تلك التوجهات ولا يمتلكون رسالة ولا يحسون بمسؤولية عن دعوة أو أمة.

و على سبيل المثال: من المشكلات المطروحة، المشاركة السياسية للمسلمين فى المجتمع الأمريكى، هل يجوز الانتساب للحزب الجمهورى أو الديموقراطى، هل يجوز لك أن ترشح فى الانتخابات؟ هل يجوز لك أن تنتخب؟ وهذا يتبعها سؤال: هل يجوز المشاركة فى حملة انتخابية أو مساندة السناتور المرشح أو التبرع بفلوس؟ ... كل هذه أسئلة فرعية وجانبية. نحن نقول: يجب أن نجيب على هذه الأسئلة والإشكالات وفقاً لما ذكرنا من منطلقات بعض المتصدين للفتاوى الجزئية، بل نعتد على فقهاء الأكبر وعلى أصولنا الغنية كتاب الله مصدراً منشأ وستة نبه مصدراً مبيناً على سبيل الإلزام، والمشاركة السياسية فى هذا المجتمع إذا كان هدف المسلم أن يكون Senator أو نائباً فى البرلمان الأمريكى ليصبح شخصية مهمة ولتحقيق طموح شخصى فقط فأننا أقول قولاً واحداً - لا يجوز له - بل يجب أن يتعد عن العمل للعلو فى الأرض، وإذا كان عنده انتماء للأمة المسلمة ويحمل هويتها ويريد خدمتها ولديه برنامجاً فيه خير وفيه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ومطالبة بحقوق الأمة - باعتبارها فى نظر الحكم القائم أقلية - ليأخذ المسلمون مواقعهم وحقوقهم فى هذه المجتمعات، فإنه أمر من أهم القربات إلى الله - تعالى -، ولا بد أن ينضبط بضوابطه الشرعية المراعية لمصلحة الأمة، فما هى ضوابطه؟ لهذا حديث آخر.

عندنا قضية أخرى إذ لا تزال الفتوى متداولة وشائعة وكثيرون يتحدثون عنها أنه لا يجوز حمل الجنسية الأمريكية ولا الأوروبية وأنه حرام.. ما الذى استند إليه هؤلاء المانعون من التجنس؟ استندوا إلى فتاوى إخواننا علماء المغرب والجزائر وتونس فى فترة الاحتلال الفرنسى وكذلك علماء سورية فى فترة احتلال فرنسا وعلماء العراق فى فترة احتلال بريطانيا للعراق؛ لأن فرنسا بالذات اعتبرت بلدان المغرب العربى جزء من فرنسا وضمتهما إليها بقرار وقالت هذا جنوب فرنسا. علماء تلك البلاد أرادوا أن يقاوموا

هذا قالوا: لا.. هذه ليست جزءاً من فرنسا، والذي يحمل الجنسية الفرنسية في ذلك الوقت كافر من أجل أن يبقوا على الهوية الإسلامية في تلك البلدان وبقوا عليها باعتبارها جزءاً من دار الإسلام والمسلمين. وحينما لا يلاحظ المفتي الذي يفنينا الآن تغير الأحوال والظروف والأعراف ولا يتناول القضايا المختلفة التي تحيط بمسألته ليدرس المشكلة من جذورها وأطرافها المتعددة، يصل إلى مثل هذه الفتاوى.

فنحن في إطار هذا المقرر - فقه الأقليات - نحاول أن نضع الأصول التي لا بد للفقيه الذي يتعامل مع المجتمعات الإسلامية في الغرب أن يتقنها ويفهمها لكي يكون قادراً على التفريع والتخريج على الأصول. ونحاول أن نقدم القضايا المطروحة من خلال دراسات تستند إلى هذه الأصول. تقدم رؤية منطلقة من أننا نحن المسلمين موجودون هنا لنبقى ولينتشر الإسلام ويستوطن البلاد، وتعلو كلمته فيها، فلسنا أقلية بالمفهوم السياسي الغربي أو مفهوم الدولة القومية ولكن نحن نموذج لأمة ذات رسالة خالدة ولهوية تميزنا بما نمثله من قيم. نقدم من خلال وجودنا وأنفسنا تلك الرسالة وتلك الدعوة رحمة للعالمين ونقدم أنفسنا نموذجاً ومثالاً لخير أمة أخرجت للناس.



الجدور الفكرية للعمليات الإرهابية

د/ صلاح الصاوي(*)

فليس من شأن هذه الورقة أن تتعرض لحقيقة أن الإرهاب ظاهرة عالمية لم تخل منها أمة من الأمم، ولم تنفك عنها حضارة من الحضارات، ولا الإشارة إلى التناول الظالم لهذه الظاهرة في آلة الإعلام الغربية في سياق مبادراتها إلى توظيف المصطلحات في النيل من الإسلام والمسلمين، عن طريق الهيمنة على اللغة الإعلامية، حيث تنفرد بصياغة المفاهيم وتسويقها إعلامياً، وتبادر إلى نعت المسلمين بالإرهاب والوحشية... إلخ.

وليس من شأن هذه الورقة التأكيد على ضرورة التفريق بين الردع المشروع، الذي أشار إليه جل وعلا في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أى: تعدون من القوة ما يجعله يخاف من الحرب فيرتدع عن مبادرتكم بها، فتُصان الدماء من الجانبين، والإرهاب المنكر الذي يتضمن ترويع الآمنين واستباحة الأنفس التي حرم الله إلا بالحق.

كما أنه ليس من شأنها الإشارة إلى الغموض الذي يكتنف مصالح الإرهاب على المستوى الدولي، والحاجة الماسة إلى الاتفاق على تعريف محدد له، يفرق بينه وبين الحق المشروع في دفع الصائل ومقاومة العدوان، فإن دفع الصائل حق تقره الأرض والسماء، وتتفق عليه الشرائع السماوية والدساتير الوضعية، فمن اعتدى عليه في نفسه أو ماله أو عرضه فإن له الحق كل الحق في دفع الصائل بما يندفع به من الكلمة إلى السيف، على أن يكون ذلك منضبطاً بما جاءت به الشريعة المطهرة من قواعد وآداب.

وإنما المقصود في هذه الورقة التعرف على جذور وبواغث هذا الإرهاب في إطار

(*) الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

منظومة المراجعات التي بدأت تظهر على استحياء فى عدد من المواقع تجهر حيناً وتخافت أحياناً أخرى كثيرة؛ مخافة التبديع أو الاتهام بالتراجع الفكرى والخلل المنهجى... إلخ.

الإرهاب تحت مظلة الغلو فى التفكير

وإليه يعزى ما يقع من كثير من أعمال العنف فى بلاد المسلمين التى ترزخ تحت نير القوانين الوضعية.

وسوف تظل قضية علمانية التشريع هى القضية المحورية، التى تثير كل دعوات الغلو فى واقعنا المعاصر، وسوف يتفاقم خطر هذه الدعوات ويعظم خطبها ما بقيت هذه الخصومة مع الشريعة، وما استمر هذا الجحود لمرجعيتها فى علاقة الدين بالدولة وفى علاقة الدين بالحياة.

لقد تفاوتت دعوات الغلو فى حكمها على واقع الأمة بناء على هذا الخلل، فمنها من كفر الأمة حكماً ومحكومين بناء على ذلك، أما الحكام فلحكمهم بغير ما أنزل الله، وأما المحكومين فلرضاهم بذلك وإقرارهم له وسكوتهم عليه.

ومنهم من قضى بكفر الحكام وحدهم، واعتبر ما تتعرض له الأمة تحت وطأة النظم العلمانية من ضراوة البطش وشراسة القمع مانعاً من موانع التكفير، ولكن رقعة تكفيره للحكام قد اتسعت لتتال الملوك والرؤساء والوزراء والجيش والشرطة وكبار رجالات الدولة من صنّاع القرار وراسمى السياسات، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى الغلو فى استباحة الدماء والأموال والأعراض، واستباحة بعضهم كل ما تناله أيديهم من المنشآت والمرافق العامة، وقد ينطلقون من بعض عمومات النصوص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

والحق الذى لا معدل عنه أن الغلو فى التكفير على هذا النحو ملك بدعى خاطئ يجدد فى الأمة مقولات الخوارج، ويحى فيها سيرتهم النكدة التى جرت على الأمة ما جرت من الويلات والفجائع، فللتكفير شروط لا بد من تحققها، وموانع لا بد من

انتفاؤها، ولم يقل أحد ممن ينقل عنه العلم أنه إذا ارتد الإمام ارتدت الأمة بالتبعية، اللهم إلا ما نقل عن بعض شذاذ هذه الفرقة الغالية.

وقد بدأت هذه النقطة فى التراجع، وشهدت مزيداً من الضبط فى الآونة الأخيرة، بعد سلسلة طويلة من الفواجع والأرزاء، وبعد استفاضة البلاغ بأصول أهل السنة فى كثير من المواقع، وإن كانت لا تزال فى مسيس الحاجة إلى تفصيل دقيق تتولاه مرجعيات فقهية موثوقة تبين الحق فى هذه القضية الشائكة، وإن العيون لتنتطلع إلى الجامع الفقهية لتعالج هذه القضية معالجة موضوعية مفصلة بعيداً عن الجفاء وعن الغلو، وأن ندرك أن حسن تفهمنا لموقف هؤلاء الغلاة وصبر الأنفس على ما يكون من بعضهم من حدة أو جفاء، واعتبار ما قام لديهم من شبهات وتأولات فاسدة هو جزء لا بد منه للتعامل مع هذه الظاهرة واستعادة أصحابها إلى الجادة، فتكون بهذا قد قضينا على سبب من أكد أسباب الغلو والشطط فى مسيرة العمل الإسلامى المعاصر.

الإرهاب تحت دعاوى الجهاد:

مشروعية الجهاد من حيث المبدأ موضع إجماع أهل القبلية قاطبة، لم ينزع فى ذلك إلا طوائف من غلاة أهل البدع خرجت بمنازعتها هذه عن فسطاط الإسلام، وانحازت إلى فسطاط خصومه، ولكن المنازعة تقع دائماً فى مناطات التطبيق، وتدور فى الجملة حول استيفاء الشرعية وسلامة الراية وظهور المصلحة حول العدة وكفايتها، والحسابات ودقتها، والتوقيت ومناسبته، إلى غير ذلك مما تختلف فيه المناطات فتختلف باختلافها الأحكام، وفيما يلي جملة الأصول التى تمثل معالم الرشد فى هذه القضية الشائكة:

الكفر وحده ليس موجباً للقتل بل الحراية والعدوان:

هل يعتبر الكفر وحده موجباً للقتل أو القتال فى جميع الأحوال أم أن الموجب للقتال هو الحراية والعدوان؟

لقد تمهد لدى أهل العلم بالشرعية أن الكفر وحده ليس موجباً للقتل فى جميع الأحوال؛ لأدلة كثيرة منها:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿وما شرع من تخيير الكفار بين الإسلام وبذل الجزية والقتال.

﴿وما تقرر من النهى عن قتل من لا شأن له بالقتال، كالنساء والصبيان، وكبار السن، والمنقطعين للعبادة الذين لا يشاركون المقاتلين بالفعل أو الرأى، والأدلة على هذا كثيرة ومستفيضة. ومن الأدلة على هذا الأخير:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. قال القرطبي (٣٢ / ٤٨): قال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد هي محكمة، أى: قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا فى قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم.

٢- عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: "إن امرأة وجدت فى بعض مغازى رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان" أخرجه البخارى (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٤)، قال النووي فى شرح مسلم (٧٣ / ١٢): "أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والأطفال إذا لم يقاتلوا".

٣- عن سلمان بن برة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه ثم قال: «اغزوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تثلوا، ولا تقتلوا وليداً...» رواه مسلم (١٧٣١).

٤- عن رباح بن ربيع قال: كنا مع النبى ﷺ فى غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شىء، فبعث رجلاً فقال: انظر إلى ما اجتمع هؤلاء؟ فجاء فقال: على امرأة قتيل، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل»، وعلى المقدمة خالد بن الوليد، قال: فبعث رجلاً فقال: «قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيقاً» (أخرجه أبو داود ٢٣٢٤ وصححه الألبانى).

فاستنكر النبى ﷺ قتل المرأة وبين سبب استنكاره وهو كونها ليست من أهل القتال، فقرن النبى ﷺ كونها لا تقاتل بمنع قتلها، فدل على أن علة القتل هى القتال.

وكذا ذكره عليه السلام العسيف، وهو الأجير لحفظ المتاع والدواب فلا يقتل إلا أن يقاتل، وبناء عليه فكل مستأجر لأعمال غير قتالية لا يجوز قتله ولو حضر لأرض المعركة.

٥- عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه خرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان وكان أميراً على جيش له: «إنيك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما حبسوا أنفسهم له». أخرجه مالك (٩٧٣).

٦- عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: «اتقوا الله في الفلاحين». أخرجه البيهقي (١٩/٩).
وإن هذه النصوص مجتمعة تدل على أن القتال إنما هو لأهل المقاتلة والممانعة، أما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة فلا يقتل.

وفي تقرير هذا الأصل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قُوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن -الضعيف- ونحوهم، فلا يُقتل عند جمهور العلماء إلا أن يُقاتل بقوله أو فعله. انتهى مختصراً من مجموع الفتاوى (٣٥٤/٢٨).

مشروعية الأعمال الجهادية مشروطة بظهور المصلحة وتوقيع النكاي في العدو:

هل تعتبر مواجهة جيوش جرارة من أفراد عزل أو شبه عزل عن جهاد مشروع أم أنه من جنس الإلقاء بالنفس إلى التهلكة؟

لا يخفى أن مشروعية القتال منوطة بإعزاز الدين وظهور الغلبة للمسلمين، وليس مجرد التغرير بنفوس المقاتلين، وإن ترتب على ذلك إبادة خضرائهم، وشفاء صدور خصومهم! فإذا ظهر لدى أهل الاجتهاد أن القتال في بعض المواقف تربو مفسدته على مصلحته، لم يجز القتال حينئذ، خاصة إذا كانت تبعاته وآثاره لا تقف عند حدود المقاتلين، بل تتجاوزهم إلى بقية جماعة المسلمين؛ لأنه يكون من جنس الإلقاء باليد إلى التهلكة، ولأهل العلم في ذلك مقالات كثيرة في تقرير هذا الأصل والتأكيد عليه بما لا يدع مجالاً للبس من ذلك:

✽ ما ذكره العز بن عبد السلام فى قواعد الأحكام (٩٥): "أن أى قتال للكفار لا يتحقق به نكاية بالعدو فإنه يجب تركه؛ لأن المخاطرة بالنفوس إنما جازت لما فيها من مصلحة إعزاز الدين، والنكاية بالمشركون، فإذا لم يحصل ذلك وجب ترك القتال لما فيه من فوات النفوس وشفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام. وبذا صار مفسدة محضة ليس فيه طيها مصلحة". انتهى مختصراً.

✽ وما جاء فى معنى المحتاج (٢٦/٤): "إذا زادت الكفار على الضعف ورجى الظفر بأن ظنناه إن ثبنا استحباب لنا الثبات، وإن غلب على ظننا الهلاك بلا نكاية وجب علينا الفرار لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أو بنكاية فيهم استحباب الفرار".

وما قاله الشوكانى فى السيل الجرار (٢٩٥ / ٤): "إذا علموا - أى المسلمون - بالقرائن القوية أن الكفار لهم مستظهرون عليهم فعليهم أن يتكبروا عن قتالهم ويستكثروا من المجاهدين ويستصرخوا أهل الإسلام، وقد استدل على ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهى تقتضى ذلك بعموم لفظها.. ومعلوم أن من أقدم وهو يرى أنه مقتول أو مأسور أو مغلوب فقد ألقى يده إلى التهلكة".

ثبوت العصمة يكون بالإيمان أو بالأمان؛

فكما تُعصم دماء أهل الإيمان تعصم دماء أهل الأمان، سواء أكان أماناً بالذمة أم كان أماناً مؤقتاً بالعهد، كما هو الحال مع الذميين والمعاهدين والمستأمنين، سواء أكان هؤلاء داخل بلاد الإسلام أم كانوا خارجها، وكل استطالة على أحد من هؤلاء فهو من الغدر المشنوم والنكث المحرم الذى يسخطه الله ورسوله.

إن المستأمن هو الحربى الذى يدخل دار الإسلام بأمان مؤقت لأمر يقتضيه. (الدر النقى لابن عبد الهادى ١/ ٢٩٠، المباح ٣/ ٣١٣، ٣٩٨، كشف القناع ٣/ ١٠٠).

والمعاهد هو الذى يتنمى إلى دولة تعاقدت مع أهل الإسلام على ترك القتال مدة معلومة أو مدة مطلقة، وهذا هو الأصل فى العلاقات الدولية فى واقعنا المعاصر.

وقد تقرر عند أهل العلم قاطبة أن المعاهدين والمستأمنين جميعهم معصوموا

الدم، لا يجوز الاعتداء عليهم ولا التعرض لهم. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا إِلَهُمَ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤].

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- مرفوعاً: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً» أخرجه البخاري (٣١٦٦).

وقد عاهد النبي ﷺ أصنافاً كثيرة من المشركين كبنى قريظة وبنى النضير، وهادن قريشاً في الحديبية على ترك القتال عشر سنين، وأن من جاء من قريش مسلماً رده النبي إليهم، ومثل هذا معلوم ومستفيض من كتب السنة والسيرة.

وعلى هذا فإن شن الغارة على مستأمنين داخل بلاد الإسلام -وإن كانوا ينتمون إلى أشد الدول مقبلاً للإسلام وأكثرها حرباً لأبنائه- لا يعد بحال من جنس الجهاد في سبيل الله، بل من جنس نقض العهود وخفر الذمم والغدر المشتم الذي يستخطه الله ورسوله، مهما حسنت نيات المباشرين لهذه الأعمال، وانتقدت نفوسهم غيرة على الإسلام وحمية صادقة لأبنائه.

شبهة الأمان كحقيقته في حقن الدم؛

أما القول بأن هذه النظم العلمانية المتنفذة في بلاد المسلمين لا تمثل جماعة المسلمين ولا ولاية لها على نفس ولا مال، ولا اعتداد بما يصدر عنها من عقود الذمة أو عهود الأمان لخصومتها مع الشريعة وخروجاً على ثوابت الأمة، فإن الجواب عن ذلك -على فرض صحته- أن كفر الحاكم ليس موجباً بالضرورة لبطلان عقد الأمان، ولا مبرراً لإهدار هؤلاء المؤمنين من قبله؛ لأن الكافر دخل بلاد الإسلام من خلال مدخلها الطبيعي، وسعى للحصول على تأشيرة دخول إليها من خلال سفارتها المعلنة، ولا يعرف طريقاً لدخول هذا البلد إلا هذا الطريق، فهو يعتقد أن هذا الحاكم نافذ الكلمة وله على شعبه الولاية والسلطة.

ومن المعلوم عند أهل العلم أن شبهة الأمان ملحقمة بالأمان، وأن مبنى الأمان على التوسعة وليس على التضييق، فنكفى أدنى الشبهة لإثباته، والقول بغير ذلك مفض إلى سلسلة من المفاسد لا يعلم مداها إلا الله.

ومثل ذلك لو فرض أن الأمان المعطى لطائفة من الكفار قد تضمن شروطاً فاسد، فإن هذا لا يلزم منه فساد عقد الأمان وإمدار دم الكافر؛ لأن فساد الوصف لا يلزم منه فساد الأصل.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "إذا أشير إليه - أى: الكافر - بشيء غير الأمان فظنه أماناً فهو أمان، وكل شيء يرى العليج أنه أمان فهو أمان". انظر: "الإنصاف" (٣٥٠ / ١٠) والفروع (٣٠٥ / ١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - معلقاً على قول الإمام أحمد السابق: "فهذا يقتضى انعقاده بما يعتقده العليج وإن لم يقصده المسلم ولا صدر منه ما يدل عليه". الإنصاف (٣٥١ / ١٠).

وقال - رحمه الله - فى موضع آخر: "جاءت السنة بأن كل ما فهم الكافر أنه أمان كان أماناً؛ لثلا يكون مخدوعاً وإن لم يقصد خدعة..". الفتاوى الكبرى (١٩ / ٦).

وأكد - رحمه الله - على ذلك فى كتابه "الصارم المسلول" فقال: "ومعلوم أن شبهة الأمان كحقيقته فى حقن الدم" الصارم المسلول (٥٢٢ / ٢).

وقال الموفق ابن قدامة - رحمه الله - "إن أشار المسلم إليهم بما يرونه أماناً وقال: أردت به الأمان فهو أمان، وإن قال: لم أرد به الأمان، فالقول قوله؛ لأنه أعلم بنيته، فإن خرج الكفار من حصنهم بناء على هذه الإشارة، لم يجز قتلهم، ولكن يردون إلى مأمئهم. قال عمر: والله لو أن أحدكم أشار بإصبعه إلى السماء إلى مشرك، فنزل بأمانه، فقتله، لقتلته به. رواه سعيد، وإن مات المسلم أو غاب، فإنهم يردون إلى مأمئهم، وبهذا قال مالك والشافعى وابن المنذر..". المغنى (٢٥٨ / ٩).

والأصل فى الأمان أن مبناه على التوسعة وليس على التضيق كما يقول بعض أهل العلم.

قال السرخسى - رحمه الله -: "الأمان مبنى على التوسع وأدنى الشبه يكفى لإثباته" المبسوط (٢٩١ / ٣٠).

ولا يصلح في هذا المقام أن يقال: لقد أُنذرتنا هؤلاء العلوج وأعطيناهم مهلة للخروج من بلاد الإسلام لأن من المعلوم عالمياً بل وإسلامياً دون إنذار العدو بنقض العهد، أو إعلان الحرب، ليس موكولاً لأحد من الناس، بل هو موكول إلى أولى الأمر من العلماء والسلطان الأعظم للدولة.

لقد فات هؤلاء أن للأمة عشرات الملايين خارج بلادها تعيش بين أظهر هؤلاء، وأن ما يقدم عليه هؤلاء المتازعون من نقض للعهود ومباغثة لهؤلاء المستأمنين داخل ديار الإسلام أو مباغتتهم داخل بلادهم وفي عقر دارهم سوف تدفع ثمنه باهظاً بل ومضاعفاً هذه الملايين التي تعيش بين أظهرهم خارج ديار الإسلام!

وإن في التاريخ عبرة ومنهاجاً، لقد اجتاحت التتار بلاد الإسلام؛ بسبب حماقة ارتكبها بعض حكام المسلمين عندما قتل بعض تجار التتار ثم قتل رسول ملك التتار، الذي جاء يستنبي حقيقة الخبر، فاجتاحت جيوش التتار بعدها بلاد الإسلام، وأحدثوا فيها من المجازر والمذابح ما تقشعر لهوله الأبدان!!

ولقد بين الله تعالى أن من مصالح الصلح في الحديبية دفع مثل هذا المحذور، وأنه لو سلط المؤمنين على الكافرين في ذلك الحين لأدى إلى قتل أقوام من المؤمنين والمؤمنات ممن يكتن إيمانهم، فلولاً ذلك لسلطتهم عليهم ولعذب بهم الكافرين عذاباً أليماً، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَّوُّرُهُمْ فَتُضَيِّكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّدْخُلِ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥].

قال القرطبي - رحمه الله - (الجامع لأحكام القرآن: ١٦ / ٢٨٥): "لم تلموهم أي لم تعرفوا أنهم مؤمنون أن تطأوهم بالقتل والإيقاع بهم.. والتقدير: ولولا أن تطأوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم لأذن الله لكم في دخول مكة، ولسلطكم عليهم، ولكننا صُنَّا من كان فيها يكتن إيمانهم. وقوله ﴿فَتُضَيِّكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةً﴾ المعرة العيب.. أي: يقول المشركون: قد قتلوا أهل دينهم.

لو تزيَّلوا أي تميزوا، ولو زال المؤمنون عن الكفار لعذب الكفار بالسيف.. وهذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن "أه بتصرف.

جواز التبييت والترخص في قتل الترس مرهون بحالة المصافة وظهور مسيس الحاجة إليه:

الأصل هو تحريم قصد ذراري المشركين بالقتال، وأولى من ذلك بالعصمة أهل الإيمان، فإن مست الحاجة إلى تبييت العدو للظفر به، أو ترس العدو ببعض المسلمين وكان لا يمكن الظفر به وإلا بالتعرض لهؤلاء، فإنه يترخص فيما يصيبهم في هذه الحالة تبعاً لا قصداً، لما رواه الصعب بن جثامة -رضى الله عنه- عن النبي ﷺ أنه سُئل عن أهل الديار من المشركين يبيّتون فيصاب من نسائهم وذرياتهم؟ قال: «هم منهم»^(١). متفق عليه البخارى (٢٠٣١) ومسلم (١٧٤٥).

قال القرطبي: "قد يجوز قتل الترس وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية، ولا يتأتى لعاقل أن يقول لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه؛ لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين"^(١).

ولا يخفى أن هذا مرهون بحالة المصافة، حيث يلتقى الصفان ويتواجه الفريقان، ولا يكون إلا في قتال المحاربين على أرضهم وداخل معسكراتهم، أو في حال دفع صيالهم على بلد من بلاد الإسلام، فإن الذين أجاز النبي ﷺ تبييتهم -ولو أصيب نساؤهم وأطفالهم- إنما هم الكفار المحاربون الذين يقيمون في ديار الحرب، وليس بينهم وبين المسلمين ميثاق ولا عهد، فيدخل النساء والذراري تبعاً، فلا يجوز الاحتجاج بالتبييت وقتل الترس لتسويق هذه العمليات التي يباشرها أصحابها على أرض الإسلام وفي مواجهة مستأمنين لا يحل قصدهم ابتداء بالقتال، ثم تفضى إلى إراقة دماء معصومة من المسلمين، فإن ذلك يتضمن خطيئتين: أولاهما قصد المستأمنين بالقتال، والثانية الترخص في قتل من لا يحل قتله من المسلمين أو ذراري المستأمنين، وكلاهما محرم بالإجماع.

الإرهاب تحت دعاوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات الشرعية، فهو القطب الأعظم في الدين والمهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، بإقامته على وجهه كما

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٨٧)

أمر الله استحققت هذه الأمة أن تكون خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبإضاعته استحق بنو إسرائيل للعنة على لسان الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧٨-٧٩].

ولعظم شأن هذه الفريضة، وعموم أثرها في صلاح الأمة كان لابد لمن يباشرها من العلم والرفق والصبر: العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرفق معه والصبر بعده حتى لا يترتب على قيامه من المفاسد أضعاف المصالح التي ترجى من إقامته، ولهذا جاء في الأثر عن بعض السلف قوله: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه".

وكم من المظالم والشناعات قد ارتكبت عبر التاريخ تحت دعاوى الاحتساب، وجرت على الأمة ما جرت من الفساد والتهاجر وإراقة الدماء.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعث الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد.. ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به..".

وعلى هذا فلا يعتبر الخروج على القيادات العلمانية مباشرة مشروعة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أياً كانت التوقعات والمآلات، ولو تمثلت في إبادة خضراء هؤلاء الخارجين وانكسار الدعوة وشن الغارة على الدين والمتدينين وشفاء صدور خصوم الشريعة من العلمانيين واللا دينيين؟! بل يكون في هذه الحالة نوعاً من الإلقاء باليد إلى التهلكة الذي نهى عنه الله عز وجل، والدفع بشباب العمل الإسلامي

إلى المحرقة وإن حسن مقاصد أصحابه وكان مبعثه الحمية الصادقة للدين والغيرة المحموده على محارم الله عز وجل؟

ولا يعتبر شن الغارة على بعض مواقع الفساد داخل بلاد الإسلام كالخمارات وبيوت الخنا ونحوه مباشرة مشروعة لهذه الفريضة كذلك، لما ثبت بيقين من أن مفساد هذه الأعمال تربوا على مصالحها، وقد تمهد أن الاحتساب على المنكرات إذا ريت مفساده على مصالحه نهى عنه وإن كان الله يبغض هذه المنكرات ويسخط أصحابها.

ولا يعتبر قصد شيء من المرافق العامة بتخريب أو إتلاف مباشرة مشروعة لهذه الفريضة؛ لأن المرافق العامة لم تزل معصومة باعتبارها ملكاً لجماعة المسلمين، ولا يتسنى القول بإهدارها باعتبارها أيلولة الولاية عليها مؤقتاً إلى العلمانيين واللا دينيين؟! ولأنه مشاركة ظالمة في جريمة إقفار الأمة وإتلاف أموالها وإهدار مقدراتها ومظاهر لخصومها عليها وإن لم يقصد إلى ذلك هؤلاء الغلاة والمعتدون.

والخلاصة أن أعمال العنف التي تقع من قبل بعض حركات الغلو أفراداً كانوا أو جماعات داخل بلاد الإسلام أو خارجها، -فيما عدا مواضع الحرب الفعلية- لا نصيب لها من الشرعية بالكلية، وذلك لما يلي:

أولاً: أعمال العنف داخل ديار الإسلام

إن توجّهت إلى مواطنين من غير المسلمين فهو نقض للأمان الذي يتمتعون به باعتبار المواطنة، والذي يعد أثراً من آثار عقد الذمة القديم، الذي عقد لهم إبان الدولة الإسلامية الغابرة، وما يقع من بعضهم من استطالة أو خروج على مقتضيات الذمة يتحمل وحده عبئه، ويسأل وحده عنه، ويتولى محاسبته على ذلك الولاة، ولا يوكل شيء من ذلك إلى الآحاد لما يفضي إليه من الفتن والتقابل وإراقة الدماء، وهو الأمر الذي لا تأتى بمثله شريعة سماوية.

وإن توجّهت إلى بعض الأجانب من غير المسلمين فهو عدوان على مستأمنين وتحريم ذلك ظاهر، وإن كانت دولهم من أشد الدول حرباً للإسلام وعداوة لأهله، وكل الشبهات التي يندرع بها لتسويق هذا الأمر داحضة ومردودة.

وإن امتدت لتطال بعض المسلمين تبعاً لهو عدوان على الأنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، والاستدلال بالترس والتبیت ونحوه لا يصلح في مثل هذا المقام؛ لاختلاف المناط أو لتخلف الشروط والقيود.

وإن توجهت إلى بعض مواقع الفساد داخل بلاد الإسلام كالخمارات وبيوت الخنا ونحوه، فهو مما نهى عنه كذلك؛ لما ثبت بيقين من أن مفاسد هذه الأعمال تربوا على مصالحها، وقد تمهد أن الاحتساب على المنكرات إذا ربت مفاسده على مصالحه نهى عنه، وإن كان الله يبغض هذه المنكرات ويسخط أصحابها.

وإن توجهت إلى إتلاف بعض المرافق العامة، فهي عدوان على مال عام لم يزل مملوكاً لجماعة المسلمين ومشاركة ظالمة في جريمة إقفار الأمة ومظاهرة لخصومها عليها وإن لم يقصد إلى ذلك هؤلاء الغلاة والمعتدون.

ثانياً: أعمال العنف خارج ديار الإسلام؛

إن قام بها مستأمنون من أهل الإسلام داخل هذه الدول فهو نقض لعقد الأمان وخفر للذمة وغدر يسخطه الله ورسوله؛ لأن التأشيرة التي دخلوا بمقتضاها إلى هذه الدول عقد أمان ينشئ حقوقاً وواجبات متبادلة أدناها الأمان المتبادل من كلا الفريقين على الأنفس والأموال والأعراض، هذا فضلاً عن كونه استعداداً على الإسلام ودوله ومجتمعاته، وتعبئة للمشاعر السلبية ضده في المشرق والمغرب، وتلك قضية لا يُستهان بها ومن أجلها امتنع النبي ﷺ عن قتل بعض من استوجب القتل من المنافقين؛ حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

وإن قام بها مواطنون أصليون من أبناء هذه المجتمعات من المسلمين، فإنها مما ينهى عنه كذلك لما تتضمنه من المفاسد الراجحة الظاهرة؛ لأنها ستحسب على أهل الإسلام في الحملة وستحمل الجاليات المسلمة المقيمة على أرض هذه الدول تبعاتها وتصطلي بويلاتها، وتقدم بذلك للمتربصين بهذه الأمة غنيمة باردة عندما يتخذون من

هذه المواقف ذريعة للطعن في الإسلام وتشويه دعوته والإرجاف حول أبنائه في المشرق والمغرب.

الحصاد النكد لهذه الأعمال العدوانية:

وقد رأينا من شؤم هذه العمليات في واقعنا المعاصر ما تقشعر لهوله الأبدان، ومن ذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر:

✽ قتل الأنفس المعصومة سواء أكانت أنفس المستأمنين أم أنفس من يكونون في مواقع هذه الأحداث من المسلمين.

✽ زعزعة الأمن وانتشار الفوضى وتخريب المنشآت الحكومية وغير الحكومية ظلمًا وغدرًا وعدوانًا، فهذه المرافق العامة ليست ملكًا لأحد دون أحد، بل ملك لجماعة المسلمين، وتدميرها إقفار للأمة، وإهدار لمقدراتها، وعدوان على حاضرها ومستقبلها على حد سواء.

✽ الإساءة لأهل الصلاح والتقوى، ورميهم بالإرهاب، وهم منه براء. وهذا واقع مشاهد، فبعض الجهلة تساورهم الريبة في كل من يتمسكون بشعائر دينهم وهدى نبيهم الطاهر، حتى ظنوا أن كل من فعل ذلك فهو من القتلة والإرهابيين.

✽ تهيئة الأجواء للدعوة إلى تغيير المناهج الدينية بما يوافق الأهواء، كحذف باب الولاء والبراء مثلاً، أو حذف كل ما يتحدث عن عقائد اليهود والنصارى وما شابه ذلك.

✽ إضعاف الدعم الذي كان يبذل للعمل الإسلامي في المشرق والمغرب من قبل ذوى اليسار في الأمة، فقد بات المحسنون يتوجسون أن ترتد هذه الأعمال سهاماً في صدورهم عندما يتهم بعض من يتلقونها بالإرهاب، وتتسع رقعة الاتهام لتنال كل من آزرهم أو قدم لهم عوناً في لحظة من اللحظات، لاسيما في ظل ما تبشره الدول الكبرى هذه الأيام من مراقبة صارمة ودقيقة لحركة تدفق الأموال في الشرق

والغرب، وكم تضررت من ذلك مراكز ومساجد ومؤسسات إسلامية وجمعيات خيرية كانت في أوج ازدهارها قبل شيوع هذه الأعمال وتطايير شررها.

✽ إغلاق باب الجهاد ونصرة قضايا المسلمين العادلة في كل مكان، فبعد أن كان كثير من دول الإسلام تسمح لشعوبها بالتجاوب مع قضايا الأمة، وقد تشارك بنفسها في ذلك حسبما يتسنى لها أغلقت هذه الدول أبواب الجهاد، وضيقت مسالكه عندما وقعت هذه الوقائع وتطايير شررها، واستغل المرجفون والذين في قلوبهم مرض هذه الأجواء لكي يهيجوا مؤسسات الدولة على كل مظاهر التدين في مجتمعاتهم، فحرم المسلمون من الجهاد في سبيل الله، ومنعت دول مظلومة من مؤازرة المجاهدين لها فكان الإثم والوزر على كل من كان سبباً في ذلك.

✽ الصد عن سبيل الله تعالى وإغلاق باب الدعوة إليه عز وجل، فقد توقفت الدعوة التي كانت تنطلق من كثير من الدول الإسلامية، وحجبت عنها ميزانياتها وجمدت برامجها، نظراً لعدم قبول الدول المستقبلية لهم خوفاً من أن يكونوا إرهابيين، وتخوف الدول المرسلات من أن تنسب إلى دعم الإرهاب، وتوضع في قائمة الدول الراحية له على الصعيد الدولي.

✽ إساءة الظن بالإسلام والمسلمين في المشارق والمغارب، وهو أمر لا يمكن تجاهله، كيف وقد اعتبره النبي ﷺ عندما امتنع عن قتل بعض المنافقين الذين أظهروا ما يستوجبون به القتل مخافة أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟!

هذا غيض من فيض من الحصاد النكد لهذه الأعمال العدوانية الخارجة على الشريعة، والتي اجتمعت المجمع الفقهي في مثل هذا الملتقى الجامع لتحرير القول فيها وإعلان حكم الله فيها على الأمة بل على العالم أجمع؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

عود على بدء:

ولا يفوتنا في نهاية هذه الورقة أن نؤكد على ما بدأنا به من ضرورة التفريق القاطع والجلي بين ما ننكره وندينه من هذه العمليات الإرهابية، التي تنال الأبرياء من المستأمنين ومن يخالطهم من المسلمين، سواء أكانت داخل ديار الإسلام أم كانت خارجها، وما نقرره ونؤكد عليه من الحق المشروع في دفع الصيال ومقاومة العدوان، ومن ثم فلا شأن لما جاء في هذه الورقة بما يجري اليوم من جهاد مشروع لمقاومة الغزاة ودفع عدوانهم عن البلاد وعن العباد في ساحات القتال الفعلية التي تدور رحاها اليوم في بعض مواقع الأمة التي اجتاحتها جيوش غازية، وأشاعت فيها الحرب والدمار، ولم ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة، على أن تتجه هذه الأعمال إلى جيوش المحتل، وأن لا تقصد بالمقاتلة أحداً ممن نهت الشريعة عن مقاتلتهم من المستأمنين أو أحد من المسلمين، وأن تتجنب الغدر والمثلة وسائر ما نهت عنه الشريعة في باب القتال، وأن تحسن معاملة الأسرى إن أمكنهم الله تعالى من أحد منهم، حتى تقدم بذلك إلى العالم أئموذجاً راقياً لهدى الإسلام في باب القتال، ولا تجل من تجاوزاتها باباً من أبواب الصد عن سبيل الله، ولم نشأ تفصيل القول في ذلك لخروجه عن موضوع هذه الورقة.





obeikandi.com

تمهيد

فى إطار الدورة الثامنة عشرة لمجمع الفقه الإسلامى الدولى بماليزيا، فى الفترة من ٩ - ١٤ يوليو ٢٠٠٧م، تم بحث ظاهرة كراهية الإسلام، حيث قدمت فى هذا الموضوع خمس دراسات لكل من الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام، والأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو، والأستاذ الدكتور محمد البشارى، والأستاذين: محمد كاظم الخوانسارى و معتز الخطيب ويهمنى أن اسجل فى هذا التقرير ملحوظة أولية حول أهميته وشكر المسؤولين بمجمع الفقه الإسلامى على اختيار هذا الموضوع المهم لكى يتم بحثه ومناقشته فى هذه الدورة، ولكى نصل إلى النتائج التى تعالج القضايا التى يثيرها على الساحة الدولية ونضعها تحت أعين المسؤولين والعلماء فى الأمة الإسلامية، ولكى يستفيد بها الرأى العام فى مختلف أنحاء العالم، خاصة العالم الغربى الذى سمع الكثير من الأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين فى هذا العصر على الخصوص، والذى وصف بأنه "عصر الأكاذيب" وعلى أساس أن العالم لم يسمع من قبل مثل الأكاذيب التى سمعها فى هذا العصر، حيث سهلت المواصلات والاتصالات الحديثة نشر الأكاذيب وذبوها فى كل مكان.

وسأسير فى دراستى على الخطة الحسنة التى يتبعها المجمع فأقدم أولاً ما اتفقت عليه الدراسات المقدمة من حقائق، ثم أقدم بعد ذلك ما تميزت به كل دراسة، وما أضافت إلى مجمل الموضوع بعد ذلك.

أولاً: الحقائق التى اتفقت عليها الدراسات

أهمية دراسة الموضوع :

١ - اتفقت كافة الدراسات على الأهمية الفائقة لدراسة هذا الموضوع لأسباب عديدة منها :

أ-ازدياد موجة الكراهية للإسلام فى السنوات الأخيرة بسبب هذه الظاهرة - كراهية الإسلام - ... وتصويره باعتباره العدو الجديد للحضارة الغربية المتفوقة على غيرها من الحضارات "نظرية فوكوياما فى نهاية التاريخ".

ب- الآثار السيئة على العلاقات الدولية بسبب هذه الموجة، فهي تؤدي إلى تحجيم قيام علاقات قوية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، وتؤثر على مواقف مختلف القوى الدولية من القضايا الإسلامية، حيث تراجع التأييد النسبي الذي كانت تحظى به القضية الفلسطينية عند التصويت على قرارات تؤيدها في الأمم المتحدة، ورفض الاتحاد الأوروبي القرار الذي تبناه المسلمون ومنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن تجريم الإساءة إلى الأديان، في الوقت الذي صدرت فيه قوانين تجرم أي تعارض للصهيونية والحقائق المؤسسة لها، بالنقد على سبيل المثال في كثير من الدول الأوروبية وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

ج- كذلك فإن الأستاذ سيد كاظم خوانساري يشير إلى استبدال التمييز الديني بالتمييز العنصري وإصدار الأحكام المسبقة وتسهيل ارتكاب المظالم ضد المسلمين لإعاقة انتشار الإسلام بين الأوروبيين، هو من آثار هذه الموجة الجديدة من الكراهية .

ثانياً، تعريف الظاهرة وأبعادها

اتفقت الأدلة على تعريف الظاهرة وقدمت لها مدلولات متشابهة لعل أشملها هو تعريف الأستاذ خوانساري حيث يقرر أنها جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال المتعمدة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين على مستوى الحكومات و الشعوب، عبر تقديم صورة متصلة وغير إنسانية يملؤها العنف والمعاداة لكل أنواع التقدم، أي بهدف نشر الخوف والرعب عن الإسلام والمسلمين.

أما أبعاد هذه الظاهرة فقد اتفقت معظم الأوراق إلى إجمالها في المسائل الآتية:

١- التمييز الطائفي ضد المسلمين في مجال التعليم والإسكان والوظائف ويشير الدكتور محمد البشاري إلى ظاهرة التهميش الذي يشعر به المسلمون من الشباب الذين يعيشون في أوروبا نقلاً عن تقريرين مهمين الأول صدر عن مؤسسة "رنهير ترست" والآخر عن المركز الأوروبي لمراقبة التمييز ومعاداة الأجانب حتى

يورد على لسان أحد الهولنديين أن "السؤال الذي روجه إليها دائماً هو متى ستعودين، وكانت إجابتها أنها ولدت وعاشت في روتردام فإلى أين تذهب ؟ إنه سؤال مؤلم ويجعلك تشعر بأنك أجنبي".

٢- تصوير الإسلام على أنه هرطقة وأساطير، وهى تهمة وجهت إلى الرسول (منذ بداية الدعوة كما صورتها سورة الفرقان حيث يقول تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً وَقَالُوا أَطَٰغِيُّ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الفرقان: ٤-٥].

٣- تصوير المسلمين بأنهم يكرهون الآخر ويرفضون الحوار، ولا يعترفون بالأديان الأخرى.

٤- الترويج لارتباط الإسلام بالعنف والإرهاب

٥- اتهام المسلمين بالأصولية وتعنى عند الإعلام وفى الكتابات الغربية الجمود الفكرى ورفض التعلم ، ومعادة الحضارة الغربية الحديثة .

٦ - انتشار معدلات الفاشية الإسلامية والتي وردت على لسان الرئيس بوش نفسه حديثاً ، واتهام الإسلام والمسلمين بمعادة حقوق الإنسان وأن الغرب سيتغلب على المسلمين ... على ما أورده السفير خوانسارى .

ثالثاً: أسباب الظاهرة

تنبه كافة الأوراق إلى ضرورة التنبيه إلى أن الغرب ليس فكراً واحداً ولا كتلة واحدة فى معالجة المشكلة والتعبير عنها، فمن المفكرين الغربيين ما لا يقبلون أى اتهامات توجه إلى الإسلام والمسلمين بل منهم من أسلم وحسن إسلامه بل وكتب كتابات رائعة عن الإسلام والمسلمين هى مراجع لنا الآن تصور الاستشراق الحديث وصورة الإسلام لديه. أذكر منهم جارودى ومراد هوفمان ، ومحمد أسد، والكاتب الأيرلندى مونجومرى واط وتلميذته الرائعة كارين أرمسترنج، هذا فضلاً عن شعراء وأدباء ومفكرين كبار أمثال جوستاف لويون، برنارد شو، كذلك يجب التمييز بين الإسلام نفسه كدين وبين المسلمين، فكثير من النقد يوجه إلى سلوك المسلمين ، أما

الإسلام نفسه كدين فيلقى الاحترام والتقدير، مع ملاحظة أن البعض يربطون بين الإسلام وتخلف المسلمين ويعتبرونه سبباً لهذا التخلف بينما يعززون أسباب التقدم الغربي إلى المسيحية كدين يؤمن به، بينما نجد جهات حديثة - ينوه إليها على وجه الخصوص الأستاذ الخطيب - تباعد بين الدين والعلاقة بين المسلمين والغرب وتركز على الجوانب الأخرى الثقافية والعلمية حيث كان علماء المسلمين نوابغ ولكن أيضاً في تكوين نظريات وآراء وأفكار علمية في العلوم الطبيعية والفيزياء ، وفي مختلف الفنون والعمارة .

• أما الأسباب الأساس للكراهية فتكمن في الآتي:

أولاً: التعليم، خاصة تعليم أطفال أوروبا دروس التاريخ، وما يتلقونه من معلومات مشوهة عن الإسلام تجعلهم يتشأون على كراهيته .

ثانياً: الإعلام، وللأسف يتبوأ الدور الكبير في إشاعة الكراهية للإسلام ومن حملات غير عادلة ضده .

ثالثاً: الاستشراق، فمع ما قدمه من خدمات للتراث الإسلامي في مجال فهرسته وتفسيره وإظهار الكثير من أحكامه ، إلا أنه غلب على الدراسات الاستشراقية الطعن في حقائق الإسلام ودس السم في العسل ... كما كانوا للأسف طلائع الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية.

لقد يسروا بشكل كبير لكل من يريد الطعن في الإسلام وعقيدته، السبيل لنيل ما يريد .

رابعاً: سلوك المسلمين في الداخل والخارج: ولا أقول هنا كل المسلمين بل الكثير منهم . وفي الغرب بالذات، فضلاً عن قيامهم بالأعمال الحقةرة، وإهمال الكثير منهم والعمل بقيمته، بل قيامهم بارتكاب العديد من الجرائم، جعل ثقة الغرب في المسلمين تضعف، وساد الربط بين الإسلام كدين وهذا التخلف . كذلك فإن أقسام من المسلمين تفهم الغرب فهماً خاطئاً على أساس أنه منحط ومنحل، ومن ثم يحل عمل أي أفعال ضارة فيه .

خامساً: تراث الغرب الثقافي عن الإسلام: وهو تراث فيه الكثير من ما يسيء إلى الدين الإسلامي، ويرميه بأحط الصفات. ولعل من النماذج التي لها تأثير كبير على الغرب كتاب بوش الجد عن محمد مؤسس الدين الإسلامي. كذلك هناك الكثير من القصص والروايات التي تسيء إلى الإسلام مثل الكوميديا الإلهية لدانتى.

سادساً: الخطأ فى الترجمات الغربية: وهى كثيرة، وأحياناً متعمدة، ولعل اختلاف الترجمات الخاطئة للقرآن الكريم والتفسيرات التي أعطاهها البعض للكثير من أحكامه وأذكر هنا فقط ترجمة القرآن الكريم لجاك بيرك كترجمة حديثة لتفسير القرآن الكريم امتلأت بكثير من الأخطاء، وإن كان جاك بيرك نفسه ليس سيئاً بالنسبة إلى فهمه للإسلام والمسلمين بشكل عام.

سابعاً: أفكار دار الإسلام ودار الحرب: ومهما قلنا فى استناد هذا التقسيم إلى مرجعية فقهية، إلا أننا نقرأ ما كان فى القرون الأولى للإسلام حتى وقت صياغة الفقه للمذاهب الأربعة السنية، كان المشاركون وكان أعداء الإسلام يشنون عليه حرباً لا هوادة فيها، ويتعير حديث أعلنوا الحرب على الإسلام وعلى رسوله وشرعوا فى اغتياله والقضاء على دعوته. ومن ثم ابتكر الفقهاء هذا التقسيم الذى لم يقل به كتاب ولا سنة، أنه استند إلى الواقع الذى تغير الآن، ولم يعد له وجود خاصة بعد توقيع دول العالم كافة على ميثاق أو عهد واحد جمع الدول والشعوب فى إطار تنظيم دولى يجعل السلام هو أساس العلاقات الدولية، بما فيها الدول الإسلامية.

ثامناً: رغبة الغرب فى الاستعلاء والسيطرة على العالم: والغرب هنا الآن هو الولايات المتحدة الأمريكية الذى أعلن أكثر من رئيس لها أنه "لا تراجع عن حكم العالم"، وراء هذه التصريحات ممارسة قوية وواضحة، ورغبة جامحة فى السيطرة على العالم وموارده. إن البترول العربى اكتسب أهمية خاصة بعد تعبير الرئيس الفرنسى "كلمينصوا" إننا كسبنا الحرب عبر بحيرة من البترول، والبترول دعامة ضخمة من قوة ونار تعين القوى وتمده بأسباب النصر؛ لذا كانت السيطرة عليه وعلى البلاد التى يوجد فيها منابع مهمة، ولو أدى ذلك إلى مهاجمة دول عربية واقتلاع نظم الحكم فيها وقتل مئات الألوف منها، كما حدث فى العراق، وإذا كانت أفغانستان من

المعابر الأساسية للاتصال بالشرق ومحاصرة الصين، ذلك العملاق الضخم فلا بد من الاستيلاء عليها وإزالة الأنظمة التي تعارض الغرب فيها، إن الحكومات في جميع الدول الحساسة بالنسبة للغرب، يجب أن تكون موالية لأمريكا وإلا تم تغييرها بكافة الوسائل.

إن الإسلام السياسي لا يمكن قبوله لأنه يقوم على أفكار تتبنى مشروعا حضاريا يهيمن على السياسة والاقتصاد والتشريع والتعليم والإعلام والتربية، ومن هنا فهي تتعارض مع المشروع الغربي للهيمنة والسيطرة. إن أى فكر يؤثر على مصالح الغرب فى السيطرة الاقتصادية والهيمنة السياسية لابد أن يضرب .

ونستطيع أن نفسر على هذا العامل العديد من المواقف الغربية تجاه مشروعات إسلامية أذكر منها الآن :

- أ- برنامج إيران لتخصيب اليورانيوم ولو كان لأهداف مدنية وسلمية.
- ب- محاربة البنوك الإسلامية والشركات الإسلامية .
- ج- الوقوف ضد أن يكون للمسلمين مقعد دائم فى مجلس الأمن .
- د- زرع إسرائيل فى قلب الوطن العربى والإسلامى للمحيلة دون تكامله ووحدته.
- هـ- سن قوانين تحد من هجرة المسلمين إلى الدول الأخرى وإجازة القبض والتنشيط طبقا لقوانين أمريكية وأوروبية حديثة، لأوهى الأسباب أو بعبارة أخرى مجرد الاشتباه.
- و- محاولة الغرب الدائبة لضرب البورصات فى الدول الإسلامية والعمل على الحد من تطور القدرات الاقتصادية العربية والإسلامية .
- ز- اعتماد مشروعات لإعادة تأسيس نظام التعليم فى الدول الإسلامية بجعله يسير على أسس غربية، كذلك تغيير وضع المرأة ودورها فى هذه الدول تحت دعاوى غربية مثل 'تمكين المرأة' وضرورة نيلها لحقوقها السياسية فى دولنا بما فى ذلك الولاية العامة ورئاسة الدولة وتولى القضاء إلى غير دعاوى إشاعة الديمقراطية وحقوق الإنسان وفقا للمنظومة الغربية فى بلادنا".

التصدي للظاهرة:

تعرضت كافة الأوراق لسبل التصدي للظاهرة . وتتفق جميعها على ضرورة عمل استراتيجية واضحة تشارك فيها الحكومات والمنظمات ومراكز الدراسات ومنظمات المجتمع المدني واتخاذ كافة الوسائل للتصدي لهذه الظاهرة من ذلك:

١- شرح الإسلام، قيمه وأحكامه والمبادئ التي يقوم عليها باللغات الحية من خلال المؤتمرات والندوات التي تعقد في الغرب وفي الدول الإسلامية .

٢- رصد الأفكار والأخبار والتعليقات التي تكتب عن الإسلام في كافة وسائل الإعلام وإخضاعها للتحليل العلمي والرد عليها بشكل موضوعي ونشر الردود على مختلف وسائل الإعلام وعلى الشبكة الدولية للمعلومات

٣- إيجاد وسائل للتنسيق والتشاور بين الدول الإسلامية وعبر وسائل التعبير المختلفة لتنفيذ الاستراتيجية الموحدة للرد على الهجوم.

٤- تأسيس شركات قوية بين الدول الإسلامية تخصص في الإعلام وتمتلك وسائل إعلامية حديثة تتعاون على إقامتها مختلف الدول الإسلامية، وتضع على عاتقها نشر الرسالة الإعلامية الموحدة للإسلام.

أما بالنسبة للبحوث التي قدمت لهذا الموضوع فكلها من البحوث المتميزة والتي يجب الاهتمام بكل ما ورد فيها لكنني في حدود الوقت المتاح أذكر ما تتميز به كل دراسة منها:

لقد اهتمت دراسة الأستاذ معتز الخطيب بمجموعة من المسائل أهمها تقديم تاريخ الصورة الأوروبية عن الإسلام عبر مختلف فترات التاريخ وتحديد مختلف مسارات هذه الصورة في كل مرحلة من المراحل .

واهتم كذلك بإبراز القضايا الخاصة بالعلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب ويعتبرها الضوء الجديد في النفق المظلم كما يقول لاتجاهات تجعل العلاقات الثقافية هي الأهم وتستبعد العامل الديني الذي أدى إلى تضخم المشكلات وإن كان في

اعتتادى أن تطور العامل الدينى فى حوار الجامعات الإسلامية والجماعات الكاثوليكية قد أخذت تطورا مهما فى صالح تنمية العلاقات .

ويهمنا التركيز على اقتراحه بإقامة مركز دراسات تابع لمجمع الفقه الإسلامى يختص بدراسة الإسلام والغرب وأنا شخصيا أؤيد هذا الاقتراح .

أما السيد خوانسارى فقد ركز على الجذور التاريخية والفكرية لظاهرة كراهية الإسلام فى الوقت الحاضر، واستخدم مصطلح "الحروب الثقافية الصليبية" والتي تم استخدامها من قبل روجر بيكون فى رسالة أرسلها إلى أحد أبناء الكنيسة مشيرا إلى انتهاء الحروب الصليبية وضرورة استمرار الحروب الثقافية الفكرية ويفسر ما يجرى الآن بين المسلمين والغرب على ضوء هذه الفكرة .

وكذلك يشير إلى النظريات الحديثة للعداء بين الإسلام والغرب مثل نظرية هتنتجتون، ويوضح نظريته فى صدام الحضارات والتي أطلقها الرئيس الإيرانى السابق خاتمي لإحلال الإسلام محل الحرب والصراع فى العالم، كذلك بين الآثار الضارة لهذه الحملة على مصالح المسلمين فى العالم ولعل أهم ما تناوله فى بحثه شرح أبعاد استراتيجية واضحة لمواجهة هذه الحملة .

أما الدكتور محمد البشارى فقد تميزت دراسته باعتباره مسلما يعيش فى الغرب يتناول الظاهرة من خلال وثائق غربية من أخطرها بيان بعنوان "لواجه مع الشمولية الجديدة" حيث ذكر الموقعون على البيان وما يجمع بينهم من كراهية الإسلام وما ورد فى البيان من هجوم على الإسلام واتهامه بالشمولية والإرهاب وتمع الحريات مع أن، كثير من المسلمين وقعوا عليه .

كذلك تقرير المركز الأوروبى لمراقبة التمييز ومعادة الأجانب "وكذلك تلك الدراسة المؤسسة رنهيد تريست " وهى دراسات بعضها منصف وبعضها مغرض . ونشير هنا كذلك إلى الكتاب القيم الذى أصدره عن صورة الإسلام فى الإعلام الغربى : كذلك فهو يشارك الباحثين فى توضيح معالم استراتيجية التصدى لمواجهة الكراهية .

أما دراسة الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو فقد تميزت بتحليل الظاهرة تحليلًا علميًا دقيقًا وقد رد سببها الرئيسى إلى جهل كل من المعسكرين الغربى والإسلامى بالآخر، مما أوجد مجالاً واسعاً لنشر وتنظيم نظرية صراع الحضارات، وقدم حلولاً آتية للظاهرة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . أما المعالجة الدائمة فرآها تقوم على العلم ودعى إلى تأسيس علم جديد هو "علم الغرب أو ما أطلق عليه - غربولوجيا"، ورأى أن يؤسس قسم خاص فى الجامعات والمعاهد والكليات يعنى بدراسة الغرب دراسة موضوعية منهجية متكاملة أو على أساس أن الغرب غدا اليوم موضوعاً واسعاً لا يمكن الإحاطة بجوانبه المتشعبة إلا من خلال دراسة موضوعية منهجية متسلسلة مترابطة.

ولا يفوتنى فى النهاية أن أذكر أن بحثى المتواضع قد اهتم بدراسة الهجوم الذى شته "البابا بنديكيت السادس عشر" على الإسلام من خلال إلصاقه تهمتين به الأولى أنه قام على السيف ويدعوا إلى الحرب والكراهية والثانية أنه يعتمد على النقل ويغيب العقل، وهى تهم قديمة قمنا بالرد عليها وإظهار ما تميز به الإسلام من احتفاء بالعقل والاهتمام به فى سائر أحكامه، كما قمنا بالرد المنهجى على تهمة اعتماده على السيف والعنف سبيلاً إلى التعامل مع الأعداء .

ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى إبراز أهم ما أورده البحوث المعروضة والله يهدى إلى الحق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أ.د / جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

obeikandi.com

ظاهرة كراهية الإسلام

(تحديات ومواجهات)

أ.د / جعفر عبد السلام (*)

مقدمة:

من المؤسف أن نجد ظاهرة كراهية الإسلام تتجدد بعنف ربما منذ منتصف القرن الماضي وحتى الآن ، هذه الكراهية أدت إلى ظاهرة الإسلام فويبا كما تسمى في الغرب الآن وفي الولايات المتحدة على الخصوص^(١).

وتعني ظاهرة كراهية الإسلام تلك الحركة التي تسود في كثير من أقطار العالم والتي تكيل التهم للإسلام والمسلمين، وتصورهم بشكل غير حقيقي .

وقد وصلت هذه الظاهرة إلى قماتها في السنوات الأخيرة- بعد أحداث ١١ سبتمبر على وجه الخصوص- فوجدنا مؤلفات ورسومات وصور وأفلام سينمائية تصور وتحتوي على معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين .

وقد عبرت هذه الظاهرة عن نفسها في العديد من الكتابات الصحفية والنشرات والتعليقات الإخبارية ، كما تجلت في إصدار مؤلفات أو إعادة نشر مؤلفات أخرى هاجمت الإسلام وعبرت عن كراهيتها له .

كما أثار ما نشر في الصحيفة الدانماركية (يولاندز بوسطن) من رسوم مسيئة للإسلام ورسوله ﷺ، وتصويره بأنه إرهابي ، ردود أفعال واسعة ومظاهرات غاضبة بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم ، بل وصل الأمر بهذه الصحيفة إلى أنها أجرت

(*) أستاذ القانون الدولي، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

(١) من الملفت للنظر أن نجد هذه الظاهرة في داخل العديد من الدول الإسلامية نفسها، ونذكر مثالا على ذلك "مصر" ففي التعديلات الدستورية التي جرت في بلادنا أخيراً عندما تقدم الرئيس حسنى مبارك إلى الحياة السياسية بمقترحات لتعديل بعض مواد الدستور وتم الاستفتاء عليها في أواخر شهر مارس ٢٠٠٧ جرت مناقشات واسعة حول ضرورة تعديل المادة الثانية من الدستور والتي تقر بأن دين الدولة هو الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، فالبعض يرى ضرورة إلغاء هذه المادة ؛ لأنها تعبر عن إقصاء =

مسابقة بين قرائها لاختيار أكثر الرسوم تعبيراً عن إرهاب الرسول (وانتفضت العديد من الصحف التي تصدر في أوروبا تساند الصحيفة الدانماركية وتعتبر ردود فعل المسلمين ضدها بمثابة إرهاب فكري تمارسه مجتمعات لم تعرف أى نوع من الحرية ولم تألف حرية التعبير وهي أعز ما تتمسك به أوروبا في حياتها .

ولعل من أشد الظواهر التي تعبر عن هذه الكراهية تلك المحاضرة التي ألقاها البابا بندكت السادس عشر في جامعة ريجنزبورج اللاهوتية بألمانيا مسقط رأسه، وكانت يوم السادس عشر من سبتمبر عام ٢٠٠٦ م، في ذكرى ضرب برجى التجارة العالميين في نيويورك، من قبل من يزعمون أنهم جماعات إسلامية، بل في نفس اليوم الذي كان يعقد فيه مؤتمر دولي في كازخستان لزعماء الأديان العالمية من أجل تعميق الحوار والتفاهم بين كافة الأديان . أقول : إن هذه الحملة ضد الإسلام والتي تتهمه بالإرهاب وتتهم أهله بالتحجر والجمود وكراهية الآخر، بدأت تتزايد بشكل كبير حتى أنه لا يمر يوم دون إضافة تهم وأوصاف جديدة تنال من الإسلام وأهله.

والواقع أن مثل هذه الادعاءات تسيء إلى الإسلام والمسلمين وتؤدي إلى تأجيج الكراهية لهم، مما يندرج بعواقب سيئة على العلاقات الدولية، والعلاقات مع الغرب على وجه الخصوص، وإلى فتح ملفات مغرضة تسيء إلى الدول الإسلامية، وعلاقتها بالمجتمع الدولي كذلك .

= غير المسلمين من التسيج الديني والاجتماعي للمجتمع، وكثيراً من المسلمين من اتجاهات عديدة أبدوا حتى الانجاء الذي دعمه الكثير من الأقباط في مصر والذين وجدوا في الحماية الأمريكية الموجودة بشكل أو بآخر لهم في مصر منفذاً لكي يعبروا فيه عن فكرهم بشجاعة وجراءة ما كانت لهم من قبل وسمعنا لأول مرة تفسيرات عن فكرة المواطنة التي أرسنها المادة الأولى من التعديلات تجعلها تعنى بالمساواة بين كل المصريين في الحقوق والواجبات وهو ما كان معتقداً في رأيهم . والواقع أن المناقشات دلت على وجود كراهية للإسلام بين طوائف عديدة ممن يدعون أنهم مثقفون، وهم في الواقع لا يتمتعون إلى الثقافة بأي قدر ؛ لأن الإسلام هو دين الغالبية العظمى في مصر (٩٠٪ تقريباً) والدول الأقل في نسبة سكانها من ذلك تعتبر دولاً إسلامية، وتدخل منظمة المؤتمر الإسلامي، كما أن الشريعة الإسلامية هي نظام قانوني من الأنظمة السائدة في العالم وهي النظام اللاتيني والأنجوسكسوني والجرماني؛ وبالتالي فهي لا تتضمن أى إقصاء لغير المسلمين من المجتمع، وقد دللنا على ذلك مراراً واستشهدنا بالصحيفة التي وضعت في السنة الأولى من الهجرة وألحقت غير المسلمين بالمسلمين وأعطتهم حرية العقيدة صراحة . راجع دراستنا عن "نظام الدولة في الإسلام" ص ٣٠ وما بعدها.

إن تأييد العالم للموقف الغربى من ملف إيران النووى مسألة تدعو إلى السخرية، فإيران لا تريد أكثر من امتلاك سلمى للطاقة النووية لاستخدامها فى تطويرها وغدها ومع ذلك وقف العالم موقفا رافضا لامتلاكها لهذه القدرات، مع أن إسرائيل القريبة منها تمتلك القنبلة النووية، ومع ذلك تعامل معاملة مختلفة من قبل الغرب ومن قبل الأمم المتحدة والوكالات الدولية المعنية بالطاقة النووية .

وهكذا نجد أن ظاهرة كراهية الإسلام ، ظاهرة قديمة ولكنها تتجدد خاصة فى هذه الآونة ، لقد تطورت وسائل الاتصالات وكثرت فى هذه الآونة ، وأصبح ما يحدث فى مكان نجده يرى ويسمع فى كل مكان فى العالم بفعل ثورة الاتصالات وثورة المعلومات التى اجتاحت عالمنا وأثرت فيه تأثيرا بالغا ، ويقدر ما كانت ثورة الاتصالات والمعلومات بردا وسلاما على البشرية ، بقدر ما أدت إلى نتائج بالغة السوء على أجزاء كبيرة من العالم ، وبالنسبة لعالمنا الإسلامى فإنه قد أصبح بالإمكان تبليغ دعوة الإسلام بسهولة ويسر إلى كل مكان .

لقد كان المسلمون يرسلون الجيوش فى الماضى بقصد تبليغ الدعوة وحماية حرية العقيدة للناس ، حتى يسمع الناس كلام الدعاة ويقبلون أو يعرضون على العقيدة الجديدة، أما اليوم فإن هذه المهمة يمكن أن تؤدىها كمسلمين من خلال وسائل الاتصالات الحديثة ، ومن خلال الشبكة الدولية للمعلومات ومن خلال المحطات الفضائية التى يملك العرب والمسلمون الكثير منها، ومن خلال الكتب والمجلات التى أصبح بالإمكان طباعتها بشكل جيد وبسرعة فائقة .

لكن من ناحية أخرى ، أصبح من السهل نشر بذاءات وأكاذيب وإساءات إلى الإسلام ورسوله ورموزه ، وللأسف فإن العصر الذى نعيش فيه يسمى عصر الأكاذيب ؛ فلم يسبق أن سمع الناس وشاهدوا مثل هذه الأكاذيب من قبل .

وعموما فإن السيطرة هنا للأقوى، وأقصد الأقوى فى مجال إعداد رسالة إعلامية جيدة تشرح أفكاره ودعوته وتبثها بوسائل مستطورة وفى أسلوب علمى يتناسب مع هذه الوسائل الجديدة .

من هنا كان تفوقهم علينا فى نشر الأكاذيب عنا، وفى تشويه الإسلام والمسلمين بدعاوى وأراجيف كثيرة على هذه الوسائل، ومن هنا انتشرت أكثر ظاهرة كراهية الإسلام - الإسلام فويا - أكثر من أى وقت آخر .

وحسن فعل مجمع الفقه الإسلامى بأن جعل أحد موضوعات الدراسة فى هذه الدورة هو موضوع ظاهرة كراهية الإسلام، وذلك حتى يتسع المجال لعرض الظاهرة وتحليلها وبيان أسبابها ، وكذلك دراسة وسائل مواجهتها .

لذا سنقسم دراستنا إلى ثلاثة أقسام، نتناول فى القسم الأول أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام، ونتناول فى القسم الثانى، أسباب الظاهرة. أما القسم الثالث فسوف نخصصه لتحليل خطاب البابا بندكت السادس عشر والذى ألقاه بجامعة ريجنزبورج فى العام الماضى .

المبحث الأول

أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام في الوقت الحاضر

إن ظاهرة كراهية الإسلام ليست ظاهرة جديدة وإنما هي ظاهرة وجدت منذ أن بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ووقف له عمه أبو لهب عندما دعى أهله وعشيرته لينبئهم أنه بعث لهم رسول بين يديه عذاب شديد، كان ذلك على جبل الصفا وإذا به يوجه إليه سؤالاً استنكارياً : ألهذا دعوتنا تبا لك سائر اليوم ؟ ثم تتوالى ردود الفعل من زعماء مكة، وردود الفعل هذه تمثلت في تكذيب وتعذيب ومتابعة الرسول ﷺ أينما حل، ومتابعة كل من أسلم معه وهذه أمور شُرحت وبيّنت بشكل مفصل في كتب السيرة، وألمح القرآن الكريم والسنة النبوية إلى وقائعها في كثير من الآيات وفي كثير من الأحاديث .

ونحن نريد في هذه الورقة أن نناقش مجموعة من المسائل هي :- ما هي أبعاد الظاهرة في الوقت الحاضر ونعني بذلك أين توجد الظاهرة وكيف تؤثر على المسلمين في دولهم وفي المناطق التي يعيشون فيها كأقليات ؟ - ثم ما هي أسباب الظاهرة وهل تختلف هذه الأسباب من وقت إلى آخر ؟ - ثم ما هي الأساليب المثلى للتعامل مع الظاهرة، وهل ماتلجأ إليه أغلب دول العالم الإسلامي والشعوب الإسلامية في الوقت الحاضر هو الأسلوب الأمثل ؟ أم أنه توجد أساليب أخرى أجدى منها في مواجهة الظاهرة ؟

للرد على هذه الانتقادات وما هي الأسباب التي جعلت قوم النبي ﷺ وهم يعرفون صدقه وأمانته يكذبونه ثم يعذبونه هو ومن آمن معه ؟

إن ورقة بن نوفل وضح له أنه سيعذب ويخرجه قومه وكان السبب عنده أن من يأتي بمثل ما أتى به محمد لا بد أن ينال العذاب والأذى، إذاً فهي ظاهرة طبيعية ترجع إلى ما جبل الله عليه البشر من كراهية الحق، وكراهية من يدعو الناس إليه .

هذا السبب القديم نجده يتجدد .. ألا ترى نفور الناس الطبيعي حتى اليوم من

التمسك بأحاديث الأخلاق ومن أداء فرائض الله، وذلك الميل الطبيعي للانفلات من الفضائل وإيثار الهوى ؟ ألا ترى أنه في بلد إسلامية كمصر يوجد آلاف الناس يأتون الملاهي الليلية والحانات ويستلذون بإتيان المحرمات ؟ إنه نزوع فطري إلى الشر، وإلى اتباع الشيطان في نفوس البشر وسنرصده أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام في الوقت الحاضر وفقا للأسباب التي يعلنها الغرب ويمكن أن نلخص أهم التهم التي توجه إلى الإسلام والمسلمين في الآتي :

أولاً: الإسلام هرطقة وأساطير

إن الإسلام ليس ديناً حقيقياً وإنما هو هرطقة وأساطير اختلقها الرسول محمد ﷺ وهي تهمة قديمة كان يرددونها المشركون في مكة، يقول تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ (٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً [الفرقان: ٤-٥].

وهذه التهمة لا أساس لها من الصحة لدى أى باحث منصف، ولا يمكن أن يكون نسيج هذا الدين الحنيف الذي يستند إلى كتاب منزل من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " فلا يوجد كتاب آخر من كتب الأديان تم توثيقه مثل القرآن الكريم ولعل نزوله بلسان عربى مبين كان من أهم أسباب قوته؛ فلم يتفرق بين اللغات كما حدث مع الكتب الأخرى التي حرفت، بل لا يعلم كيف ثبت كل منها. (١)

ثانياً: المسلمون جامدون ويعيشون في غير عصرهم

إن الإسلام اهتم بالرقى والتقدم في كل مظهر من مظاهر الحياة، وقد أنجبت الحضارة الإسلامية كثيراً من النابغين في مجالات مختلفة مثل ابن سينا في مجال الطب والرازي وابن رشد والفارابي والإدريسي وغيرهم من رجال العلم في شتى مناحي الحياة المختلفة ولم يترك علماء الإسلام مجال من المجالات النافعة إلا وكان

(١) راجع كتاب لغات الرسل والرسالات الذي نشره الإيسكو عام ١٩٩٣ م

لهم فيها سبق، في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا عصر الظلام؛ ولذا فإن الإسلام لم يعرف جموداً ولا تخلف يوماً بدليل أن أول آية نزلت على رسول الله ﷺ هي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ [العلق: ١-٤].

والواقع أن المسلمين قد برعوا في كل مجالات العلوم، وأيضا كانت لديهم القدرة دائما على الاتصال بغيرهم، واستوعبوا العلوم والفنون لكل الحضارات التي دخلت الإسلام كحضارة فارس وحضارة الروم الذي قامت عليه الحضارة الغربية الحديثة.

ثالثاً: المسلمون يكرهون الآخر

لقد بدأ الهجوم على الإسلام من هذه الزاوية، التطرف، كراهية الآخر، الانتشار بحد السيف، في وقت مبكر منذ أن خرج الإسلام من شبه الجزيرة ليعرف ربوع العالم ويتشر في كل مكان من العالم القديم، خلال خمسين عاماً فقط وللأسف كانت حملة أوروبا لتطويق الإسلام وإيقاف نموه وزحفه مواكبة لحملة قام بها المستشرقون للتنقيب في الإسلام بقصد الإساءة إليه، فليس في الإسلام ما يدعو لرفض الآخر، بل جاء معترفاً بالديانات والكتب السماوية السابقة عليه لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

رابعاً: الإسلام والعنف

من أشد ما يلصق بالإسلام أنه دين عنف، وجوهر الإسلام أنه ينبذ العنف، ولا يجعله طريقاً في الدعوة إليه، أو في إدخال الناس فيه، وإنما يقوم الإسلام على حرية العقيدة وغيرها من ألوان الحريات التي نص عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة ومارسها الرسول ﷺ والخلفاء على مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة، فقد اعتبر القرآن الكريم جريمة القتل والعدوان اعتداء على المجتمع بكامله ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

فالإسلام يأمرنا بالتعامل برفق ولين وعدالة مع الغير، فهو ليس ديناً عدوانياً يسمح بالقتل والتعدى والتدمير، وهو في نفس الوقت لا يتهاون على الإطلاق مع من يعتدون على الأرواح والممتلكات ويروعون المجتمع. ومن يتأمل الإسلام يوقن بأن هذه التهمة المقترة يناقضها نصوص الإسلام الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم.

ولقد كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر الدامية التى ضربت الولايات المتحدة بمشاة القتيل الذى أشعل أزمة الإرهاب والنار التى أصابت المسلمين قبل غيرهم وراحت أصابع الاتهام الخبيثة تشير فى وقاحة وجرأة إلى هذا الدين على أنه دين عنف وإرهاب، وهو من كل ذلك براء .

إن الحرب على الإسلام بدعوة الإرهاب هى حرب ظالمة لا أساس لها من الصحة، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فما عرف الإسلام حرباً عالمية أولى ولا ثانية وما كانت محاكم التفتيش صناعة إسلامية وإغما صنعت على أعين الغرب وبأيديهم .

ومن هنا فإن وظيفة العقل فى الإسلام هى إدراك وجود الله وعظمته التى تجلت فى خلق السماوات والأرض، وسائر المخلوقات والتى تتجلى من تقدم العلم وازدياد قدرات العقل البشرى على الإدراك، وأيضا العلم والتعلم والابتكار بما ينفع الناس فى الأرض .

خامساً: دار الإسلام ودار الحرب

انتهام الإسلام بأنه دين حرب يسلط السيف على مخالفه فى العقيدة انهام قديم، وجد من تفسيرات مختلفة لعالمية الدعوة، وأيضا لظروف تاريخية ارتبطت بالمقاومة

التي قام بها الرسول ﷺ ضد أعدائه عندما أرادوا أن يقضوا ويجهزوا عليه تماماً ولعل القرآن الكريم يوضح لنا ذلك بجلاء في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

لذا يأتي تصور بأن هناك دار إسلام ودار حرب من هذه الفترة، وهو وصف للواقع الذي بدأته قریش وأعداء الرسول في بداية الدعوة ؛لذا اضطر الرسول ﷺ وهو يقيم دولة المدينة ويصنع مقوماتها فيما عرف باسم الصحيفة أن يميز بين مكة والمدينة، فكل من يعيش في المدينة له الحقوق الواردة في الوثيقة فلا تفرقة بين مسلم وغير مسلم، لكن الذين يعيشون في مكة أعلنوا الحرب على الإسلام؛ لذا فهي يصدق عليها مصطلح أنها دار حرب، أما باقي الديار التي لم تحارب المسلمين أو تعلن العداء عليهم، فهي دار محايدة بتعبير حديث ولا يجوز أن نحاربها و الدار الأخرى التي تتصالح معنا وتسمح لنا بممارسة دعوتنا في ربوعها، فهي دار عهد وأمان؛الآن وفي ظل ميثاق الأمم المتحدة تم توقيع كافة الدول عليه بما فيها الدول الإسلامية الحديثة، فإن فكرة دار الحرب قد انتهت، على الأقل في الوقت الحاضر، وليس بيننا وبين دولة أخرى أى عدا، إلا إذا اعتدت على دولة إسلامية واحتلت أرضها، فإنها تصبح دولة معادية ويجوز أن نقاومها لإخراجها من ديار المسلمين، وهنا نطبق أحكام اتفاقيات جنيف وأحكام القانون الدولي الأخرى التي تجيز المقاومة لتحرير الأراضي المحتلة بكافة السبل، أى بما في ذلك استخدام القوة .^(١)

سادساً: رفض المسلمون للعلوم الحديثة

يتهم أعداء الإسلام وحضارته المسلمين بأنهم متخلفين لا يعرفون الانفتاح على العالم وهم منظويون على أنفسهم لا تسمح لهم عقيدتهم بالخروج عنها إلى مجالات

(١) راجع مؤلف، الصراع العربي الإسرائيلي، نشر رابطة الجامعات الإسلامية، عام ٢٠٠٦م، واحتلال العراق على صدد الشرعية الدولية، نشر الرابطة عام ٢٠٠٥م .

التقدم والازدهار؛ لذا اتهم الغرب المسلمين بأنهم يتبعون ديناً يقوم على الخرافات ويستبعد دور العقل فى تفسير الظواهر وهذا غير صحيح على الإطلاق؛ لأن المسلمين سبقوا الغرب فى اتباع النهج العلمى وابتكار منهجى الاستقراء والاستنباط وهما يقومان على العقل.

إن اتهام المسلمين بالانغلاق والانطواء فرية كبيرة؛ لأن الحضارة الإسلامية انفتحت على العالم أجمع ونقلت فى الماضى من حضارة الفرس والروم ما لا يتعارض مع قيمها ومثلها، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

المبحث الثاني

أسباب ظاهرة كراهية الإسلام

نستطيع أن نعدد العديد من الأسباب التي تجعل الغرب في هذا الموقف المعادى للإسلام ولكن قبل أن نستطرد في ذكر هذه الأسباب، يجب أن نسجل بعض الملحوظات المهمة :

أولاً: أن الغرب ليس موقفاً واحداً فهناك من يفهم الإسلام ويحترمه؛ بل ويجري العديد من الدراسات والأبحاث التي تبين بشكل موضوعي حقائقه.^(١)

ثانياً: أن بعض الغربيين قد دخلوا الإسلام وأبدوه وآزروه وكتبوا كتابات رصينة عنه نتخذها مراجع لكتابنا اليوم، ومن أبرز هؤلاء الكاتب الفرنسي روجيه جارودي والذي ألف مجموعة من الكتب بالفرنسية تم ترجمة أغلبها إلى العربية من أهمها كتاب ترجم بعنوان : أصول الأصوليات المعاصرة، وأمريكا الشيطان الأكبر والأساطير المؤسسة للصهيونية، والدبلوماسي الألماني مراد هوفمان، والكاتب النمساوي محمد أسد، وكذلك الكاتبة الألمانية آن شمل وغيرهم وغيرهم.

ثالثاً: إن الإدارة الأمريكية حديثاً جندت بعض المستشرقين لتنظير العلاقة بين الإسلام والغرب على أساس العداة والكراهية، لا يقفون في دراساتهم عند حد الهجوم على الإسلام وتصويره على أنه يحمل في ذاته خطورة كبيرة على الغرب وعلى الحضارة بشكل عام، وفي مقدمة هؤلاء المستشرق اليهودي برنارد لويس، وهنتجتون، وفوكوياما. الأول لا يكتفى بالهجوم على الإسلام وتصويره بالخطر الشديد على الحضارة بل يقرن ذلك بضرورة ضرب الإسلام وتجفيف منابع العنف والإرهاب التي يقيم عليها وهو ما فعلته الإدارة الأمريكية -إدارة المحافظين- وجعل العالم كله يشتعل في شبه حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر .

(١) من هذه الدراسات دراسة جون اسبيزنو عن الخطر الإسلامي وهم أم حقيقة، وقد ترجم إلى العربية ونشرته دار الشروق عام ٢٠٠٣، كما تذكر السيدة كارين أرمسترنج التي كتبت كتابات موضوعية ومنصفة عن الإسلام من أهمها كتاب بعنوان "محمد" ترجم ونشر بالقاهرة عام ١٩٩٩ م .

ومع ذلك فالمقاومة الإسلامية الباسلة في العراق وفي فلسطين تلقن الجميع درسا في الشرعية وضرورة احترام الشعوب . وسنعرض فيما يلي أهم الأسباب التي أوجبت ظاهرة كراهية الإسلام في العصر الحديث :

أولاً: التعليم

وأقصد بالتعليم هنا هو تعليم أطفال أوروبا كراهية الإسلام منذ نعومة أظفارهم عن طريق كتب التاريخ المدرسية فلازالت هذه الكتب حتى الآن تمتلئ بالخرافات عن الإسلام وتصوره على أنه دين شعوذة، وأنه فضلا عن ذلك دين يدعو إلى العنف ويكره الآخر^(١)، ولا يدرس الدين عادة في المناهج الدراسية، وإنما يأتي في كتب التاريخ، ومن الملاحظ أن هذه الكتب تخصص للإسلام حيزا محدودا لا يقارن بما يخص لدراسة الأديان الأخرى، كما أن كافة المزاعم الباطلة عن الإسلام نجدها في هذه الكتب مثل أن محمداً ليس نبيا مرسلًا إليه وإنما هي دعوة كاذبة، ومثل أنه كتب القرآن بيده وربما بالاستعانة بآخرين، والغريب أن هؤلاء الذين استعان بهم لقيهم مرة أو مرتين أثناء سفره للتجارة مع أعمامه إلى الشام، وأقصد به الراهب "بحيرا" فهل تكفى مقابلة أو مقابلتين عارضتين لتأليف القرآن الكريم من شخص أمي لا يعرف القراءة والكتابة؟! وهل بحيرا وهو أعجمي، يعلم الرسول قرآنا عربيا غير ذي عوج كما يقول القرآن الكريم؟!، وإذا ما كان المقصود بالذي يعلم الرسول ﷺ صهيبي الرومي، فإن نفس الرد يساق هنا ونجده مفصلا في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وهكذا يتربى الأوروبي منذ نعومة أظافره على كراهية الإسلام وعدم اعتباره ديننا صحيحا، وهذا بلا شك من أكبر أسباب كراهية الإسلام في الغرب .

(١) حضرنا ندوة عن المدرسة الإسلامية بمدينة "مدونة" الابطالية وذكر فيها أحد الحاضرين، أنه شارك في تأليف الكتب المدرسية في التاريخ وأنه وقع في العديد من الأخطاء منها : أن محمداً هو الذي ألف القرآن، وأنه وضع رسوما لا علاقة لها بالإسلام وأبدى استعداده لتصحيحها.

ثانياً: تراث الغرب الثقافي عن الإسلام

هذه الكتب متشرة بكثرة في مختلف المكتبات الأوروبية والأمريكية وهي تتحدث عن الإسلام بطريقة مسيئة تشوه صورة الإسلام والمسلمين ومنها كتاب (محمد مؤسس الدين الإسلامى) وهو كتاب لجورج بوش الجدد وتكشف قراءة هذا الكتاب عن مصادر المعلومات المغلوطة، التي يعلمها الأمريكى العادى عن العرب والمسلمين، وعن الرسول ﷺ والقرآن الكريم ويستند إليه أغلب من يريد مهاجمة العرب والمسلمين، وقد خصصت رابطة الجامعات الإسلامية حلقة نقاشية لمناقشة هذا الكتاب وبيان مساوئه وأفكاره المغلوطة .

ثالثاً: النظرة الاستعمارية للغرب تجاه المسلمين

الغرب يتعامل مع المسلمين بنوع من العنصرية وهو يعتقد أنه لا بد من الكراهية للأجناس الأدنى، وتكوين فلسفة استعمارية تبرر سيطرة الإنسان الأبيض على بقية الشعوب واعتباره سيداً للعالم وحاملاً للحضارة إلى شعوب العالم المختلفة.

رابعاً: الخطأ فى الترجمات الغربية

فقد ترجمت بعض الكتب التي تتحدث عن الإسلام وفيها العديد والعديد من الأخطاء، وكانت هذه الأخطاء متعمدة .

خامساً: الإعلام

مما لاشك فيه أن الإعلام يشوه صورة الإسلام، حيث يصف المسلمين بالتخلف والهمجية والإرهاب، والإعلام الغربى يتصيد بعض أخطاء المسلمين وينشرها ويعظمها ويؤكد أن هذا هو الإسلام، فجميع وسائل الإعلام وبخاصة الإعلام السينمائى المرئى يصور المسلمين على أنهم مجموعة من البدو يتسمون بالهمجية والتخلف وأنهم مصدر كل بلاء، فالإعلام بذلك يقدم صورة مشوهة للأجيال التي لاتعرف الإسلام .

لقد كنا في إيطاليا منذ فترة قريبة وحضرنا ندوة مهمة عن السلام والإسلام وتعرضت الندوة لدور الإعلام في تشويه صورة المسلمين بعد أحداث (١١) سبتمبر ٢٠٠١م والواقع أن الإعلام استغل هذه الأحداث، وأحداث الاعتداء على قطار للركاب في أسبانيا، وأحداث أخرى وقعت في لندن لترديد مزاعم الإرهاب وصب العنف ضد المسلمين ولا زال الإعلام الغربي يكتب بشكل مطول عن هذه الظاهرة وللأسف وجدت تأثير الإعلام قويا إلى الحد الذي جعل رجل الشارع في أوروبا يربط بين العرب والمسلمين والإرهاب .

والواقع أن من الصعب أن نفسر هذه الظاهرة، إلا أن تكون هناك جهات تمول هذه الحملة وتغذيها بشكل مستمر.

لقد نشرت الصحف الغربية الرسوم المسيئة للرسول ﷺ نقل عن الصحيفة الدانماركية المعروفة كما أشرنا من قبل، وربطت للأسف هذه الحملة بالحديث عن الحريات الأوروبية التي لا يمكن لأحد أن يلغيها وتنكرت تماما لحق آخر من حقوق الإنسان، وهو الحق في حرية العقيدة وضرورة احترامها فلا حرية مع الضرر.^(١)

إن العرب والمسلمين لا يواجهون هذه الظاهرة في إعلامهم، وللأسف لا يتفقون على تكوين رسالة إعلامية مناسبة للغرب، وهي مسألة يجب أن يتم الوقوف عندها كثيرا، فما يملكه العرب والمسلمون من وسائل الإعلام كثير؛ لكننا لم نوظفه حتى الآن بالشكل الكافي .

سادسا: سلوك بعض المسلمين

لاشك أن سلوك بعض المسلمين خاصة هؤلاء الذين يعيشون في الغرب، يرتبط بفكر كراهية الآخر، بل والعدوان عليه. يدخل في ذلك بعض حركات يطلق عليها الغرب حركات الإسلام السياسي .

(١) راجع وقائع ندوة نظمها رابطة الجامعات الإسلامية في أعقاب نشر الصور المسيئة للإسلام تم نشرها في مجلة الرابطة ((الجامعة الإسلامية)) وقد أوضحنا فيها حدود الحرية " أنت حر ما لم تضر " وضرورة احترام العقائد باعتبار ذلك من حقوق الإسلام .

وهم يؤمنون بضرورة استخدام القوة للدفاع عن الإسلام، ويعطونه تفسيرات مختلفة لفكرة الجهاد. ورغم أن في ذلك رداً على فكر غربي يريد سلخ المسلمين عن دينهم وذاتيتهم بالقوة، كما حدث في الجزائر وفي التاريخ الاستعماري الحديث بشكل عام؛ إلا أنه في يقيني أن الإسلام لا يجيز استخدام القوة إلا للدفاع الشرعي عن النفس أو لتأمين حرية العقيدة للناس كافة، أو لنصرة المستضعفين في الأرض على تفصيلات واسعة لا أرى محل مجال لعرضها الآن.^(١)

سابعاً: الاستشراق

رغم أن المستشرقين قد أدوا خدمات جليلة للإسلام عندما قاموا بفهرسة التراث وتسهيل الرجوع إليه، كما قدموا مفاهيم جديدة للعديد من القضايا التي قادت الإسلام والمسلمين، إلا أنهم من ناحية أخرى كانوا طلائع الاستعمار والذين مهدوا الطريق أمامه للانتقضاخ على ديار الإسلام وتمكين القوة الغربية من الهيمنة عليها.

إن تاريخ الاستشراق ليس طريقاً سويًا في الأغلب من الحالات؛ لذا فإنهم بلا شك من أسباب تثبيت ظاهرة كراهية الإسلام ونشرها بكافة الطرق.

ثامناً: المصالح الغربية في إضعاف المسلمين

فالمواقع أن هناك كراهية أن يتبوأ الدين الإسلامي مكانة في نفوس أتباعه وفي السيادة على العالم. إنها كراهية أن ينازع أصحاب القوة والسيادة في الزمن المعاصر ما سيطرو عليه من موارد وثروات. كراهية التوزيع العادل للثروة وحياسة الفقراء لقدر من الثروة والتفوذ والجاه وكل ما يمكن قسمته في المجتمعات الداخلية والدولية على حد سواء.

هل يمكن أن نفسر على ضوء ذلك كراهية الاستعمار الغربي والهيمنة الغربية الحديثة اقتراب المسلمين من إقامة بنوك إسلامية واقتربهم بالتالي من حياسة الثروة؟ ألا يمكن تفسير ظاهرة محاربة شركات الأموال الإسلامية على هذا الأساس؟

هل يمكن أن نفسر النزوع الغربي إلى تأمين الثروة عن طريق الربا والنظام الجديد

(١) راجع في ذلك، الحرب والحياد في الإسلام للمؤلف، نشر رابطة الجامعات الإسلامية عام ٢٠٠١م

له وهو الفائدة التي تدفع إلى تكوين الثروة بحق وبغير حق على هذا النظام الذي يؤمن زيادة دون عمل، وتكديس للنقود لصالح النخبة الحاكمة دولياً وداخلياً وفقاً لهذا النظام ؟

لماذا يرفض النظام الدولي أن تكون إيران قوة ذرية ؟!.. لماذا يرفض النظام الدولي أن يكون للدول الإسلامية كرسيا دائما مع الكبار في مجلس الأمن ؟!.. لقد علق أحد الخبراء الدبلوماسيين ساخرا على قبول اليابان في النظام الدولي السابق مع تكوين الأمم المتحدة وعصبة الأمم، بأنهم قبلوها عندما هزمت الصين ومنشوريا في عام واحد وقال: أنتم تقبلوننا الآن على موائد اجتماعاتكم بعد أن نيقتم أننا قادرون على الذبح مثلكم. إذا ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوجة الرسول ﷺ كان يرصد بما علمه الله حقيقة كونية تتجلى دائما في صراع مستمر بين الحق والباطل وبين الفضيلة والرذيلة، وإلى نزوع تلقائي لمحاربة الحق، ومحاولة إطفاء نور الله؛ ولكن الغريب في العصر الحالي، عصر العلم والتقدم في البحث، أن الأوروبيين يتحازون في أبحاثهم ودراساتهم نحو الباطل مع إعلانهم دائما أنهم يسعون إلى الوصول بشكل موضوعي إلى الحق .

هذه مسألة، ومسألة أخرى هي لغة المصالح ومحاولات الإنسان دائما أن يأخذ الجانب الذي يحقق مصالحه في كل خطوة يخطوها . كانت رسالة الإسلام ثورة على الظلم والطغيان الذي يمارسه السادة وأصحاب القوة والسلطان في مكة على العبيد والضعفاء .

إن الإسلام جاء ليقوض أركان النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي كان يقوم على الظلم والاستغلال، ألم يكن النظام الاقتصادي يقوم على تسخير هذه الجماعات الضعيفة وجعلها تكد وتعب لصالح هذه الجماعات القوية ؟ ألم تكن أموالهم ومراكزهم تأتي من هذا الاستغلال ؟ ألم تكن الدعوة مهددة لبقيائهم ولنفوذهم ؟

بلى لقد قالوا للنبي ﷺ بوضوح: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

فالخوف على المصالح من ضياع مراكز القوة والنفوذ والسلطان، ومن التأثير على القوة الاقتصادية التي تأتي من هذا النظام من الأهداف القوية القديمة والحديثة لمعارضة الرسائل ومن محاربة من يدعون إلى الحق، كذلك الخوف من اهتزاز النظام الاجتماعي والارتقاء بالضعفاء والعبيد وجعلهم في منزلة السادة من أهم أسباب المعارضة قديماً وحديثاً. . لقد أغرى الاستعمار الحديث ما يوجد من موارد للثروة على طول الدول الإسلامية وعرضها، والذي يمثل البترول في الوقت الحاضر أهمها، ومراكز التحكم في التجارة الدولية والهيمنة على العالم، أغرى كل ذلك الدول الكبرى بالتواجد القوى في بلادنا، ولما كان الإسلام يمثل عائقاً ضد الخضوع والسيطرة، فلا بد من إزاحته عن مركز الصدارة، لا بأس أن يظل إسلاماً ضعيفاً لا يقوى على المنازلة والصراع والمنازعة، لا خوف من أن يكون إسلام بلا قوة ولا بأس أن يتواجد دون أطماع سياسية للحكم والسيطرة والعلو في الأرض، بعبارة أخرى يمكن أن يقبل إسلام للعبادة بالمعنى الضيق، أي لا مكان له بالسيادة ولا بالقوة في الأرض، أما أن يكون إسلام سياسى بتعبير حديث يكون للدنيا والآخرة، ويتنازع الأقوى في مكانته فلا يمكن قبوله، بل هنا يقال: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، ويقال أيضاً دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

المبحث الثالث

الانتقادات التي وجهها البابا بندكت السادس عشر للإسلام

والرد على هذه الانتقادات

مما يؤسف له أن البابا بندكت السادس عشر في محاضراته التي ألقاها في جامعة ريجنز بروج بألمانيا عن العلاقة بين الإيمان والعقل في هذه الجامعة اللاهوتية وإذا به يقحم الإسلام فيها بعبارات مُسيئة تدل على أنه لم يدرس الإسلام ولم يفهمه. والعبارة منقولة من كتاب أصدره الأستاذ عادل خوري وهو لبناني الجنسية ويشرف على إصدار موسوعة تحت عنوان "المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون" هو وقسيس آخر يدعى ميشيل باسيل عون^(١).

والأستاذ خوري هو الذي أورد الحوار الذي دار بين القيصر البيزنطي مانويل الثاني وبين أحد المثقفين المسلمين عام ١٣٩١م أي في أواخر القرن الرابع عشر. ونقل من هذا الحوار ما أثار اهتمام البابا، وجعله يحكم على الإسلام بأنه قرين الإرهاب، فالقيصر مانويل الثاني يسأل محاوره "أرني الحديد الذي جاء به محمد؟ إنك لن تجد إلا أشياء شريرة وغير إنسانية مثل أمره بنشر الدين الإسلامي بحد السيف، وهذا أمر يتناقض مع جوهر الله وجوهر الروح".

الأستاذ خوري يتقن الألمانية ويكتب بها والبابا بندكت السادس عشر ألماني قرأ كلام خوري بالألمانية، ويعتمد عليه، رغم أن العديد من المفكرين الألمان كتبوا بالألمانية ولم يكلف سيادته وهو الأستاذ الجامعي بأن يرجع إلى أي منهم، رغم أن بعضهم

(٨) تنشر هذه الموسوعة المكتبة البوليسية بجنوة، لبنان، والعدد الأول فيها صدر بعنوان "العدل في المسيحية والإسلام" وشارك في الكتابة فيه من المسلمين الدكتور محمود حمدي زقزوق، والدكتور رضوان السيد من لبنان والدكتور سعود المولى. ثم توالى الأعمال في هذه السلسلة بعد ذلك. وبعض ما بنشر فيها عن الإسلام حسن وطيب والكثير منها شيء من النوع الذي يمكن أن يطلق عليه "دس السم في العسل" فقد انتقد بشدة نظام الذمة واعتبره يقوم على التمييز بين المسلمين وغير المسلمين، مع أنه في نفس الوقت انتقد الموقف المسيحي الذي يربط الإسلام والإرهاب في المرجع الأول الذي أشرنا إليه.

منصف بل ودخل الإسلام عن قناعة كاملة، مثل الأستاذ مراد هوقمان. وبالنسبة لهذه التهمة القديمة والحديثة على السواء بشأن أمر الله نبيه أن ينشر الإسلام بالسيف فإننا نرد عليها بالآتي:

أولاً: العقيدة أمر داخلي يتمثل في علاقة بين الإنسان وربه فهي شيء في القلب وبالتالي لا يمكن أن تفرض وإنما الله سبحانه وتعالى يتجلى بها على عباده فيؤمنون بها، وهناك مظاهر لها، لكن المهم هو الجوهر وهي مسألة لا تفرض بالسيف ولا بغير السيف - لذا ينبهنا الإسلام بوضوح إلى هذا المعنى بقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ، كما يقول تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: آية ٢٩]، وهكذا نجد آيات كثيرة في القرآن الكريم بنفس المعنى.

ثانياً: الممارسة العملية ترى أن الرسول ﷺ لم يكره أحداً على الدخول في الدين، وإنما كان يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وسأورد هنا أقوالاً لمنصفين غربيين فطنوا إلى هذه الحقيقة وشهدوا بها بوضوح. وسأبدأ برأى عادل خورى نفسه - والذي نقل البابا الحديث الذي أشرنا إليه في البداية - في كتاب "العدل في المسيحية والإسلام" يقول: "هناك مسيحيون يميلون إلى اعتبار المسلمين المتعصبين الذين يدعون إلى الجهاد وتربط وسائل الإعلام بينهم وبين عمليات الإرهاب، كالممثلين الحقيقيين للإسلام. ويغفلون عن الأكثرية في العالم الإسلامي التي تحب السلام وتدعو إليه. وهكذا يتم دوماً الربط بين الإسلام والسيف".

كذلك يقول الكاتب الإنجليزي توماس كارليل (إن اتهامه - أي سيدنا محمد ﷺ - بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدر على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب على غيرهم قبل أن يقدروا عليها". كما تنبه العديد من الكتاب الغربيين إلى ذلك نذكر منهم: جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده وفي عصور الفتوحات من بعده - "قد أثبت

التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند - التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل - ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها..

ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة فيها، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليوناً في الوقت الحاضر".^(١)

والواقع أن القراءة المتأنية لآيات الكتاب الكريم ولسيرة النبي محمد ﷺ ترينا كيف أن الإسلام بعيد عن هذه التهمة. أما الهجوم الجديد الذي قد لا نراه كثيراً في الكتابات السابقة وإنما ركز عليه البابا بندكت السادس عشر فهو ما يتصل بأن المشيئة الإلهية في الإسلام منقطعة عن الفعل، وأن تصرفات الله سبحانه وتعالى لا تخضع للعقل ولا للمنطق وهذه فرية كبيرة، وقد اعتمد فيها البابا على ما قرره خوري (إن الله في العقيدة الإسلامية مطلق السمو ومشيتته ليست مرتبطة بأى من منقولاتنا ولا حتى بالعقل". ويدلل خوري على ذلك بما نقله عن مستشرق آخر (أرنالدز) على لسان ابن حزم الذي يزعم أن الله لا يتقيد حتى بكلامه، وأنه لا يجب عليه أن يوحى إلينا بالحقيقة، وإن أراد جعل الإنسان عابداً للأصنام.

والواقع أن هذه الفرية ليس لها أي أصل في الإسلام وإنما هي في جوهر الأديان الأخرى وخاصة المسيحية حيث عبر عن ذلك القديس النصراني "أنسليم" بقوله إن الإيمان لا يحتاج إلى إعمال عقل". إن العقل في الإسلام هو أساس التكليف، ولا تقبل عبادة فيه إلا من عاقل، بل لا بد من كمال العقل لقبول العمل. يصدق هذا على الدخول في الإسلام نفسه فيجب أن يكون من يريد الدخول في الإسلام عاقلاً، ومن يؤدي الصلاة عاقلاً، وكذا في سائر الفروض والتكاليف؛ لذا يرفع التكليف عن

(١) هذه الإحصاءات قديمة وعدد المسلمين الآن في الهند يزيد عن مائتي مليون؛ لذا يرون أنهم أكثر الدول الإسلامية، وكذلك المسلمين في الصين تضاعف عددهم الآن وأصبحوا كياناً له أهميته.

المجنون والنائم وكل من فقد عقله. من ناحية ثانية نجد أن المعجزات التي أتى بها الأنبياء السابقون كانت معجزات مادية. أما معجزة الإسلام الخالدة فهي تقوم على العقل. القرآن الكريم يحتاج إلى التدبر والتفكر في آيات الله المنظورة والمسطورة على حد سواء.

ونجد الإمام محمد عبده يعبر عن ذلك بوضوح في قوله "إن العقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة"، كما يقرر أن الإسلام دعا الناس إلى النظر في العقيدة بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل وجعلته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر في أنحائها، ونشر ما انطوى في أثنائها، وأنها إذا قدرنا عقل البشر قدره، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإنسانى^(١).

والواقع أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بكل الفضائل التي تتفق مع العقل والمنطق، وقد احترم الإسلام العقل الإنسانى وجعله في أعلى منزلة وأرفع مكان، وجعل الإنسان الذى لا يستخدم عقله بمنزلة إنسان قد تنازل عن إنسانيته، وجعل عدم استخدام العقل الإنسانى خطيئة كبرى سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة. والله قد بين لنا في القرآن الكريم أنه خلق كل شيء بقدر، وأن كل ما فى السموات والأرض يسير وفق سنن كونية. وأن كل خلق الله مرتبط بحكم بالغة. وقد دعا القرآن الكريم الناس إلى النظر فى الكون ودراسته والتفكير فى آيات الله وفى العالم وفى الإنسان.

وأما أن إرادة الله وعلمه وحكمته لا تحدّها حدود فهذا أمر منطقي؛ لأنه هو نفس الخالق، ولكن المسلم لا يفهم من ذلك مطلقاً أن تصرفات الله لا تتفق مع العقل

(١) راجع الأعمال المتكاملة للشيخ محمد عبده، وراجع المؤلف الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية بعنوان حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين، والذى أشرف على إصداره والتقديم له أ.د. محمود حمدي زقزوق وعلى وجه الخصوص دراسات الدكتور محمد عمارة ص ٤٠٠ بعنوان الشبهة الرابعة والستون حول تناقض النقل - القرآن - مع العقل والدراسة التى كتبها أ.د. على جمعة بعنوان: الشبهة الخامسة والستون، الإسلام انتشر بالسيف ويجذب العنف ٤٠٨.

والمنطق. وفي ضوء هذه التعاليم القرآنية سار علماء المسلمين، فحجة الإسلام الغزالي يقول: "العقل أنموذج من نور الله". ويقول الجاحظ: إن العقل وكيل الله عند الإنسان. كما قرر علماء التوحيد أن النظر العقلي يعد أول واجبات المسلم في مسائل الاعتقاد. وقد اطلع المسلمون على الفلسفات القديمة ومنها اليونانية وناقشوها مناقشة عقلية وصانوها من الضياع، وقد تعرفت أوروبا على الفلسفة اليونانية لأول مرة عن طريق العلماء المسلمين من الترجمات العربية. واعتمدت أوروبا على آراء الفيلسوف العظيم ابن رشد بصفة خاصة في دعم الحركة العقلية التي مهدت لعصر النهضة الأوروبية لما عرفوه لديه من تقدير لا حد له للعقل والمعقول. ومع هذا الاعتداد بالعقل والمعقول فإن المسلمين لم ينسوا أن الله هو الخالق الأعظم مالك الملك، وأنه هو الذي وهبهم العقل ولكنه لم يسلبهم الإرادة بل حملهم المسؤولية بجعله الإنسان خليفة له في الأرض ليعمرها بالعلم، ولا علم بدون عقل.

والواقع أن هناك ملابسات عديدة قد أحاطت بمحاضرة البابا أولها أنه قالها في ذكرى العدوان على الولايات المتحدة وفي الاحتفالات التي جرت في الولايات المتحدة وغيرها في الحادى عشر من سبتمبر، فهل نباعد بين الغرض السئى للبابا وخطابه فى هذه المناسبة؟ معروف أن هذه الواقعة نحت بالتاريخ منحى جديدا جوهره الهجوم على الإسلام ونبيه واتهام المسلمين بالإرهاب وبحب العنف ورفض الآخرين، فماذا يريد البابا من التذكير هنا وفى هذه المناسبة بدعاوى قيام الإسلام على السيف، وعدم احترامه للعقل؟ إننا قدمنا ردا هادئا على هاتين الدعويتين، ولكن من الواجب علينا كمسلمين أن نظل ندعو إلى الله على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نبين فضائل الإسلام وغلوه على كل ما يراد به النيل منه .



خاتمة:

استعرضنا في هذه الدراسة ظاهرة الإسلام فوبيا وبيننا في المبحث الأول التعريف بالظاهرة وأبعادها في الوقت الحاضر، وبيننا كيف يتهم الغرب الإسلام والمسلمين بحب العنف والميل لاستخدام القوة والتشبث بالخرافات وكراهية العلم، وأخطر ما يوجه إليهم هو شتمهم حربا لا هوادة فيها على كل من يخالفهم في الدين أو يعارضهم .

وعرضنا في المبحث الثاني الأسباب الحقيقية لظاهرة كراهية الإسلام وهي التعليم، تعليم الأطفال في الكتب المدرسية التي تدرس لهم كراهية الإسلام، وأنه ليس دينا حقيقيا وإنما هو هرطقة وشعوذة من قبيل الخرافات، وأن القرآن الكريم ليس وحيا وإنما هو أسطورة من أساطير الأولين أعانته على اختلاقها ((بحيرا)) الراهب على قول، وصهيب الرومي على قول آخر، كذلك يلعب الإعلام الدولي دورا كبيرا في تأجيج الأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين ووصفهم بما ليس فيهم، وهناك جهات تسهم بالتمويل لهذا الفكر المنحرف لهذه الحملات الكاذبة ضد الإسلام والمسلمين وألحنا أيضا إلى دور المستشرقين في نشر الحملات الكاذبة عن الإسلام قديما وحديثا ومن هذه الأسباب كذلك إبقاء الإسلام خاملا لا يصل بأهله إلى مراكز القوة والنفوذ في العالم، وإبعاده عن الاقتراب من المراكز التي تتحكم في الاقتصاد الدولي، وألحنا أيضا إلى دور بعض المسلمين في تكوين ظاهرة كراهية الإسلام .

وقد عرضنا في المبحث الثالث محاضرة البابا بندكت السادس عشر التي اتهم فيها الإسلام بالانتشار بالقوة، والتعارض مع العقل، وقلنا إن هاتين التهمتين لا أساس لهما من الصحة، وبيننا الدوافع التي ساقته إلى هذه التهم، وبيننا أن الإسلام قام على العقل واحترامه وجعله أساس التكليف ومناط المسئولية .

إن ظاهرة الإسلام فوبيا ظاهرة خطيرة وخطرة في نفس الوقت ويتبغى تكثيف جهود الدول والمنظمات والجامعات الإسلامية لمقاومتها بكافة الوسائل، ومن ذلك النشر بوسائل الإعلام المختلفة، والاستمرار في محاولات تصحيح المعلومات المغلوطة في الكتب المدرسية، مع تنظيم حملات إعلامية قوية تعبر عن روح الإسلام ونشر حقائقه لكل الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المصادر والمراجع

- ١- المسلمون والآخر أسس لتبادل الحوار والتعاون السلمى - دكتور جعفر عبد السلام- دكتور أحمد السايح.
- ٢- أحداث ١١ سبتمبر وتداعياتها الدولية - مطبوعات رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٢م.
- ٣- أحكام الحرب والحياد فى ضوء القانون الدولى والشرعية الإسلامية - دكتور جعفر عبد السلام .
- ٤- الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة دكتور محمد خليفة حسن .
- ٥- الإسلام وحوار الحضارات - مطبوعات رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٢م .
- ٦- ندوة التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل - ١٩٩٧ م .
- ٧- مجلة الجامعة الإسلامية - عدد ٤٠ - ٢٠٠٧م .
- ٨- نظام الدولة فى الإسلام - دكتور جعفر عبد السلام.
- ٩- الأعمال المتكاملة للشيخ محمد عبده .
- ١٠- حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ١١- دراسات الدكتور / محمد عمارة ص ٤٠ بعنوان الشبهة ال ٦٤ حول تناقض النقل .
- ١٢- مع العقل والدراسة أ. د على جمعة بعنوان : الشبهة الخامسة والستون- الإسلام انتشر بالسيف وبجيز العنف .
- ١٣- الصراع العربى الإسرائيلى، نشر رابطة الجامعات الإسلامية، عام ٢٠٠٦م، واحتلال العراق على صدد الشرعية الدولية، نشر الرابطة عام ٢٠٠٥م.
- ١٤- الحرب والحياد فى الإسلام للمؤلف، نشر رابطة الجامعات الإسلامية .

ظاهرة كراهية الإسلام: الجذور والحلول

د/ معتر الخطيب(*)

موضوع الإسلام والغرب أو العالم الإسلامي وأوضاع المسلمين في الغرب شغل اهتماماً كبيراً في العقود الماضية، وخاصة منذ نهاية السبعينيات، وقد نشطت تلك الموجة مطلع الألفية الثالثة للميلاد^(١). وذلك الاهتمام يرجع لاعتبارات متعددة، منها: بروز الثورة الإسلامية الإيرانية ١٩٧٩م، والجهاد في أفغانستان ١٩٨٠م، وقضية سلمان رشدي ١٩٨٦م، ثم حرب الخليج ١٩٩١م، والحرب في يوغوسلافيا السابقة ١٩٩٢م، وبرز الإسلام عاملاً سياسياً في العالم الإسلامي^(٢). وبهذا دخل الإسلام بقدر أكبر في السياسات والمجتمع الإسلامي، باعتباره قوة عالمية مؤثرة ومحتملة خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، والعنصر المهم والبارز بالإضافة إلى ما سبق هو تدفق المهاجرين المسلمين إلى بلدان الاتحاد الأوروبي منذ الستينيات، الأمر الذي فرض عليها العديد من التحديات التي سنشير لبعضها لاحقاً.

ثلاث ملحوظات مبدئية:

علاقة الغربيين بالإسلام، أو العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، علاقة متعددة الأبعاد مترامية الأطراف، شديدة التوتر والتنوع أيضاً، وهذا ما يجعل المتحدث فيها يقع في التردد والحيرة إزاء تركيبتها وتعقيدها، وقلماً ما يتم تناولها بالشمول والتركيب اللائق بها، وبالمناهجية والموضوعية الكافية. وقبل إجمال ملامح تلك العلاقة يحسن إيراد ملحوظتين أساسيتين تخصان ثنائية "الإسلام والغرب"، أولاهما: أن تلك الثنائية مغلوطة، إذ كيف تجوز المقارنة بين الإسلام بوصفه منظومة فكرية ودينية، وبين الغرب بوصفه يحيل إلى رقعة جغرافية ممتدة يثور الجدل حول تحديدها على وجه الدقة، أو

(*) مدير تحرير الملتقى الفكري للإبداع - دولة قطر.

(١) انظر في إجمال رؤية ومناهج تلك الكتابات الصادرة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، في: معتر الخطيب، 'الغضب الإسلامي: تفكيك العنف'، دراسة نقدية، دمشق: دار الفكر (تحت الطبع) ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) انظر: واصف شديد، وسجورد فان كوننفسفيلد، 'الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب'، بيروت: مجلة الحياة الطيبة، عدد ٢٠، ٢٠٠٦م، ص ١٥.

حتى بوصفه مفهوماً جيوسراتيجياً.. نعم نفهم المقارنة بين الإسلام والمسيحية، أو بين الشرق أو العالم الإسلامي والغرب.

الملحوظة الثانية التي ينبغي الإشارة إليها هنا هي أنه كثيراً ما يغلب التعميم حين الحديث عن إسلام وغرب، ويتزع الكاتبون من الطرفين إلى الحديث عن كتلة واحدة متجانسة متماسكة هي: "الإسلام"، أو "العالم الإسلامي"، مقابل كتلة واحدة متجانسة هي: "الغرب"، وهذا غير واقعي وتبسيطى إلى حد كبير، بل إنه بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م جرى الحديث عن أكثر من غرب، وعن انقسام الغرب على نفسه.^(١)

وإذا أمكن لنا أن نضيف ملحوظة ثالثة فيمكن القول: إن تلك الصورة المتبادلة بين الشرق والغرب لكل واحد عن الآخر، اعترافا الكثير من الشوائب والتعقيدات والتشويه أيضاً، فالناظر الفاحص المدقق والمؤرخ المستقصى سيجد أن "الغرب" و"الشرق" كليهما اعترافهما كثير من الخيال وقليل من الواقع، فكما أن الغرب كامن في رؤوسنا، كذلك الشرق كامن في رؤوسهم. لكن كيف لنا ولهم أن نحدد -بوضوح- ما هو واقعي وما هو خيالي من فيض ذاتنا وذاتهم.^(٢)

تاريخ الصورة:

ثمة تاريخ طويل يحكم تلك العلاقة المتوترة والمتذبذبة، وقد تتبع مكسيم رودنسون الصورة الغربية عن الإسلام والمسلمين، وقسمها إلى محطات هي:

(١) انظر في ذلك: معتر الخطيب، "ميلاد المفهوم ونهايته"، مقال منشور على موقع الجزيرة. نت. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوعي بالعالم الإسلامي بوصفه كتلة واحدة متجانسة متضامنة، وجد في العصور الوسطى، فبرغم كون الانقسامات السياسية للمسلمين معروفة في ذلك الوقت، ولكن كان هناك إدراك أنه يوجد وراء تلك الانقسامات تضامن أساسي، وأن الوحدة يمكن أن تعود في أي وقت ضد العالم المسيحي، وأن هناك موقف وعقيدة مشتركة تشكل لب هذه الأخوة. مكسيم رودنسون، "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية"، بحث ضمن: جوزيف شاخت، كلينفورد بوزورث (تصنيف)، تراث الإسلام، ترجمة السهورى ومؤنس والعمد، الكويت، عالم المعرفة، ط٣، ١٩٩٨ م، ١/٣٦.

(٢) من المهم هنا مراجعة الدراستين المثيرتين للتأويل: تيرى هنتش، الشرق المتخيل، "رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطى"، ترجمة: غازى برّو و خليل خليل، بيروت، دار الفارابى، ط١، ٢٠٠٤ م. ونسب الحسينى، "الغرب المتخيل"، رؤية الآخر في الوجدان السياسى العربى، ترجمة: غازى برّو، بيروت، دار الفارابى، ط١، ٢٠٠٥ م.

- ١- العصور الوسطى التى تجلّى فيها الصراع بين عالمين: العالم المسيحى وعالم المسلمين، وذلك ما بين القرنين الثامن والثانى عشر الميلاديين.
 - ٢- نمو وذبول صورة للإسلام أقل عداء فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.
 - ٣- التعايش السلمى والتقارب: العدو يصبح شريكاً، وذلك ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.
 - ٤- من التعايش السلمى إلى الموضوعية وذلك ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.
 - ٥- عصر النزعة العقلية وذلك ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.
 - ٦- نزعة التعلق بالغرائب والإمبرالية والتخصص فى القرن التاسع عشر.
 - ٧- العصبية العرقية الأوروبية تهتز فى القرن العشرين.^(١)
- ويمكن إجمال تاريخ متغيرات الصورة الغربية عن الإسلام بشكل مكثف بأنه مع مطالع العصور الوسطى كان يُنظر إلى المسلمين على أنهم مجرد كارثة، ولم تصبح الصورة أكثر دقة إلا فى القرن الحادى عشر، ولم تبرز صورة الإسلام نتيجة الحروب الصليبية، بقدر ما برزت نتيجة الوحدة الأيديولوجية التى تكونت ببطء فى العالم المسيحى اللاتينى، وقد أدت هذه الوحدة إلى رؤية أوضح للعالم العدو، كما أدت إلى تضافر الجهود نحو الحروب الصليبية.

وفى الواقع لم يكن لدى أوروبا المسيحية صورة واحدة عن العالم المعادى، الذى كانت فى صدام معه، بل كان لديها عدة صور. ويمكن أن نميز بصورة تقريبية بين

(١) انظر: مكسيم رودنسون، "الصورة الغربية"، مرجع سابق، ص ٣١-٩١. وتحديد القرون التاريخية لكل مرحلة هو تقريبى من كاتب هذه السطور، على ما فى مسألة التحقيب التاريخى من اعتساف أو تجويز. وسأعتمد بشكل رئيس على رودنسون فى رسم تاريخ الصورة، داعماً ذلك بمصادر عديدة رجعت إليها، وأحلت إليها فى الهوامش.

ثلاث نواحٍ لرد فعلهم إزاءه، فقد كان العالم الإسلامي - قبل كل شيء - بنية سياسية أيديولوجية عدائية، ولكنه كان أيضاً حضارة مختلفة، وإقليماً اقتصادياً غريباً. هذه النواحي كثيراً ما أثارت اهتماماً متفاوتاً، وردود فعل مختلفة حتى لدى ذات الناس أنفسهم.

أوجدت الحروب الصليبية حاجة كبيرة وملحة للحضور على صورة كاملة ومسلية ومرضية لأيديولوجيا الخصوم، وكان رجل الشارع يرغب في صورة تبين الصفة الكريهة للإسلام عن طريق تمثيله بشكله الفجّ، على أن تكون في الوقت نفسه مرسومة بشكل يرضى الذوق الأدبي الميال إلى كل ما هو غريب، وهو ميل يشكل سمة بارزة في جميع الأعمال في ذلك الوقت. وهكذا أخذ الكتاب اللاتينيون على عاتقهم بين عامي ١٠٠ و١١٤٠ إشباع هذه الحاجة لدى الإنسان العامي، وأخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد ﷺ دون أي اعتبار للدقة^(١)، فأطلقوا العنان "لجهل الخيال المتصغر" كما جاء في كلمات ر. و. ساوثرن، بل إن غيلبرت دونوجنت قال: "لا جناح على الإنسان إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء".

وكما هو الحال دائماً، فإن الرؤية التي ترسمها الأعمال التي تخاطب عامة الناس لا بد أنها قد أسهمت في تكوين الصورة التي حفظتها الأجيال اللاحقة، أكثر من الرؤية التي تبينها الأعمال ذات الصبغة الجدية والعلمية، ولقد قُدِّرَ لهذه الصورة أن تزداد زخرفاً في الكثير من الأعمال الأدبية.

(١) "الدعاية الدينية ضد الإسلام في الغرب كوّنت الخلفية العقلية لكل الكتابات الغربية عن الإسلام وتاريخه في الماضي والحاضر معاً، ومن هنا كان الاهتمام منصبا على الأصول الإسلامية، بينما أهملت أبواب أخرى ضخمة من تاريخ الإسلام حتى ستينيات القرن العشرين. وقد يكون ذلك ناتجاً عن عناية المجادلين الدينيين بهذا الموضوع دون غيره؛ لأن تلك الكتابات نبتت في بيئة تنافس ديني واحتكاك سياسي، ومن ثم لم تكن كتابات علمية. انظر: فرد دوفر، "اتجاهات الكتابة الغربية عن تاريخ الإسلام"، قراءة نقدية، سلطنة عمان، مجلة التسامح، عدد ٨، خريف ٢٠٠٤م، ص ٢٣٦-٢٣٨. وانظر: أسباب التركيز على أصول الإسلام، ص ٢٤٢. وقارن بـ برنارد لويس: "الإسلام في التاريخ"، الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط، ترجمة: مدحت طه، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٩٠.

ولا يلقي المرء موقفاً موضوعياً إلا في مجال مختلف تماماً لا يمت إلى الدين الإسلامي إلا بصلة بعيدة، وهو العلم الطبيعي، ومن هنا ظهرت الترجمات اللاتينية للأعمال الأساسية القديمة التي كانت موجودة بالعربية. ولم يجر البحث في المخطوطات العربية عن صورة الإسلام أو العالم الإسلامي، بل عن المعرفة الموضوعية للطبيعة.

بعد ذلك تمت ترجمات لبعض النصوص العربية وللقرآن^(١)، ولقيت تلك المجموعات رواجاً واسعاً نوعاً ما، ولكنها لم تستخدم إلى الحد الذي كان يمكن أن تستخدم به، فلم يظهر أن لها فائدة في الصراعات الجارية، خصوصاً أن الجدل الديني كان يستهدف مسلمين خرافيين كانوا يبادرون بسهولة على الورق، وفي الواقع يبدو أن الهدف إنما كان تزويد المسيحيين بحجج سليمة لتثبيت إيمانهم^(٢). ثم إن الحالة العقلية للغرب اللاتيني لم تكن مشجعة على الاهتمام بمذاهب دينية في حد ذاتها كتلك التي كانت موجودة في الشرق الإسلامي.

إلا أنه كان هناك مجال آخر التقت فيه عدة تيارات من الاهتمام، واكتشف اللاتين فيه صورة أخرى للإسلام، صورة كانت مغايرة إلى حد بارز لمفاهيمهم الدينية المتحيزة، هذا المجال هو الفلسفة، وهكذا أخذت تتشكل في أذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى للعالم الإسلامي بوصفه مهدداً لفلاسفة عظام، وكانت تلك صورة مضادة تماماً للصورة السابقة، صورة الكيان السياسي الذي يسيطر عليه دين معاد ومغلوط، وهي الصورة التي خلقتها الخرافات السخيفة والكريهة في أذهان الناس.

تراكم المعلومات الصحيحة عن الإسلام وأصوله، وكذلك عن الشعوب الإسلامية والاتصالات المتزايدة، على الصعيدين السياسي والتجاري، والتقدير الذي

(١) يذكر رودنسون أن روبرت أوف كيثون الإنجليزي أتم ترجمته للقرآن سنة ١١٤٣م، ويذكر فرد دونر أن ترجمته ظهرت سنة ١١٤٩م، انظر: رودنسون، "الصورة الغربية" مرجع سابق، ص ٤١، ودونر: "انجهاات الكتابة الغربية"، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٢) هذا ما يذكره رودنسون، ودونر أستاذ التاريخ بجامعة شيكاغو، وبرنارد لويس في "الإسلام في التاريخ"، ص ١٨٩.

نشأ عن ذلك فى بعض الأحيان، والتقدير العميق للمذاهب العلمية والفلسفية التى صدرت عن البلاد الإسلامية، كل هذه الأمور انضافت إلى التطور الداخلى البطيء للعقلية الغربية، وأدت إلى إحداث تغيير فى الزاوية التى أصبحت تنظر من خلالها إلى العالم الأجنبى، لكن العنصر الأساس فى هذا التطور -بحسب رودنسون- كان: تحول العالم اللاتينى والاتجاهات الغربية نحو علمنة الأيديولوجيات، وقد طرأ تغيير تدريجى على الصورة الهجومية الوحشية لعدو شيطانى، ومما ساعد من سرعة التقدم فى هذا الاتجاه: الشعور بالخطر المغولى، واكتشاف عالم وثنى غير الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى انتشار الانقسامات على المستوى الروحى ضمن العالم المسيحى، فازدادت قوة الشعور بأن للإسلام المفهوم الأساسى نفسه فى الدين، وهو: التوحيد.

لكن هذا التوجه لم يطل أمده، فقد تحدث روجر بيكون وريمون ليل عن إحلال الجهود التبشيرية مجال المساعى العسكرية، إلا أن التغيرات والمخططات السياسية التى كانت تحيكها كل أمة على حدة فى أوروبا، والانقسامات، كل ذلك جعل أوروبا اللاتينية -المنهمكة فى صراعاتها الداخلية- التى كانت تتقدم على الصعيد الثقافى - لا تعتبر الصراع العقائدى مع الإسلام ذا أهمية بالغة، بل أخذت تفد اهتمامها به، على أن هذا لم يمنع -بحال من الأحوال- الاقتباسات الثقافية عن الشرق الإسلامى من التكاثر أكثر من أى وقت مضى.

ومنذ نهاية القرن الرابع عشر أدى نمو الامبراطورية العثمانية على حساب البلقان المسيحى إلى بعث الاهتمام بالدين الإسلامى، وكان الأتراك العثمانيون خطراً كبيراً غير أنهم فى هذا القرن كانوا يعتبرون خطراً سياسياً، أو ثقافياً أكثر مما هو خطر عقائدى أيديولوجى. ومن هنا نشأت صلات سياسية معها، ومنذ ذلك الوقت أصبحت التحالفات والحياذ والحرب مع العثمانيين -الذين يُنظر إليهم كقوة مثل غيرها بل أوروبية أحياناً- تقوم على اعتبارات سياسية لا علاقة لها بالعقيدة الدينية المسيحية.

وبالرغم من أن هذه العقيدة بقيت ديناً تقدسه القلوب بقوة، فقد ساد الاعتقاد أنه

يمكن تعليقه -مؤقتاً كما كان يُعتقد- أمام التحركات السياسية الخطيرة، وهكذا اندمج الأثرak على الصعيد السياسى فى الجو الأوروبى.

أصبحت الدراسة الموضوعية للشرق الإسلامى أيسر؛ جراء القرب والاتصالات السياسية الوثيقة، والعلاقات الاقتصادية المتزايدة، والأعداد الكبيرة من الرحالة والمبشرين الذين كانوا يزورون الشرق، ومن جراء انحسار السيطرة العقائدية للدين المسيحى فى أوروبا، وشكل ذلك بالنسبة لرجال السياسة والتجار حاجة ماسة أكثر من السابق، فأخذت دراسات وصفية مفصلة ودقيقة ومتزنة وموضوعية -على قدر الإمكان- تتسرب بعد الدراسة التى قام بها أرنولد فون هارف عام ١٤٩٦م. فلم تعد أنماط الحياة تدرس من حيث اختلافها الواسع أو الضيق عن المثل الأخلاقية المسيحية، وصار نظام الامبراطورية العثمانية السياسى والإدارى والعسكرى موضع دراسات جديدة، كثيراً ما كانت نقدية، ولكنها كانت تشيد أيضاً بفعالية هذا النظام من عدة نواح.

وفى بداية القرن الثامن عشر لم يعد أحد ينظر إلى الإسلام على أنه أرض أعداء المسيح، بل أصبح بصورة أساسية حضارة غريبة ورائعة وموجودة فى جو خيالى فيه الجن والعصاة من أخيار وأشرار، وأصبح الناس يرون الدين الذى ينافس المسيحية بنظرة محايدة، بل بشيء من التعاطف، ولعلهم كانوا يبحثون فيه بصورة لا شعورية- ويجدون فيه بالطبع- عن نفس قيم الاتجاه العقلانى الجديد الذى كان مخالفاً للمسيحية.^(١)

وانتقل الجيل التالى من الموضوعية إلى مرحلة الإعجاب، وهكذا بدا النظر إلى الإسلام كدين عقلانى بعيد كل البعد عن العقائد المسيحية المخالفة للعقل، وينطوى على حد أدنى من المفاهيم الأسطورية والطقوس الصوفية، ثم إنه وفق بين الدعوة إلى حياة أخلاقية وبين حاجات الجسد والحواس والحياة فى المجتمع.

وهكذا بدأت تتكامل معالم صورة، هى صورة محمد ﷺ الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع، والواقع أن القرن الثامن عشر كان ينظر إلى الشرق الإسلامى نظرة أخوية متفهمة.

(١) انظر: رودنسون، ص ٦١، ودونر، ص ٢٣٧.

فى القرن التاسع عشر ظهرت ثلاثة اتجاهات:

- ١- شعور نفعى وإمبريالى بالتفوق الغربى ملئ بالازدراء للحضارات الأخرى.
- ٢- ميل رومانسى إلى كل ما هو غريب يتهج بالشرق السحرى، الذى كان فقره المتزايد يعطى سحره مذاقاً خاصاً.
- ٣- تخصص علمى انصب معظم اهتمامه على العصور الماضية.

على أن هذه الاتجاهات الثلاثة كانت متكاملة فيما بينها أكثر منها متعارضة.

والميل إلى كل ما هو غريب لم ينشأ من تغير العلاقات بين الشرق والغرب، بل من التحول الداخلى الذى طرأ على حساسية الغرب التى أصبحت تنوق إلى الغريب والعجيب. حينها كان الشرق الإسلامى لا يزال عددواً، ولكنه محكوم عليه بالهزيمة، وكانت البلاد الشرقية أشبه بالشهود المنهارين لماض عريق. فقد كان المرء يستطيع أن يستمتع بترف امتداحهم فى الوقت الذى كان فيه السياسيون ورجال الأعمال يفعلون كل ما فى وسعهم للإسراع فى انهيارهم. ولم يكن بإمكان صحوهم ولحاقهم بالعصر الحديث يشير أية حماسة. بل إنهم يفقدون خلال عملية تحديثهم نكهة الغرابة التى كانت مبعث سحرهم.

وعلى حين كان الشرقى فى العصور الوسطى يعتبر عدواً شرساً، ولكنه مع ذلك من مستوى الرجل الغربى نفسه، وكان فى عصر التنوير فى القرن الثامن عشر، وفى ظل أيديولوجية الثورة الفرنسية الناشئة عنه، لا يزال يعد -خلف قناعه- إنساناً قبل كل شئ، فإنه أصبح الآن مخلوقاً مختلفاً سجين خصوصيته، وموضوعاً للثناء الذى يمن به عليه البعض، وهكذا ظهر مفهوم "الإنسان الإسلامى"، وهو مفهوم لا يمكن القول إنه اختفى حتى الآن.

لقد كانت الظاهرة التى لعبت الدور الأكبر فى تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق، وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر هى صعود الإمبريالية، وتوحيد

القوى الأوروبية في مواجهة الجزء الأكبر من العالم الإسلامي^(١). كان التفوق الأوروبي من النواحي الاقتصادية والفنية والعسكرية والسياسية والثقافية طاغياً في الوقت الذي كان فيه الشرق يفرق في التخلف. وأصبحت إيران والإمبراطورية العثمانية محميتين أوروبيتين، بينما كان نطاق الاستعمار المباشر ينتشر في أواسط آسيا لمصلحة الروس، وفي المغرب والشرق العثماني لمصلحة البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين، وخاصة بعد سنة ١٨٨١م حين احتُلت مصر وتونس، وكان من المحتم أن يؤدي هذا كله إلى تشجيع التمرکز حول الذات، وهو صفة طبيعية في الأوروبيين كانت موجودة دائماً، ولكنها الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين.

وقد شجع الوضع المهيمن -الذي وجد العالم الإسلامي نفسه فيه- المبشرين المسيحيين، وفتح لهم طرقاً جديدة، وعزا المبشرون نجاحات الأمم الأوروبية إلى الدين المسيحي، مثلما عزوا إخفاق العالم الإسلامي إلى الإسلام، فصوّرت المسيحية على أنها ملائمة -بطبيعتها- للتقدم، وقرن الإسلام بالركود الثقافي والتخلف، وأصبح الهجوم على الإسلام على أشد ما يكون. وبُعِثت حجج العصور الوسطى بعد أن أضيف إليها زخارف عصرية وصوّرت الجماعات الدينية الإسلامية -بصورة خاصة- على أنها شبكة من التنظيمات الخطرة يغذيها حقد بربري على الحضارة.

كانت كل ظاهرة مناهضة للإمبريالية -حتى لو كان مبعثها مشاعر محلية خالصة- تُعزى إل تلك الحركة الإسلامية^(٢)، وكانت الكلمة نفسها توحى بالتطلع الإسلامي إلى السيطرة وبأيديولوجية عدوانية، وبمؤامرة على نطاق عالمي.

وبفضل الصحافة والأدب الشعبيين وكتب الأطفال، أخذت هذه النظرة تسرب إلى عقول الجماهير الفقيرة من الأوروبيين، ولم تخل من تأثير في العلماء أنفسهم، وخصوصاً

(١) انظر: برنارد لويس، "الإسلام في التاريخ"، ص ٧٠.

(٢) ينتقد بروس لورنس أولئك الذين يروجون للإسلام على أنه دفع احتجاجي (محمد قطب)، أو سياسة دينية (سيد قطب)، بأنهم يقلصون الإسلام إلى منبر مفرد للاحتجاج ضد القوى المهيمنة في نظام العالم المعاصر. بروس لورنس، تحطيم الأسطورة، ص ٥٥، وانظر ص ٥٩.

حين كانوا ينبرون لتقديم النصح إلى أولئك الذين كانوا يوجهون سياسات الحكومات الاستعمارية. أما أولئك العلماء الذين اهتموا كثيراً بالدراسات المعاصرة والذين كانت تشغل بالهم فكرة الجامعة الإسلامية، فإنهم كانوا يميلون لأن يروا فيها حركة رجعية.

أدت حرب ١٩١٤-١٩١٨م إلى تزعزع ثقة الحضارة الأوروبية بنفسها من حيث إيمانها بالتقدم غير المحدود في الاتجاه الذي كانت تسير فيه، وبذا تزعزع التعصب العرقى الأوروبي^(١). ودلت الثورة العربية وحركة أتاتورك، وتخلص الأمم المختلفة من نير الامبراطورية الروسية القديمة، وثورات الهند وأندونيسيا وغيرها على أن السيطرة الأوروبية يمكن أن تصبح موضع الشك، وهنا نشر شبنجلر بعيد الحرب كتابه المذهل "تدهور الغرب"، وكتب لورنتروب ستودارد الأمريكى "العالم الجديد للإسلام"، الذى أظهر فيه أن تغيرات عميقة أخذت تكون شرقاً جديداً غريباً، هو - إلى حد كبير - نتيجة للتأثيرات الغربية، وكانت الصورة التى رسمها هى من حيث الأساس صورة عالم يدور حول نواة غامضة مختلفة أساساً، عدوانية متفجرة إلى حد ما، قوامها جهل ووحشية، لا يكاد يقدر على كبح جماحها دين أو عرف أو نخبة مستنيرة قليلة، ولكنه أفسح فى المجال لعوامل عالمية مثل الصراع ضد التدخل الأجنبى.

وقد ظلت تلك النظرة إلى الأمور بصورة تقريبية هى نظرة الجمهور الأوروبى والأمريكى، فيما عدا أن التأكيد لدى الجمهور كان بالأحرى على العامل الأول، وهو الوحشية الكامنة وغير المكبوحه، والتعصب الذى أطلق له العنان لمواجهة الدفع الحضارى الآتى من الغرب.

ولقد أدت موجة مناهضة الاستعمار العارمة إلى إحداث تغيير فى النظرة إلى العالم الإسلامى لدى أوساط ضيقة، لكنها واسعة النفوذ فى المجتمع الغربى^(٢)،

(١) انظر: هنتش "الشرق المتخيل"، مرجع سابق، ص ٣٠١.

(٢) لكن مناهضة الاستعمار نفسها ولدت الإحيائية الإسلامية، والتى يستند إليها الخطاب الغربى فى رسم الصورة العنيفة والأصولية للإسلام. انظر فى ذلك: معنز الخطيب، "الغضب الإسلامى"، مرجع مشار إليه سابقاً، وبروس لورنس "تخطيط الأسطورة"، ص ٨٣ وما بعدها، حيث يرى أن الإحيائية الإسلامية ثورة مناهضة للاستعمار، وأن الأصولية أو الراديكالية تأتى ضمن سياق عالمى إمبريالى.

فالحركة الاستقلالية أثارت الكثير من التعاطف في الأوساط الحكومية والاقتصادية الغربية، وفي عام ١٩٤٥م كتبت فريا ستارك Freya Stark كتاباً ذا مغزى اسمه "الشرق هو الغرب". وفي ١٩٦٥م أشاد مجلس الفاتيكان المسكوني بالحقائق التي جاء بها الإسلام، والتي تتعلق بالله وقدرته، ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين، بينما كان الاعتقاد السائد في العصور الوسطى أن تلك الحقائق كانت أفتنة استطاع "الدجل الإسلامي" أن ينفذ من خلالها، هذه الثورة في التفكير جعلت التقييم المسيحي لمحمد ﷺ مسألة حساسة، فلم يعد بإمكانهم الزعم الكاذب بأنه "محتال شيطاني" كما كان عليه الحال في العصور الوسطى.

على أن العالم الإسلامي لم يكن يشير الاهتمام لأسباب سياسية أو عسكرية فقط، أو من وجهة نظر دينية أو علمية، فقد أثار أيضاً اهتمامات متعددة في الأذهان التي تنوق للقصص الغربية والعجيبة.

مسارات العلاقة:

هكذا كانت العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامية علاقة صراع في مسارها الرئيس، اكتنفه حروب وعمليات تشويه مقصود، حركها في بدايتها وأثناءها جدالات دينية لاهوتية، ثم تحولت في القرون الأخيرة إلى علاقة تفوق، وهيمنة في ظل الاستعمار والإمبريالية^(١)، وفي هذا السياق يمكن إدراج مقولة الخطر الإسلامي التي سادت في الثمانينيات والتسعينيات مع ذهاب الخطر الأحمر الشيوعي، وهو ما لقي رواجاً كبيراً في الكتابات والصحف حينها^(٢)، وصولاً لمقولة صدام الحضارات لهنتجتون في منتصف التسعينات، والتي يرى فيها أن التصادم واقع بين الحضارة الإسلامية والحضارات المسيحية التي يمثلها الغرب الآن.

(١) أفردت المؤرخة الفرنسية صوفى بيسيس دراسة مهمة لنشأة الغرب وعلاقته بالآخرين. صوفى بيسيس، "الغرب والآخرين"، قصة هيمنة، ترجمة: نبيل سعد، القاهرة، دار العالم الثالث، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢) انظر بروس لورنس، "تخبط الأسطورة"، ص ٢٢-٢٣ والذي يتفق ذلك.

ولقد لقيت هاتان المقولتان نقداً شديداً من الشرق والغرب^(١)، حتى وقعت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فأعادت الجدل من جديد وبكثافة عالية، حول العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، فظهرت مقولات "إنهم يكرهوننا"، و"إنهم يكرهون العالم الحر"، وصولاً لمقولة "الإرهاب الإسلامي"، والربط بين الإسلام والإرهاب في حرب منظمة أطلق عليها "حرب الأفكار".

إن المسارات البارزة التي يمكن رسمها لتلك العلاقة تتلخص في الآتي:

※ الاهتمام الأوروبي بالإسلام نشأ من الخوف من منافس للمسيحية يتميز بوحده وصلاحته، وبقوته الجبارة ثقافياً وعسكرياً، وكان أوائل الباحثين الأوروبيين في الإسلام -على نحو ما بينه مؤرخون كثيرون من أرباب المجادلات القروسطية، الذين كتبوا ما كتبوه لدرء جحافل المسلمين التي تهددهم وخطر الارتداد عن الدين المسيحي، وقد استمرت هذه التوليفة من الخوف والعداء بصورة ما حتى يومنا هذا، سواء في الاهتمام العلمي أم غير العلمي بالإسلام، وهو الذي يُنظر إليه على أنه دين ينتمي إلى منطقة معينة من مناطق العالم هي الشرق، وهي التي غدت تمثل الثقل الموازن خيالياً وجغرافياً وتاريخياً لأوروبا أو ضد أوروبا والغرب.^(٢)

※ مسار برز فيه تأثير الفكر الأوروبي بالفكر العربي ثقافياً وعلمياً، وخاصة من خلال العلوم الطبيعية والفيزيائية والرياضيات والفلسفة، بل والصناعات والأدب وخاصة في إسبانيا وصقلية، خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.^(٣)

(١) نقاد مقولة صدام الحضارات أكثر من أن يُحصى، لكن انظر إجمال تلك المواقف في: رضوان السيد، "الصراع على الإسلام"، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢٠٠٥م، ص ١٤٢. أما فيما يخص نقد مقولة الخطر الإسلامي، فانظر مثلاً: فرد هاليداي، "الإسلام والغرب"، خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ترجمة عبد الإله النعيمي، بيروت، دار الساقي، ط ١٩٩٧م. وجون اسبوزيتو، "التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟"، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٢م.

(٢) إدوارد سعيد: "الاستشراق"، ص ٥٢٠-٥٢١، وانظر: فرد دونر، "التجاهات الكتابية الغربية"، ص ٢٣٨. أما برنارد لويس فيقر بأن دراسة الإسلام كانت لهدفين: حماية المسيحيين من التحول إلى الإسلام، ولإرسال البعثات التبشيرية المضادة لتحويل المسلمين إلى المسيحية، لكن مع انتهاء العصور الوسطى أصبح جلياً تماماً أن الهدف الأول لم يعد له ضرورة، وأن الهدف الثاني يستحيل تحقيقه. برنارد لويس، "الإسلام في التاريخ"، ص ١٨٩.

(٣) انظر: عبد الرحمن بدوي، "دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي"، القاهرة، مكتبة الأسرة، ط ١، ٢٠٠٤م.

※ مسار برز فيه الصراع السياسى بين الطرفين، وأبرز المراحل دلالة عليه هيمنة العالم الإسلامى، التى بدأت سنة ٦٢٢م، واستمرت حتى سقوط غرناطة ١٤٩٢م، والحروب الصليبية وتهديد الامبراطورية العثمانية لأوروبا، ثم الاستعمار الغربى لأغلب العالم الإسلامى لاحقاً..

※ مسار التفوق والهيمنة، والذى برزت فيه نزعة احتقار الآخر الشرقى، والتمركز حول الذات، ونوازع الهيمنة على الشرق بثرواته وثقافته وناسه، وهو المسار الذى لا يزال مستمراً حتى الآن بشكل بارز، مع خفوت المسار العقدى اللاهوتى. يقول تيرى هتش: الشعور بالتفوق بات طبيعياً جداً بالنسبة للأوروبى، لدرجة أنه من المستحيل عليه تقريباً أن يرى أو أن يفعل من دونه، فهذا الشعور يلون كل موقفه بما فى ذلك ما ينتوى عليه من حسن وفادة ومن تنوير.^(١)

هذا التأريخ للصورة -بتشعباتها ومتغيراتها- على طوله مكتفياً، هدفنا من خلاله إلى إظهار عدة أمور، من بينها أن هذا الشراء فى تعقيدات الصورة ومتغيراتها تبعاً لعوامل سياسية وثقافية وفكرية داخلية، أى داخل الغرب نفسه، ومن خلال تطوراته الفكرية، وخارجية جراء تبدل موازين القوى، هذا كله من شأنه أن يخلخل التصورات الصلبة والكلية والمعممة عن العداء، أو عن الغرب نفسه فى علاقته بالإسلام والمسلمين، فضلاً عن أن هذا التنوع والتغير جراء امتداد التاريخ وسعة الجغرافيا، وغناء عالم الأفكار وتبدلاته، يساعد على تحليل عوامل التغير والتبدل، وإدراك أسرارها برؤية متجاوزة لتلك الرؤية الوصفية التاريخية التى كتب بها مكسيم رودنسون دراسته^(٢)، رؤية تحمل على دراسة الظاهرة بوصفها إشكالية، لا تأريخ الظاهرة بما هى ظاهرة وتطوراتها ومساراتها فقط.

(١) هتش: "الشرق المتخيل"، مرجع سابق، ص ٢٥١.

(٢) يشير تيرى هتش بصورة خاصة إلى مكسيم رودنسون وهشام جعيط فى كتابه "أوروبا والإسلام" لأن هذين الكتائين هما اللذان يوفران -على حد علمه- استعراضاً تاريخياً مختصراً للرؤية الغرب للشرق، منذ العصر الوسيط حتى أيامنا هذه. إلا أنهما يتقدمان فى النظرة الغربية إلى الإسلام عرضاً وصفاً أكثر منه تحليلاً. انظر: تيرى هتش، "الشرق المتخيل"، مرجع سابق، ص ١٥.

الخوف الحالي من الإسلام ومصادره:

يعود الخوف الحالي من الإسلام إلى عوامل متضافرة معاً، سنحاول الإشارة إليها بإيجاز:

(أ) الإسلام السياسي:

يعود هذا العامل إلى ثلاثينيات القرن العشرين، مع ظهور ما سمي بـ "الإسلام السياسي" أو الحركات الإسلامية، مع الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨ م^(١)، فهذه الحركات قدمت الإسلام بمفهوم متجاوز لمفهوم الدين فقط، بل قدمته بوصفه نظاماً شاملاً: اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وقضائياً، وبهذا يرى الدارسون الغربيون أن الإسلام بهذه الصفة يتم تقديمه بوصفه أيديولوجية جديدة للمقاومة^(٢)، يتناول الهوية والثقافة والدين معاً. وفي هذا التصور تهديد لمصالح الغرب الذي يقدم أنموذجه الحضاري على أنه "نهاية التاريخ"، ويسعى إلى تنميط العالم وفق أنموذجه، بما يحقق هيمنته الكاملة على باقى العالم، خاصة أن مجمل هذه الحركات يسعى إلى الوصول إلى السلطة لإقامة "الدولة الإسلامية". وفي الواقع لا يفرق الباحثون الغربيون بين الحركات الإسلامية التي توصف جميعها بأنها "أصولية"^(٣).

إلا أن الحركات العنيفة تحديداً، والخطابات المعادية للغرب بإطلاق، شكلت أحد أبرز العوامل في تكوين الصورة السلبية عن الإسلام في الغرب، وتوَجَّ ذلك وقوع أحداث ١١ سبتمبر، التي أنعشت المخيلة الغربية، وأفسحت المجال للتيار المتطرف المعادي للغرب والمسلمين لبث سمومه وحقده.

فيما ترى الثانية أن بعض سمات الإسلام جعلته مناسباً، كأداة لتصحيح التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والسياسي القائم في المجتمعات المعنية، فالحركات نشأت

(١) انظر: أولينيه روا، "تجربة الإسلام السياسي"، ترجمة: نصير مروءة، بيروت، دار الساقي، ط ٢، ١٩٩٦ م، ص ٤١.

(٢) انظر مثلاً: واصف شديد، وسجود فان، الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨.

كتجليات ثقافية ووطنية، وهى متوجهة لمجابهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التى تعاني منها مجتمعاتها، ولم يكن الغرض منها محاربة السيطرة الأجنبية.^(١)

(ب) المسألة الثقافية:

يشغل البعد الثقافى مكانة محورية فى العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامى، وهو ما يتبدى من خلال الصور السائدة لدى كل طرف عن الآخر، والكيفية التى يشكل بها كل طرف الآخر ويرسمه من خلالها، ولعل أبرز ما يمكن استدعاؤه هنا مقولتان ذاع صيتهما فى السنوات الأخيرة، هما: أطروحة فوكوياما عن نهاية التاريخ، والتى يرى فيها أن النموذج الرأسمالى الليبرالى هو أرقى ما يمكن أن تصل إليه البشرية، وما على باقى العالم إلا الانضمام إليه، ومقولة هنتنجتون عن صدام الحضارات، والتى يرى فيها أن صراع الحضارات سيكون المصدر الرئيس للنزاعات فى النظام العالمى الجديد، وسيكون هذا الصراع مقتصرًا على الثقافة الغربية من جهة، والثقافتين الإسلامية والكونفوشوسية (فى الصين وكوريا) من جهة أخرى، والثقافتين تشكلمان خطرًا على الثقافة الغربية؛ لأنهما لا ترغبان أو لا تستطيعان الانضمام إلى الغرب.^(٢)

وعلى هذا، فالأطروحتان تعتمدان التأصيل الثقافى، وإن كانت أهدافهما سياسية واستراتيجية، والإسلام فيما يمثل -فى الداخل كما فى الخارج- فى أيامنا الأيديولوجية الوحيدة الكفيلة بتنفيذة رفض جذرى للهيمنة الغربية، من دون أن تستعير أسلحتها الفكرية من الغرب.^(٣)

وقد أدت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، إلى تمكين موضوع الصدام بين الحضارات من العقول، وأصبح يشكل بؤرة الاهتمام، بل إن البعض رأى أن

(١) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) صمويل هنتنجتون، 'صدام الحضارات'، مرجع سابق.

(٣) هتش: 'الشرق المتخيل'، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

الأحداث "أدت إلى تعميم مفهوم صراع الحضارات في عالمنا، عن طريق نفى وجود هذا الصراع، حيث إن العدد الكبير من المفكرين ورجال السياسة الذين أكدوا في الأيام والأسابيع والأشهر التي تلت الاعتداء، أنه لا يمكن أن يكون هناك صراع حضارات بين الإسلام والمسيحية، يثبت بما فيه الكفاية أن هذا المفهوم البدائي يسكن عقول الجميع^(١). وفي هذا السياق تأتي الكتب التي راحت تتحدث عن صراع حضارى، وكأن حدث سبتمبر أعطاهما مصداقية تؤكد صحة مقولتها من خلال هذه الصورة الصدمية المتشخصة.

ومما يتصل بالمسألة الثقافية تلك الأطروحات التي سادت بعد أحداث سبتمبر في تفسير "الإرهاب الإسلامى"، والتي تخلص إلى القول بحداثة إسلامية مستحيلة أو شبه مستحيلة، وأن الإسلام ديانة ذات جوهر ثابت ومظهر متغير، وأن الأصولية تكوينية في الإسلام، وأن الهزائم المتطاولة للمسلمين، والإرهاب بوصفه انزعاجاً ثقافياً، والإسلام بوصفه جذر تخلف وعنف أبديين، كل هذا يُضمَر موقفاً معادياً ومتنافراً بين الحداثة والإسلام. بل إن لويس يرى في أزمة الإسلام أن الإرهاب الإسلامى يفسر بكونه موقفاً عصيباً حاداً إزاء حداثة مستحيلة تقتضى -في العمق- الانفصال عن المرجعية الإسلامية، ومعضلة الإسلام كما يراها في الامتزاج بين الدين والسلطة، فالإسلام لديه مشروع سياسى^(٢).

فى المقابل، ثمة رأى يذهب -على النقيض من ذلك- إلى أن العداء بين العالم الإسلامى والغرب، تسببت به أوجه الشبه أكثر مما تسببت به الاختلافات بين كلا الثقافتين، والتشابه الأول أن الحضارتين تدعيان امتلاكهما أيديولوجية كونية فى طبيعتها، علاوة على ذلك، المسلمون مقتنعون بأن نظامهم الدينى يقدم بديلاً ملائماً للديمقراطية والليبرالية الغربية.

(١) إيمانويل تود: "ما بعد الامبراطورية" دراسة فى تفكك النظام الأمريكى، ترجمة: محمد زكريا إسماعيل، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٦٧.

(٢) انظر: معتز الخطيب، "الغضب الإسلامى"، مرجع مشار إليه سابقاً.

وثمة قول يذهب إلى أن المسألة لا تتعلق بصراع الحضارات ولا بالشبه بينهما، وإنما تنبع من حاجة الغرب إلى عدو لا غنى عنه؛ من أجل تأكيد وتعريف هويته الخاصة، وهنا يقع تفسير: لماذا دأب الغرب بعد سقوط الشيوعية على تصوير الخطر الأخضر الإسلامي بدلاً عن الخطر الأحمر؟ لكن هاليداي وآخرين يرفضون هذا التفسير ويعتبرونه خرافة. (٣)

(ج) المسلمون في الغرب:

من العوامل المؤثرة في كراهية الإسلام: تزايد هجرة المسلمين إلى الغرب، خاصة خلال الستينيات من القرن العشرين، والتي أثارت نقاشات اقتصادية واجتماعية في بداية الأمر، لكن منذ أوائل الثمانينات -بعد الثورة الإسلامية الإيرانية- أخذ الإعلام يربط بين تلك النقاشات وبين ثقافة وديانة هؤلاء المهاجرين، فبرز النقاش حول ما إذا كانت قيم وثقافة هؤلاء تنسجم مع الثقافة الغربية، وفي هذا السياق تبرز مسائل عديدة من قبيل الحجاب، وتعدد الزوجات، والسباحة المختلطة، وختان الإناث، وإنشاء مدارس إسلامية.. إلى غير ذلك. بل إن الأمر لاحقاً تجاوز تلك النقاشات إلى مسائل الولاء والمواطنة، ومدى تأثير الحركات الإسلامية في العالم على المسلمين داخل الاتحاد الأوروبي، ثم جاءت أحداث سبتمبر فأدت إلى طرح مسألة الولاء للوطن بقوة، بل إن هنتنجتون قدم أطروحته الثانية عما أسماه الهوية الأمريكية، التي يجب الحفاظ عليها، والتي تقوم على ركائز أربع أساسية، هي: العرق الأبيض، والإثنية الانجليزية، والدين المسيحي البروتستانتي، والثقافة الانجليزية البروتستانتية. (٢)

إن موقف العرب السلبى من المهاجرين المسلمين فى أوروبا يعود لسببين، أحدهما- وهو الأهم - الاختلاف العرقى، والعداء المتصاعد للمسلمين هناك يعود

(١) انظر: واصف شديد وسجورد فان، "الصورة السلبية"، ص ٢٣. لكن هنتنجتون يعبر بصراحة -فى كتابه المشار إليه لاحقاً- عن اعتقاده بأن العداء للآخر يلعب دوراً أساسياً فى تشكيل هوية أى جماعة، ويرى أن الحروب التى خاضها الأوروبيون فى العصور الوسطى، وقبل بداية عصر الدولة القومية، كانت ضرورية لتشكيل هوية الدول الأوروبية المختلفة.

(2) Samuel P. Huntington, Who Are We: the challenges to America's National Identity, New York, Simon & Schuster, 2004.

لرفض مجموعات معينة تقبل حقيقة أن مختلف بلدان أوروبا الغربية أصبحت دول هجرة، ومن ثم تخشى أن تفقد الإطار الثقافي في ظل التعددية الثقافية التي تتفاعل داخلها ونشأة التمايزات.

والسبب الثاني لتدهور الموقف الغربي من المسلمين يمكن أن يعزى لتحريف إحصائي كما في بلدان أوروبا، حيث ظهر تزايد علماني وتزايد عدد المسلمين أيضاً، ويتناقص عدد أعضاء الكنيسة، وهذا يزيد من مخاوف الأسلمة في الغرب.^(١)

د- الإرهاب:

جنسية مرتكبي تفجيرات ١١ سبتمبر المفترضين استنهضت المخزون الثقافي والصورة النمطية للإسلام والمسلمين، وحولت الاتهام إلى الدين نفسه، وفي أحسن الأحوال ثار التساؤل عن هذا الدين، الذي يبيح لمعتقيه مثل تلك الأفعال. وفي هذا كتب إدوارد سعيد: "قد أتمنى أن أقول: إن الفهم العام للشرق الأوسط وللغرب وللإسلام في أمريكا قد تحسن بعد ١١ سبتمبر، ولكنه لم يتحسن... إن رفوف المكتبات الأمريكية بعد ١١ سبتمبر امتلأت بكتب مليئة بعناوين مهلهلة صارخة عن الإسلام والإرهاب والتهديد العربي والخطر الإسلامي".^(٢)

لسنا نريد العودة إلى الحرب الصليبية التي تحدث عنها بوش فيما اعتبر زلة لسان، وما أثارته من جدل واسع في العالم الإسلامي، بل التركيز تحديداً على تلك التصريحات التي أُلقت باللائمة على الإسلام، الذي يبيح تلك الأفعال أو يشكل مرجعية هؤلاء المنفذين للهجوم. في حين باهى برنارد لويس في مقدمة كتابه "أزمة الإسلام" بأنه قد بذل الرئيس بوش والسياسيون الغربيون الآخرون جهوداً عظيمة ليوضحوا أن الحرب التي ننهمك فيها هي حرب ضد الإرهاب، وليست حرباً ضد العرب ولا ضد المسلمين. إن رسالة أسامة بن لادن هي رسالة مضادة، فبالنسبة لابن لادن وهؤلاء الذين يتبعونه، فإن هذه حرب دينية، حرب في سبيل الإسلام ضد الكفا، ولذلك فهي بشكل حتمي ضد الولايات المتحدة، القوة العظمى في عالم الكفار"^(٣).

(١) انظر: شديد وكونتسفيلد، "الصورة السلبية"، ص ٣٨-٣٩.

(٢) الكلام جزء من مقدمته الجديدة لكتاب الاستشراق التي نشرتها الجارديان بتاريخ ٢ أغسطس ٢٠٠٣ م.

(3) Bernard lewis, The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror, New York, random house, 2003.

وكذلك شاريل بينارد التي قالت: "بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م مباشرة بدأ السياسيون وصنّاع القرار فى الغرب بالإدلاء بتصريحات تؤكد قناعاتهم بأن الإسلام ليس ملومًا فيما حدث؛ ذلك لأن الإسلام قوة إيجابية فى العالم، وكان دينًا للسلام والتسامح، حيث تحدثوا فى المساجد وعقدوا اجتماعات واسعة مع علماء مسلمين، وقاموا بدعوة الشخصيات الدينية الإسلامية البارزة فى افتتاح المناسبات العامة، كما استشهدوا بسور قرآنية فى خطاباتهم، واعتبرت الصيغة النموذجية لهذا الخطاب الذى يبرئ ساحة الإسلام: خطاب بوش ٢٠٠٢م الذى قال فيه: "إن الإسلام دين يوفر الرفاهية لمليار من البشر حول العالم.. لقد آخى الإسلام بين مختلف الأعراق فهو دين قائم على الحب لا على الكراهية". وأضافت بينارد أن هذا النهج لم يكن قاصرًا على الولايات المتحدة، بل كان سائدًا فى أوروبا أيضًا، وقد انضم المجتمع الأكاديمى بسرعة إلى هذه الجهود^(١).

وكان فريد هاليداي خصص فصلاً كاملاً لعداء الغرب للمسلمين، رافضاً مقولة "الإسلاموفوبيا" والتي تعنى خوف أو عداء الغربيين للإسلام، فهو يرى أنه ليس هناك عداء للإسلام كدين فى الغرب بالمعنى الصليبي للكلمة، رغم وجود بعض تسربات الإرث التاريخي والتصورات المتوارثة، لكن الأهم والسائد فى رأيه هو موجات العداء للمسلمين كناس وليس للإسلام كدين ونظرية، وهو عداء ذو جذر سياسى واجتماعى وليس ثقافياً دينياً وأغلب العداء مرتبط بالمهاجرين والظروف الاقتصادية، وإلى حد ما هنالك الجهد والتجهيل الذى أثارته نظرية "الإسلام الخطر البديل عن الشيوعية" بحسب رأى هاليداي^(٢).

لكن بالمقابل لا يمكن تجاهل مواقف بعض قيادات اليمين الأمريكى المتدين تجاه الإسلام، والتي قال عنها ديفيد فروم -أحد كتّاب خطابات بوش سابقاً-: "إن قيادات اليمين الأمريكى المتدين الذين يمثلون أقوى قواعد الجماهيرية المساندة لبوش، شعروا

(١) شاريل بينارد، الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والمصادر والاستراتيجيات، مؤسسة راند، ٢٠٠٣م، ص ١٧-١٨.

(٢) فريد هاليداي، 'ساعتان هزتا العالم'، مرجع مشار إليه سابقاً.

بغضب شديد تجاه موقف بوش من الإسلام والمسلمين في أعقاب أحداث سبتمبر؛ لأن بوش وصف الإسلام بأنه دين سلام^(١).

وما يؤكد كلام ديفيد فروم تلك التصريحات التي صدرت من بعض هؤلاء، والتي كانت بمثابة رد على كلام بوش، فقد رفض فرانكلين جراهام المستشار الديني للرئيس بوش، وصف الإسلام بأنه "دين مسالم"، ووصف جيري فالويل الرسول ﷺ بأنه إرهابي، وقال بات روبرتسون: "إن الإرهابيين لا يحرفون الإسلام، إنهم يطبقون ما في الإسلام!"

في الواقع، بعيداً عن كل هذه التصريحات والتصرفات، هنالك جو عام في أمريكا مشحون ضد الإسلام، فدانيال بايس نفسه يذكر في افتتاح مقال له ما نصه: "الإسلام شر". كانت هذه هي العبارة التي تركها بشكل مخالف للقانون أحد رجال المخابرات الأمريكية على روزنامة صلاة إسلامية، بعد مداهمته في الثامن عشر من يوليو لبيت واحد يُشبه بأنه من عملاء القاعدة في ديربورن ميشيغان. تلك الكتابة الفجة تعكس وجهة نظر أصبحت تلقى رواجاً في الولايات المتحدة منذ الحادي عشر من أيلول^(٢).

وتقول جويس ديفس: "إن كلا من صناع القرار والمواطنين الأمريكيين العائدين لديهم صورة مشوهة عن الإسلام والعالم الإسلامي، وإنه لمن الصعب تغيير هذه الصورة النمطية السلبية، ومن الأصعب تحجيس هذه الفجوة المعرفية بين الغرب والإسلام، خصوصاً أن غالبية الأمريكيين يحملون أفكاراً مسبقة معادية للإسلام والمسلمين، لا تجد أي أساس معرفي لها، وترى أن على الولايات المتحدة أن تحاول الحد من تكرار الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين التي تجعل من المسلمين إرهابيين^(٣)."

(١) وذلك في كتابه "الرجل المناسب: الرئاسة المفاجئة لجورج دبليو بوش ٢٠٠٣م، نقلاً عن:

<http://www.aljazeera.net/NRexeres/DE331B5-A86D-47J3-87B3-EBDC2CF70992.htm>

(2) Daniel Pipes, The Evil Isn't Islam, New York post, July 30, 2002

<http://www.danielpipes.org/article/437>

(٣) جويس ديفس: "الإسلاميون والأنظمة العلمانية: هل العنف ضروري؟"، بحث ضمن أحمد يوسف (إعداد)، مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠١م.

الأمر نفسه يؤكد أكبر أحمد عالم الأنثروبولوجيا الذي يرى أن الإسلام تحت الحصار، وهو حصار تفرضه رؤية سياسية واستراتيجية وإعلامية وأيديولوجية عامة معادية للإسلام، ويعيب على دارسي الإسلام - خاصة بعد ١١ سبتمبر - نزعتهم الانتقائية في قراءة الإسلام، وخاصة في حقل الإعلام.. ويقول: "إن خبراء الإعلام الجاهزين على الفور، كلهم مذنبون في مثل هذا الاستخدام الانتقائي للإسلام عموماً وللقرآن الكريم لتدعيم وجهات نظرهم الجاهزة"^(١). ويؤكد كذلك على أن رؤية العامة للإسلام تنسم برؤية تبسيطية تحصر الإسلام بالعنف والإرهاب.. بل إن الأنثروبولوجي إيمانويل تود قال: "إن الإسلام المحافظ شُفّر باللغة الدارجة بمفهوم الإرهاب الذي يرغب كثيرون في أن يروه شاملاً جميع العالم"^(٢).

(هـ) تأثير وسائل الإعلام:

تلعب وسائل الإعلام الغربية دوراً كبيراً في تنشيط واستمرار تلك الصورة العدائية للإسلام والمسلمين، فعلى سبيل المثال، وفي شهر تموز ٢٠٠٥م، هاجم المحامي راؤول فيلدر شخصية الرسول محمد ﷺ، مضيّقاً: "هذا (الإسلام) دين كراهية.. هذا دين قتل". وذلك أثناء حلقة من برنامج حوارى، وما كان من جاكى مايسون المذيع فى شبكة "وستوود وان" أكبر شبكات الإذاعة الأمريكية إلا أن أيده قائلاً: "هذه معلومات مثيرة لا يعرفها أحد تقريباً.. الجميع يعتقدون أن الإسلام دين مشروع يتنادى بالحب والأخوة.. الحقيقة هى أن الإرهابيين يعكسون دينهم ويتبعون دينهم.. إنهم يتبعون أوامر الدين مباشرة من القرآن". وأضاف: "كل الدين الإسلامى يدعو إلى -ويعلم- الكراهية والإرهاب والقتل ولا أحد يعلم ذلك، وقد حان الوقت لأن يعلموا ذلك عن الإسلام.. القرآن يعبر بخمسين أسلوباً عن الكراهية والحقد والعداء والقتل، القرآن موهوب للإرهاب".

وفى يوليو ٢٠٠٥م أدلى مايكل جرام، أحد مقدمى البرامج الحوارية فى إذاعة

(١) أكبر أحمد: "الإسلام تحت الحصار"، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٦.

(٢) إيمانويل تود: "ما بعد الامبراطورية"، ص ٦٧.

"دبليو إم إيه إل" الأمريكية، في أحد برامجها بتصريحات قال فيها: "الإسلام منظمة إرهابية" و"الإسلام في حرب مع أمريكا"، و"المشكلة ليست في التطرف.. الإسلام هو المشكلة"، و"نحن في حرب مع منظمة إرهابية تدعى الإسلام".

فوسائل الإعلام هنا تمارس دوراً بارزاً في مثل هذا الابتذال، فيما يخص الإسلام والمسلمين، ويشير بحث من مصادر مختلفة إلى أن طريقة كتابة تقارير وسائل الإعلام الغربية عن المسلمين والإسلام والأقليات العرقية على العموم لا تنطرق إلى الكثير من الأشياء المطلوب معرفتها عن هذه الجماعات.^(١)

وعلى سبيل المثال فقد درست إليزابيث بول دور وسائل الإعلام البريطانية في نشر صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، واستنتجت أن وسائل الإعلام تعمم بشكل ساحق ما يتعلق بهذه المجموعات، فالإسلام ينظر إليه كشيء قديم الطراز، ويشكل خطراً على المجتمع البريطاني كما يتم وصف المسلمين بأنهم مختلفون غير منطقيين ولا يقدرّون على الاندماج في المجتمع.

ويعود إسهام وسائل الإعلام في خلق تلك الصورة السلبية عن المسلمين من خلال:^(٢)

- ١- تقديم مفهوم ثقافي جامد وغاية في التبسيط عن تلك الجماعات، فهي تشير بسطحية للثقافة الإسلامية الكلاسيكية لتفسير سلوك المسلمين في العصر الحديث، بشكل يبدو فيه الدين وحده مسئولاً عن مظاهر وسلوك المسلمين.
- ٢- ذكر الأصل العرقي أو الانتماء الديني للذين يرتكبون جرائم، أو بتصنيف النزاعات الإقليمية والعرقية الراهنة كنزاعات دينية، وكذلك في اعتبار أن أي شخص يمثل الرأي الرسمي للدين، دون تدقيق في اختيار الخبراء.

(١) انظر: إدوارد سعيد، "تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم"، ترجمة: محمد عتاني، القاهرة، دار رؤية، ط١، ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: واصف شديد وسجورد فان: "الصورة السلبية للإسلام"، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٤.

وترى إليزابيث بول أن الخطاب الاستشراقى ما يزال حاضراً بقوة فى اللغة الإعلامية البريطانية، عندما تتعرض للإسلام والمسلمين وقضاياهم، ومعنى ذلك أن مجموعة واسعة من المواقف المسبقة تجاه المسلمين وثقافتهم هى التى تؤسس للعقلية الجماعية للجمهور البريطانى، حين يكون الإسلام أو أتباعه هم موضع الحديث أو البحث. ويكرس الخطاب الاستشراقى أفهاماً عمومية عن سكان العالم الإسلامى، سواء من ناحية حياتهم الاجتماعية (القمع الأبوى والسلطوى!)، أو طبيعة العلاقات بين الرجل والمرأة (تحكم الرجل بالمرأة وتعدد الزوجات!)، أو طبيعة الحكم السياسى (الاستبداد الشرقى!)، أو عدم توائم الإسلام والمسلمين مع المفاهيم السياسية والثقافية الحديثة (كالديمقراطية وحقوق الإنسان!).

وفى الواقع ترجع هذه المشاكل إلى عدة عوامل هى^(١):

١ - التحيز الذى يغذيه الصحفيون كأعضاء فى المجتمع، ويوجهونه نحو المسلمين، فلا شك أن تغطيتهم ستأثر سلباً فى هذه الحالة، فهم يميلون لتقديم الأخبار بطريقة تتماشى مع آرائهم الخاصة ومعايير وقيم الجماعة التى ينتمون إليها.

٢ - قيمة الأخبار تنبع من مدى اختلاف الرسالة الإخبارية عما هو سائد فى المجتمع، أى من غرابتها؛ للفت الاهتمام والإثارة، ولهذا يميل الصحفيون إلى التركيز على ما هو غريب وسمى، ويركزون على الاختلافات بين الإسلام والمسيحية والمجتمع الغربى.

وقد تعرضت إليزابيث بول لمسألة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) والإعلام، وكيف يتم تضخيمها والنفع فيها، فالمشكلة هنا تكمن فى أن الإعلام يبحث عن الإثارة ويتابعها، ويبحث فى أدق تفاصيل القصص المتعلقة بها، ويؤدى هذا - عادة وفى خضم التنافس للحصول على الخبر المثير - إلى انحدار فى المعايير المهنية، ومستوى التحرى والتدقيق، مما يضخم من الأخبار الهامشية، ويعطى أهمية فائقة

(١) انظر: واصف شديب وسجود فان: "الصورة السلبية للإسلام والمسلمين"، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥.

لأفراد وجهات غير ممثلة للتيار الأعرض من المسلمين، لكن النتيجة هي أن أصوات أولئك الأفراد نظراً لتطرفها وأحياناً غرائبيتها، تنتشر انتشاراً كاسحاً، وتكاد توحى بأنها التي تمثل الصوت الأكثر سماعاً في أوساط المسلمين؛ لهذا فإن الإعلام والأصوات المتطرفة في أوساط الجالية المسلمة يتقاسمان المسئولية في إثارة الخوف من الإسلام وتشويه صورته العامة.

٣- عامة المراسلين يفتقدون المعرفة الكافية حول الإسلام، وحجم التنوع الكبير الذي فيه، كما أن ضغط الوقت الذي يعمل في ظله المراسل لا يساعد على فهم تعقيدات التاريخ الإسلامي وواقع المسلمين، وأين يمكن التفريق بين ما يعكس حقيقة الدين وما يعتبر تصرفاً شخصياً لبعض المسلمين.

هذه أبرز أسباب العداء للإسلام والمسلمين، والتي حاول فريد هاليداي حصرها في نوعين: عداء استراتيجي وآخر شعبي، فالأول موجود في الولايات المتحدة، ويرتبط ويتغذى من مسائل مثل: واردات البترول والأسلحة النووية والإرهاب، ويعود تاريخ هذا النوع -بحسبه- إلى السبعينيات كنتيجة لرفع أسعار النفط من قبل منظمة أوبك، والثورة الإيرانية، وأزمة الرهائن الأمريكيين في طهران، وتفجير مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣، والتحليل المتحيز لهذه الأحداث من قبل الصحافة.

أما الثاني الشعبي فقد ظهر كردة فعل، ويتعلق بمسائل تتصل بوجود المسلمين في المجتمعات الأوروبية، مثل: الاستيعاب والدمج العنصري، العرق، الحجاب،... إلخ، وهذا النوع من العداء أصبح منذ الثمانينيات جزءاً من موقف مناهض للمهاجرين في أوروبا الغربية.^(١)

٥- سبل تصحيح الصورة:

بعد أحداث ١١ سبتمبر، ساد اتجاه حكومي ثقافي يطالب بتحسين الصورة؛ جراء

(١) انظر: فريد هاليداي: "الإسلام وخرافة المواجهة"، مرجع سابق.

التشويه الذى وقع على الإسلام والمسلمين والتغطيات المتحيزة ضدهم، والاعتداءات التى وقعت عليهم بالجملة. وفى المقابل رأى آخرون أن مقولات تحسين الصورة لا تجدى نفعاً طارحين تساؤلات مفادها: ممن؟ ولمن؟، فى إشارة إلى عدم جدوى ذلك؛ لأن التشويه مقصود أولاً، ولأن المشكلة لا تحل بعملية تجميل للواقع، وربما ذهب اتجاه ثالث إلى القول: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم). لكن المسألة أكثر تعقيداً من هذا التبسيط المتعجل، فمن حيث المبدأ رأينا فيما سبق التعقيدات التى تلف الموضوع، والتنوع الكبير الذى يكتنف الغرب، فليس من الإنصاف التعامل معه بنظرة بسيطة كلية متجانسة.

ثم إن مسئولية حمل الرسالة الإسلامية تفرض على معتنقيها تنقية صورتها مما علق بها من تشوهات، سواء من الخصوم أم من الأبناء، وكلاهما واقع. وهنا يجب التفريق بين الإسلام بوصفه ديناً منزلاً وبينه بوصفه ثقافة بشرية تتلون بحسب الجغرافية والتاريخ وعوالم الأفكار والعادات، وهذا الخلط هو الذى أوقع فى مساوئ كثيرة، منها: إحالة كل سلوكيات المسلمين إلى الدين نفسه، وتحميله المسئولية كاملة، ومنها أن الخلط بينهما دفع المستشرقين إلى شذمة الإسلام إلى "إسلام آسيوى" وآخر "أوروبى" وثالث "أمريكى" ورابع "عربى".

وأمر آخر تفرضه مصالح الشريعة ونصوصها، من حيث إن الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين تؤول فى نهاية الأمر إلى "الصد عن سبيل الله"، وهذا يوجب -وحده- تحمل المسئولية لمعالجة تلك التشوهات أو المساهمة فى ذلك.

ووفقاً لبيان أسباب العداء الحالى للإسلام والمسلمين كما سبق بيانها، فإنه يمكن تقسيم المقترحات كذلك أيضاً، بحيث تغطى تلك المجالات المتعددة.

ففيما يخص حركات الإسلام السياسى، فلابد من التركيز على التنوع الكبير الذى يحيط بها، وهناك محاولات جادة فى هذا المجال من مثل ما قام به فريد هاليداي^(١)،

(١) فى كتابه "الإسلام والغرب: خرافة المواجهة"، الذى يقدم فيه شهادة على التنوع المدهش للعالم الإسلامى.

وبروس لورانس، الذي يقول : "وفى حين أن لا أحد بإمكانه الإنكار أن بعض المسلمين يقترفون أفعال عنف، سأحاول إظهار كيف أن التنوع في الإسلام تسمح ليس برّد واحد، وإنما بعدد من الاستجابات الإسلامية على العنف^(١).

وثمة أمر شديد الأهمية يجب الالتفات إليه هنا، وهو وضع سياسة قادرة على إخراج الإسلام من الاعتبارات الأمنية في السياسات الغربية تجاه الإسلام، وكذلك في الأنظمة القائمة، وهو أمر بالغ الصعوبة؛ لأن النظر إلى الإسلام باعتباره مشكلة أمنية والتعامل معه على هذا الأساس، يفترض مسبقاً أنه مصدر للمشاكل والخطر، ثم لا يتيح أية إمكانية للتعامل معه خارج تلك الدائرة، وما من شك أن الذي حشر الإسلام في هذه الزاوية الضيقة الحركات التي تمارس العنف باسم الإسلام، وتلك الخطابات العدائية للعالم بأسره، والتي تصور الإسلام على أنه معاد لكل منجزات الفكر المعاصر.

وفيما يخص المسألة الثقافية، فإنه لإشاعة التنوع الفكري الذي يزخر به العالم الإسلامي دوراً كبيراً في التخفيف من حدة تلك الأطروحات الشمولية، التي تزعم نهاية التاريخ أو صراع الحضارات، أو العداء المطلق للحدثة، إلى غير ذلك من المقولات. فالعالم الإسلامي يزخر بتناج فكري كبير حول تلك القضايا، وقدم مقولات تجديدية كثيرة؛ رغبة في الإسهام في العالم المعاصر والاندماج فيه، وإن إشاعة المعرفة بين الغرب بتلك التطورات التي يشهدها الفكر الإسلامي، من شأنها أن تخفف من حدة التوتر، وتقطع الطريق على تلك الأطروحات الصدامية.

أمر آخر يجب الإشارة إليه هنا، وهو مجابهة تلك الأطروحات الصدامية من منظار حقوقى، أى: من منظار الحق في الاختلاف^(٢). صحيح أن كل حضارة تبنى هويتها على قاعدة الاستبعاد، "لكن الذى هو خاص بالغرب ليس الاستبعاد ولا حتى البقاء أعمى تجاه الاستبعاد الذى يمارسه. إن الخاص بالحضارة الغربية فى أفضل ما

(١) بروس لورانس: "تخطيط الأسطورة"، ص ٣٠.

(٢) من الجهود المميزة فى هذا المجال، ما قام به طه عبد الرحمن فى كتابه "الحق الإسلامى فى الاختلاف الفكرى"،

بيروت، المركز الثقافى العربى، ط ١، ٢٠٠٥ م.

عندها هو أنها تريد - بكل نزاهة - أن تقوم أخيراً بالعكس، وهو أن تكون مقتنعة في صميمها بأنها تحتوى أكثر مما تستبعد، وأنها في أحسن الأحوال تقوم بذلك مع احترام الاختلاف^(١). فالمتعين هنا هو إظهار ما يتم استبعاده عمداً، على الشكل الذى قام به إدوارد سعيد مثلاً فيما يخص الاستشراق الذى قام بتعريفه، بوصفه قام لخدمة أهداف كولونيالية وليس علمياً.

ومن هنا يتعين على بعض أشكال الخطاب الإسلامى، التى تميل إلى عدائية مفرطة تجاه الغرب جملة وتفصيلاً، أن ترفع عن ذلك، وتسلك خطاباً نقدياً معرفياً يقوم على فهم واستيعاب الأفكار الغربية، والدخول في حوار نقدي معها؛ حتى يتسنى لنا المضى بمنطق الحق في النقد الإسلامى للأفكار الغربية، وكذلك فيما يخص النقد الإسلامى للمعايير الديمقراطية الليبرالية الغربية، الذى يمثل إعادة طرح مشروعة لأسئلة تتعلق بالإطار السياسى الملائم للمجتمعات الحديثة^(٢).

إن النسبية الثقافية التى تلجأ إلى فهم الأنماط الثقافية والأفكار في سياقاتها الزمانية والمكانية، تفرض التسامح والتفهم للاختلافات، أو حتى الانشقاقات التى تحصل بين الأنماط الثقافية المختلفة. والحق في الاختلاف ينبغي أن يكون عنوان تواصل بين الجماعات، فليس المطلوب من العالم بأسره أن يكون نسخة واحدة مكررة، «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (١١٨) «إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» (هود: ١١٨-١١٩).

أعتقد أن هذه الأفكار من شأنها أن تخفف من حدة التوتر بين الغرب والعالم الإسلامى، ذلك التوتر الذى يحصر العلاقة على الشكل التالى: هيمنة وتفوق من قبل الغرب، ورفض ومقاومة من قبل المسلمين، وفي هذه الحالة يشكل الإسلام "أيديولوجية رفض"، فخروج الطرفين من هذا المنطق التقابلى كفيلاً بتخفيف حدة التوتر.

(١) هنتش: "الشرق المتخيل"، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

(٢) واصف شديد: "الصورة السلبية"، مرجع سابق، ص ٢٥.

أما مسلمو الغرب، فقد أثرت حولهم مشكلات كثيرة، لا يتسع المقام لمعالجتها، لكن طرحت مقولات عدة تخصهم، فعلى مستوى الحكومات الغربية تم طرح مقولة "الدمج والاندماج"، فقد دفعت التساؤلات والتخوفات عن مدى ارتباطهم بوطنهم الأصلي والجماعات الإسلامية فيه، ومدى ولائهم للوطن الذي يعيشون فيه، إلى اتباع سياسة إدماج، في المقابل أدت اختلافات الثقافة والدين وتطورات الحياة الغربية إلى خلق جملة من التحديات أمام المسلم القادم من ثقافة مغايرة، أو الذي يقلد مرجعية من خارج واقعه الذي يعيش فيه، فنشأت مقولة "فقه الأقليات"، وإيجاد مرجعية خاصة لأولئك المسلمين (مجلس الإفتاء الأوروبي) لإيجاد حلول لتلك المشكلات، غير أن هناك ما تجاوز مسألة الأقليات إلى الاندماج، بحيث يكون المرء مسلماً وأوروبياً معاً، على معنى المواطنة^(١).

لكن لا بد من القول: إن ثمة عوائق عالقة تواجه مسلمي الغرب، إذ "إن الواقع يشهد بأن الإسلام الأوروبي واقع فريسة للواقع الأمني من جانب، ولشهوة السيطرة من جانب آخر"^(٢)، إذ يشكل المسلمون في الغرب مسألة أمنية تثير العديد من المخاوف والقلق لدى الحكومات الغربية، وكذلك تمارس بعض الأنظمة في الشرق محاولات للسيطرة على المسلمين في الغرب عبر وسائل مختلفة، الأمر الذي يزيد من تعقيدات الوضع، فضلاً عن المشكلات الداخلية بين المسلمين أنفسهم، والتي لا تعكس صورة إيجابية عن الإسلام^(٣).

إن مسؤولية كبيرة تقع على عاتق مسلمي الغرب في تقديم نموذج صالح للمسلم الفاعل في المجتمع الملتزم بالقيم والآداب، المندمج في محيطه الاجتماعي.

(١) نحو ما نجد لدى طارق رمضان في كتابه "To Be European Muslim" (كأن تكون مسلماً أوروبياً)، وقد عالج جملة من المسائل المتعلقة بالاندماج والولاء والمرجعية في كتابه الآخر: طارق رمضان "مسلمو الغرب ومستقبل الإسلام"، ترجمة: إبراهيم الشهابي، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ط١، ٢٠٠٥م.

(٢) طارق رمضان: "مسلمون ولكن... أوروبيون"، مجلة وجهات نظر، القاهرة، دار الشروق، عدد شباط ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: معتز الخطيب "المسلمون في الغرب: من الاغتراب إلى آفاق المشاركة"، مجلة المنار الجديد، القاهرة، عدد ١٥٥، صيف ٢٠٠١م، ص ٤٤.

وفيما يخص الإرهاب، فإنه يشكل معضلة شديدة التعقيد، أفردت لها كتاباً خاصاً، وبيّنت أنه لا يمكن أن يتوقع أن يخفت صورته دون عمليات إصلاح سياسى وفكرى معاً، يتم من خلاله إزالة أسباب التوتر والاحتقان، وقيام الدولة بوظائفها الأساسية فى صيانة الحقوق وحفظ الدين، بالإضافة إلى تلك الجهود الفكرية التى توفرت على ترصد ملامح فقه العنف وجهّدت فى إزاحة الشرعية عنه.

لكن الجهد الأكبر الذى ينبغى أن يتم التركيز عليه يقع على الإعلام ووسائله، من خلال التواصل المباشر مع المعنيين؛ لأجل صياغة سياسة إعلامية مدروسة للحيلولة دون استمرار تلك التحيزات فى التغطية، ومراقبة وسائل الإعلام والأفكار التى تظهر من خلالها، ومعالجتها بالشكل اللائق بها من خلال توضيح الأخطاء وكشف التحيزات ومخاطبة المعنيين وتزويدهم بالمعرفة اللازمة التى تبين خطأ تصوراتهم، والتواصل مع الأجهزة الإعلامية والقائمين عليها أمر شديد الأهمية لتصحيح الأفكار، وتزويدهم بالمصادر العلمية التى تعينهم على فهم الأفكار والمجتمعات المسلمة، حتى إن لزم الأمر باللجوء إلى القضاء لإيقاف تلك التغطيات المتحيزة أو المجترأة. ولا بد من وضع الإعلاميين أمام مسئوليتهم فى استمرار تلك الصور النمطية، التى تنزع إلى المثير والغريب، وتلجأ إلى التعميم والتنميط.

الأمر الذى لا يمكن إغفاله أيضاً هو ضرورة توفير المعرفة المعاصرة، والدراسات الدقيقة عن واقع المسلمين وتاريخهم وعلاقاتهم بالآخرين، وإبراز التطورات التى حدثت فى عالمهم، ومدى التنوع الذى يكتنف عالمهم؛ وذلك من أجل وضع حد لتنميطهم بصور بسيطة وعامة. "فالازدهار فى الدراسات العلمية عن التاريخ الإسلامى سيتغلب فى النهاية على الخوف والجهل، وقد يقودنا -مسلمى الشرق وغير مسلمى الغرب- إلى مستقبل خير مشترك"^(١).

(١) فرد دونر: "انتماءات الكتابة الغربية"، ص ٢٤٤.

الخاتمة:

إن المهمة صعبة، والحلول أشبه بالآمال، ولا بد من الإقرار في الختام بأن أماننا ثلاثة عوامل جعلت من تفهم العرب والإسلام -حتى في أبسط الصور الممكنة- مسألة مشبعة بالدلالات السياسية العالية النبرة، أما العامل الأول، فهو: تاريخ التعصب الشائع في الغرب ضد العرب والإسلام، وهو الذي يتجلى مباشرة في تاريخ الاستشراق. والعامل الثاني هو: الصراع بين العرب والصهيونية الإسرائيلية. والعامل الثالث هو: الانعدام شبه التام لأي موقف ثقافي يتيح للفرد التعاطف مع العرب أو الإسلام، أو مناقشة أي منهما مناقشة غير انفعالية.^(١)

إلا أن نمة عاملاً إيجابياً في النفق المظلم، وهو: أن علاقات شرق-غرب لم تعد تدور منذ أمد بعيد على الصعيد الديني^(٢)، ومن هنا فإن إبراز العوامل غير الدينية وتحديدًا الثقافية، والفصل بينها وبين الدين، من شأنه أن يقرب الهوية بين الطرفين، خاصة إذا ما ضُمَّ إلى ذلك التأثير في وسائل الإعلام؛ لإعادة إنتاج الصورة ليس كما يريده الخيال أو الموروث، بل كما يفرضه الواقع المتنوع.

بقي القول: إن هذه الآمال والأفكار لا يحملها أفراد، بل تقوم بها مؤسسات ومراكز دراسات، وجهود ضخمة؛ حتى يكون لها الأثر المرجو في مستويات متعددة. وأرجو ألا يقف الأمر عند حدود الآمال والتوصيات فقط، فالتوصيات إن لم تنهض بها أيد قادرة، وجهود توازي حجم التحديات، ورجال أكفاء يستجيبون لداعي الواجب العلمي والديني، لن يتغير من الواقع شيء، وإن الأمور إذا ما تركت سُدى فسنبقى نلعن الظلام دون أن نوقد ولو شمعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) إدوارد سعيد: "الاستشراق"، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) هنتش: "الشرق المتخيل"، مرجع سابق، ص ٣٣٥.

كراهية الإسلام وتحديات ومواجهات

د / محمد يشارى (*)

بين تأمل الآية الكريمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، والحديث عن كراهية الإسلام في العصر الراهن، يتبين لنا بأن هناك أمور غير طبيعية في هذا العالم؛ لأنه من ناحية منطقية بالدرجة الأولى، وليست فقهية أو شرعية، لا يعقل أن يكون دين أرسل نبيه الكريم ﷺ رحمة للعالمين، وبين تصاعد أصوات غريبة تدعو للكراهية أو تحض على قمع المسلمين والتضييق عليهم.

وبصفتي مسلماً مقيماً في الغرب، وبصفتكم متبعون لأوضاع المسلمين في الدول الغربية عبر القنوات الإعلامية، فلا شك أنكم تطلعون بين الفينة والأخرى على أخبار تعكس المشاكل والتحديات التي تعيشها الأقليات الإسلامية في الدول الغربية، وأن العديد من من هذه المشاكل ترتبط بعنوان هذه المداخلة، أي: كراهية الإسلام والمسلمين.

نماذج من الكراهية:

لا شك كذلك أنكم تتبعتم أصداء الرسوم الكاريكاتورية السيئة التي صدرت عن صحيفة دانماركية، وحتى تظهر بعض تجليات خطورة الموجة، فإننا نكتفى في هذه المداخلة بالاستشهاد ببيان صادر على هامش ردود المسلمين في العالم على الرسوم.

وتكمن أهمية البيان أنه يتجاوز السقف المعرفي لأيدولوجية الجريدة الدانماركية، بل يمتد إلى سقف أعلى، حيث أننا نجد مفكرين وباحثين ومسلمين وأجانب يجمع بينهم تبني خطاب الكراهية تجاه المسلمين بالنسبة للموقعين الغربيين، والتنكر للهوية الإسلامية بالنسبة للموقعين المسلمين.

جاء هذا البيان تحت عنوان "لتواجه معاً الشمولية الجديدة"، وقد تجرأ الموقعون عليه بأن تحدثوا عن ضرورة ما وصفوه بسقوط عالم اليوم، تحت تهديد نظام شمولي

(*) رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا، وأمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي.

جديد هو الإسلام، وذلك بعد التغلب على الفاشية والنازية والاستالينية، مطلبين بمقاومة الشمولية الدينية وترقية الحرية والمساواة في الحظوظ وكذا اللائكية لجميع الناس، على اعتبار أن الأحداث التي تلت نشر أوروبا للرسوم الكاريكاتورية أظهرت ضرورة المقاومة من أجل هذه القيم العالمية، وأن هذه المعركة لا يمكن الظفر بها عن طريق الأسلحة، ولكن علينا أن نسك طريق الأيديولوجيا.

ويضيف البيان الخطير أنه "مثل جميع الأنظمة الشمولية، يتغذى الإسلام بالخوف والغضب، ويرهن دعاة الكراهية على العواطف من أجل إنشاء كائنات بغرض خلق عالم قائم على خنق الحريات وعدم المساواة، والإسلام يعتبر أيديولوجية رجعية أينما حلت، تقل المساواة والحرية واللائكية، ونحن نرفض التخلي عن روحنا النقدية؛ خوفاً من اتهامنا بـ "رهاب الإسلام/ إسلاموفوبيا"، وهو مفهوم مؤسف يخلط بين نقد الإسلام وبين التعيب على أتباعه".

وقد وقع على البيان الأسماء التالية: يعان حرزى على (من أصل صومالي)، عضو البرلمان الهولندي، وكاتبة فيلم "الخضوع" الذي أخرجه نيو فان غوخ، وشهلة شفيق (كاتبة إيرانية مقيمة بفرنسا)، من مؤلفاتها كتاب "الرجل الإسلامى الجديد"، وكارولين فوريس (قاصة ومستولة النشر لمجلة بروشوا المهتمة بالدفاع عن الحريات وضد الحركات الإسلامية، وبرنارد هنرى ليفى (مفكر فرنسى)، وإرشاد مانجى (كاتبة إيرانية صاحبة كتاب "مسلمة ولكن حرة"، ومهدى مظفرى (أستاذ إيراني مغترب بالداغمارك، ومريم نمازى (كاتبة ومنتجة فى التلفزة البريطانية الدولية ومديرة العلاقات الدولية بحزب العمال الاشتراكي فى إيران)، وتسليمة نسرین (كاتبة من البنغلاديش)، وسلمان رشدى (صاحب آيات شيطانية)، وأنطوان سفير (كاتب لبناني ذو جنسية فرنسية)، وفيليب فال (مدير نشر أسبوعية "شارلى إيبندو" التي أعادت نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي ﷺ، وبين وراق (كاتب وباحث بالمعهد الأمريكى، له مؤلفات منها: "أصول القرآن"، و"لماذا لست مسلماً").

إن اعتبار الموقعين على البيان فهوم "إسلاموفوبيا"، وهى كلمة يقصد بها "الرهاب الإسلامى" كمصطلح لمعنى الخوف من الإسلام، بأنه يخلط بين نقد الإسلام

وبين نقد أتباعه، يبرز أيضاً ذهنية الفكر المحرض على الكراهية والعنف والقمع، ومن المؤكد أن الفعل أو الممارسة التي تتأسس على العنف والقمع تؤسس في المقابل لعنف مضاد وعنف مضاد، لأن هذه هي سنة الحياة.

ونتوقف عند مثال ثانى، ويتعلق بمؤشر الإسلاموفوبيا فى القارة الأوروبية، وقبل أن نتوقف عند تأكيدات آخر تقرير أوروبى يرصد الظاهرة، والذى أصدره المركز الأوروبى لمراقبة التمييز ومعاداة الأجانب، لابد لنا من دحض تحقير الموقعين على البيان من وزن مفردة الإسلاموفوبيا، وذلك بناء على اعترافات أوروبية، وليست إسلامية أو عربية؛ اعتماداً على ما أكدنا عليه فى كتاب لنا صدر منذ سنوات وهو كتاب "صورة الإسلام فى الإعلام الغربى"^(١)، حيث أكدنا على أن المفردة دخلت قاموس السياسة الأوروبية مباشرة بعد صدور بحث هام عبارة عن دراسة استطلاعية قامت بها مؤسسة "رنيميد ترست"^(٢)، وقد اعتبرت الدراسة أول عمل استطلاعى ميدانى تقوم به مؤسسة مستقلة تبحث أوضاع المسلمين فى بريطانيا، واستعرضت الدراسة وجهات نظر مختلفة وتضعها فى سياق النقاش الحاصل بين المسلمين وغيرهم، وتستنتج فى النهاية مجموع وخلاصات اجتماعية وقانونية تساعد فى بناء جسور التفاهم بين المجموعات الدينية فى بريطانيا، وتضمنت لجنة التحقيق فى كلا من مطران لندن ريتشارد تشارتز والحاخام جوليا نوبيرغر والبروفيسور أكبر أحمد أستاذ علم الإنسان فى جامعة كامبريدج، والمفكر الإسلامى المرحوم زكى بدوى، وهو العميد السابق للجامعة الإسلامية بلندن، الدكتور ريتشارد ستون رئيس المجلس اليهودى للمساواة العرقية، وإيان هارغريفيس رئيس تحرير صحيفة نيو ستيمان.

وقد أكدت الدراسة^(٣) على أنه فى العشرين سنة الماضية، صارت الإسلاموفوبيا أكثر وضوحاً وتطرفاً وخطورة فى بريطانيا، وأن إثارة الدخول من الإسلام أحياناً

(١) صورة الإسلام فى الإعلام الغربى، محمد بشاري، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٤م.

(2) Islamophobia its features and dangers. Commission on British Muslims and Islamophobia. The Runnymede trust. february 1997.

(٢) نشرت جريدة الإندبندنت البريطانية ملخصاً لتائجها فى عددها الصادر يوم ٢١ فبراير ١٩٩٧م.

تكون صارخة، وكثيراً ما تكون مبطنة وخبيثة، وهي جزء من الحياة اليومية لبريطانيا الحديثة، مشبهة إياها بحالة العداء للسامية التي كانت سائدة في بداية القرن الحالى، وأضاف الدراسة أن انتشار مشاعر العداء للمسلمين من شأنه أن يسكت الأصوات المعتدلة فى أوساط الجاليات الإسلامية، ويعزز التطرف والعداء للثقافة الغربية بين أبنائها.

بعد مرور حوالى عشر سنوات على صدور تقرير مؤسسة رينميد ترست، جاء المركز الأوروبي لمراقبة التمييز ومعاداة الأجانب^(١)، ليؤكد ويزكى ما جاء فى التقرير الأول، حيث توصت نتائج دراسته الجيدة، وتأتى خمس نوات بعد تاريخ ١١ أيلول سبتمبر ٢٠٠١، أن مسلمى أوروبا يتعرضون لتمييز طائفى مستوطن، فى التعليم والإسكان والوظائف، بخلاف تعرضهم للاعتداءات، وهو ما يمكن أن يعزلهم عن التيار الأساسى للبلاد، وإن يكن المسلمون أقرؤ أيضاً بأن عليهم بذل مزيد من الجهد للتواصل مع المجتمع. وجاء التقرير تحت عنوان "المسلمون فى الاتحاد الأوروبى" فى ١١٥ صفحة، ويتضمن لقاءات مع شبان مسلمين يصفون تجربتهم فى التهميش داخل مجتمعاتهم حتى لو كانوا ولدوا فى أوطانهم.

وقالت هولندية مسلمة: إن السؤال الذى سألته كثيراً هو: متى ستعودين، وأقول: ولدت فى روتردام فإلى أين أذهب؟ إنه حقاً سؤال مؤلم ويجعلك تشعر بأنك أجنبى، عليك أن تقبل بأنك أجنبى عند نقطة ما.^(٢)

جاء التقرير فى ثلاثة أقسام هى: "البيئة الاجتماعية، وتحليلات الخوف من

(١) جاء التقرير تحت العنوان التالى:

Muslims in the European Union. Discrimination and Islamophobia. EUMC2006.

المسلمون فى الاتحاد الأوروبى: التمييز والخوف من الإسلام "تقرير عن وضع المسلمين فى الاتحاد الأوروبى" أصدره المركز الأوروبى لمراقبة العنصرية وكرامية الأجانب، الذى تأسس فى عام ١٩٩٨م بقرار من مجلس الاتحاد الأوروبى الوزاري، وستوسع صلاحياته فى ٢٠٠٧ ليصبح "وكالة الاتحاد الأوروبى للحقوق الأساسية". (٢) يعيش فى الاتحاد الأوروبى ١٥ مليون مسلم، أى ما نسبته ٥,٣٪ من سكان الدول الأعضاء فى الاتحاد ويشكلون المرتبة الثانية بين الطوائف الدينية، ومن بينهم ستة ملايين فى فرنسا، وثلاثة ملايين فى ألمانيا، و٦,١ مليون فى بريطانيا، ومليون فى إسبانيا، ومليون فى هولندا.

الإسلام، وتشجيع الدمج، مقاومة الخوف من الإسلام"، ويتتبع باستنتاجات وآراء بخصوص إطار عام لخطوات ضد العنصرية والخوف من الأجانب ومعاداة السامية، والخوف من الإسلام وغيرها من أنواع التعصب، وبالإضافة إلى ذلك يوجد ملحق عن "الشبكة الأوروبية للعنصرية والخوف من الأجانب" المشكلة ٢٥ بؤرة وطنية منوط بها مهمة تزويد المركز بالمعلومات ذات العلاقة، وقد توصل المركز في تقصيه إلى مجموعة من الحقائق بخصوص وضع المسلمين في الاتحاد الأوروبي، تؤثر سلباً في وضعهم، أهمها:

✽ المسلمون عادة ما يكونون ضحايا النمطية السلبية التي يقوّيها اختيار الإعلام نشر أخبار سيئة عنهم، وهم أيضاً عرضة لأشكال الأحكام المسبقة والكرهية المختلفة، بدءاً من التهديدات اللفظية، وانتهاء بالاعتداءات الجسدية.

✽ المسلمون -والشيبة منهم على نحو خاص- يلقون فرصاً جد محدودة للتطور الاجتماعي، مما يؤدي إلى الإقصاء والتمييز وفقدان الأمل والانسلاخ.

✽ وضحت الإحصاءات أن المسلمين ممثلون على نحو سلبي في مناطق السكن الفقيرة، بينما يقع تحصيلهم المدرسي دون المعدل، ومقدار البطالة بينهم أعلى من المعدل، والمسلمون عادة ما يستخدمون في الوظائف التي تتطلب قدرات دنيا، وهم مجموعة ممثلون على نحو سلبي في القطاعات ذات الدخل المتدني، ولاحظ التقرير غياب أية أبحاث وطنية عن الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا" والتمييز، مما دفعه إلى إجراء تقصّ خاص به، فتبين أن المسلمين أكثر عرضة للتمييز بسبب دينهم في دول محددة، مثل إسبانيا وإيطاليا وهولندا والبرتغال، كما رآهم يعانون في دول أخرى مثل النمسا وبلجيكا وألمانيا واليونان وفرنسا وأيرلندا الأمر ذاته، ولكن ليس بسبب الدين وحده.^(١)

بالنسبة لتجليات الخوف من الإسلام، فقد لاحظ التقرير غياب تعريف جامع

(١) نشرت قراءات في التقرير المهم، ومنها قراءة أنجزتها زياد مني علي موقع إسلام أون لاين بتاريخ ٢٠٠٧/١/٣٠م.

للخوف من الإسلام، ما يعنى غياب تشريعات قانونية لمحاربتة، كما سجل أنه منذ تاريخ ١١/٩/٢٠٠١ أضحت مجموعات محددة من البشر -ومنهم العرب والمسلمون- أكثر عرضة للعنصرية والتمييز فى مجالات حياتية كثيرة، بما فى ذلك التعليم والتوظيف والإسكان والحصول على الخدمات، والتمتع بالمواد الاستهلاكية والأمنكة العامة وحرية التحرك^(١)، وشدد التقرير على ضرورة تمييز مواقف ضد المسلمين نابعة من تصورات غمطية، والنقد الذى يرى أن مسلمة إسلامية تهدد حقوقاً مدنية رئيسية قد تصطدم ببع التصورات عن الواجبات الدينية للأفراد أو الجماعات، وعن تجليات ظاهرة الإسلاموفوبيا، فقد تم التوقف عند الخلاصات التالية:

* تبقى وحدة الإسلام متراسة جامدة وغير قابلة للتغيير.

* يبقى الإسلام منفصل ولا يشارك فى قيم حضارات أخرى، ولا يتأثر بها ولا يؤثر فيها.

* يبقى الإسلام أدنى من الغرب، بربرى وغير منطقى وبدائى وقائم على التمييز على أساس الجنس.

* الإسلام عنيف وعدوانى وتهديدى وداعم للإرهاب ومتورط فى صراع الحضارات.

* الإسلام فكر سياسى يستخدم لتحقيق ميزات سياسية أو عسكرية.

* العداوة للإسلام تسوغ الممارسات العنصرية تجاه المسلمين واستثناء من المجتمع العام.

أسباب الكراهية:

لتحديد أهم أسباب الكراهية، علينا الاعتراف أولاً بأنها متداخلة ما بين عوامل خارجية، وسوف نتوقف عند اعترافات منها كما جاءت فى التقرير الأول الخاص بظاهرة الإسلاموفوبيا، وبين عوامل داخلية خاصة بالمسلمين.

(١) تفاقم المشاعر المعادية للعرب والمسلمين فى الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية فى أعقاب الهجمات على مبنى وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" فى واشنطن، ومركز التجارة العالمى فى نيويورك فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث تعرضت مساجد ومراكز إسلامية إلى اعتداءات وإطلاق نار، وهوجم المسلمون وتعرضوا لتهديدات بالقتل. وقد أسهم عدد من وسائل الإعلام الأمريكية والغربية فى توليد مشاعر الكراهية هذه بسبب إصرارها على اتهام العرب والمسلمين بتنفيذ هذه الهجمات.

إنه لا بد لنا من التنبيه إلى مسئولية المسلمين فى الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين فى الذهنية الغربية، وهناك مجموعة من الأمثلة المعاصرة التى نتحمل فيها هذه المسئولية، ومنها: التفجيرات الإرهابية التى تورطت فيها عناصر من المسلمين، كالتفجيرات التى ضربت بعض الدول الغربية، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وإسبانيا، وإذا كانت بعض الأصوات الإسلامية قد تنتقد الرواية الرسمية للتفجيرات التى ضربت الولايات المتحدة الأمريكية، فإن هذه القراءات لا يجب أن تحجب عنها تفجيرات أخرى تؤكد فيها أن المتسببين فيها هم مسلمون، وإن مثل هذه التفجيرات وغيرها من الأحداث التى تسهم بشكل مباشر فى تشويه صورة المسلمين من جهة، وتساهم من جهة ثانية فى تغذية ذهنية الكراهية تجاه الإسلام والمسلمين.

إن توقفنا عند هذه العوامل يحتم علينا ممارسة نقداً ذاتياً، قبل أن نفتح الحوار مع الآخر، وإن محاوره الغرب فى ندوات الحوار، انطلاقاً من اتفاق مبدئى بيننا وبينهم على ممارسة النقد الذاتى تعتبر أهم أسباب نجاح مؤتمرات الحوار.

بعد أن توقفنا عند العوامل الذاتية الخاصة بالمسلمين، نأتى إلى العوامل الخارجية، ويمكن أن نذكر منها نتائج الحروب الصليبية على سبيل المثال، ومنها أيضاً تأثير بعض وسائل الإعلام، وخاصة الإعلام الموالى لأيديولوجيات عنصرية.

يتحدث باحث غربى عن ثلاثة أسباب تقف وراء الصور السلبية للإسلام فى وسائل الإعلام الغربية: التجربة فى ظل الاستعمار، حين أبدت الشعوب لمسلمة مقاومة أشد فى مواجهة الاستعمار الغربى بالمقارنة مع الكثير من الشعوب الأخرى التى استعمرت، والنزاع بين الفلسطينيين وإسرائيل، وذلك بسبب تعبير العالم الإسلامى عن تضامنه مع الفلسطينيين، ولديه مخاوف فى شأن مصير القدس، وأضاف الباحث أن الانطباع ترسيخ فى أذهان كثيرة فى الغرب بأن هناك شيئاً ما فى الإسلام مناهضاً لليهود أو مناهضاً للسامية على نحو مرضى.^(١)

أما الباحثة الفرنسية جوسلين سيزارى، فقد أشارت على الخصوص فى كتابها "من يخاف الإسلام (FAUT IL AVIOR PEUR DO L'ISLAM?) إلى التنافر

(١) جريدة الحياة اللندنية ١٤/١١/١٩٩٩.

والتنافس التاريخيان بين الإسلام والمسيحية، فإذا كانت القيم التي جاء به الإسلام تماثل القيم التي جاءت بها الأديان التوحيدية الأخرى، حسب سيزارى، فملا بالرغم من ذلك يبدو الإسلام وكأنه فى صورة الدين المتعارض تعارضاً جذرياً مع القيم اليهودية المسيحية والمحارب لها.

هذا يدعونا إذن إلى البحث عن أسباب هذه الرؤية فى تاريخ المواجهات التى قامت بين أوروبا والعالم الإسلامى، والتى كان الفضاء المتوسطى منذ العصور الأولى هو إطارها الرئيسى، إن ما نعتقد أننا نعرفه عن الإسلام، تضيف سيزارى، هو فى قسم عظيم منه، نتاج رؤية أوروبية مركزية، جادت نتيجة قرون من التعارض السياسى والدينى، ولذلك صار واقع المسلمين المتحول والمفارق، سواء ما تعلق بواقع سلوكهم الأكثر خصوصية، أو الجوانب الأكثر جماعية من سلوكياتهم، وقد اختفت تحت ثقل التمثيلات المفككة على مر القرون، وترى سيزارى أن البعد الدينى سوف يبرز فى أسبانيا المسلمة، وهناك نشأت رؤية الإسلام تجعله نقيضاً للمسيحية، وبذلك حطم ذلك الأساس الذى تشترك فيه الأديان الثلاثة تحطيماً متعمداً، لتحل محله رؤية تزج بالآخر فى غيرية، لا فكاك له منها، وتلقى به إلى هوامش الحضارة، أيأن هم المسلمون لا يمكن أن يكونوا أبناء لإبراهيم، كما هم المسيحيون، بالرغم من أن التباين مع دين الإسلام قد شيد قياساً على صورة المسيح.

وهناك طرح آخر يرى بأن تنامى ذهنية الإسلاموفوبيا فى البلاد الغربية وزرع هذا الخوف فى نفوس الغربيين هو هدف بحد ذاته، حيث استخدمت لتحقيقه وسائل كثيرة ومتنوعة، إعلامية وثقافية واقتصادية وسياسية... إلخ، بل إن إقناع العرب والمسلمين بوجود هذه الظاهرة وانتشارها هو وجه آخر للهدف الأساس، أى: تصوير الإسلام على أنه العدو الذى تجب محاربته والخوف منه، فصناعة العدو حاجة أساسية وأسلوب مهم من الأساليب التى تستخدمها الدول القوية للسيطرة على الشعوب والبلاد، إنها صناعة بكل معانى الكلمة، لها مواردها الخام وآلاتها وزسواقتها وصناعتها ومروجوها والمتاجرون بها، وهى صناعة أثبتت أنها رابحة وفق مقاييس المصالح الأنانية لمجموعة من الناس، استطاعوا السيطرة على الدول القوية وشعوبها

بطرق عديدة، وهم لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة، حتى لو أدى تحقيقها إلى إشعال حروب وفتن وقلقل قد تؤدي إلى فناء البشرية برمتها.^(١)

وهناك مفكرون غربيون يؤكدون هذا الطرح في مقالات كتبوها، يحذرون فيها من خطورة هذا الذي يحدث في العالم، فهذا بول آر دون يعلق على استخدام الرئيس الأمريكي لوصف "الفاشية الإسلامية"، قائلاً: "إنها الكلمة السحرية الحالية للمحافظين الجدد الذين حرصوا لحرب العراق، مروّجوها يريدون تأسيس تكافؤ أخلاقي بين ديمقراطيات الحرب العالمية الثانية من ناحية والشر الفاشستي من الناحية الأخرى، إنهم يريدون أن يُنظر إلى الموقف الأمريكي في العراق كمعارض للشر المعاصر للفاشية الإسلامية. استعمال العبارة يدعى رهاب الإسلام "إسلاموفوبيا"، صممت لتشويه سمعة معظم العالم الإسلامي، ولعل المتابع لما يجري اليوم في العالم، يشعر بأن ما يسمونه بالإسلاموفوبيا ليست نتيجة لعلاقات وتفاعلات بين الغرب والإسلام وحسب، وليست نتيجة لسياسات مخططة حديثاً بهدف تحقيق المصالح الأتانية، بل هي نتاج أفكار سيطرت ومازالت تسيطر على العالم الغربي اعتمدت على نظريات ترسخت في عمق اللاوعي الغربي، برر من خلالها الساسة أفعالهم، وبرر من خلالها المستعمرون استغلالهم واستعمارهم، وسيطروا بها على شعوبهم وعلى الشعوب المستغلة، التي استلبت وأقرت هي الأخرى بالتفوق الغربي، حتى كأنه حقيقة واقعة لا مجال لنقضها، لأنها مؤكدة علمياً وتاريخياً وعقلياً.

ونتوقف عند ما جاء في تقرير مؤسسة رنيميد ترست، والذي تحدث عما وصفه بالموبقات السبع التي تساهم في تكريس مفهوم الإسلاموفوبيا، ولو أن التقرير يتحدث عن الحالة البريطانية، إلا أنها تصلح كذلك لأن تنطبق عن الحالات الغربية بشكل عام.^(٢)

(١) صناعة العدو، رغداء محمد أديب زيدان، مقال منشور على الموقع:

<http://www.odabasham.net/show.php?sidd=9464>

(٢) بالنسبة للحالة الفرنسية، يمكن مراجعة كتاب مهم للباحث الجزائري الصادق رابحن، وقد اعتمدنا عليه في دراسة أهم معالم صورة الإسلام في وسائل الإعلام الفرنسية، في كتاب "صورة الإسلام في الإعلام الغربي"، وهو كتاب الصادق هو "الإسلام في الخطاب الإعلامي".

وعموماً نورد أهم أسباب التخويف من الإسلام كما صورتها وسائل الإعلام الأوروبي، ونختصر مجمل هذه العوامل في النقاط التالية:

١- الخطر الذي يمكن أن يجسده العالم الإسلامي في حالة تملك أسلحة نووية، ويبرز هذا مع باكستان، أو إيران، أو العراق.

٢- انهيار الأيديولوجية الشيوعية وتحول الصراع إلى صراع حضارات.

٣- المواجهة التاريخية بين العالم الإسلامي والدول الأوروبية لفترات طويلة، والتي يصطلح عليها بالحروب الصليبية، إضافة إلى أنها تصاعدت في العشرين عاماً الأخيرة، خاصة بعد أزمة البترول في السبعينات لتساهم في استفحال أحكام سيئة مسبقة عن الإعلام.

٤- ظهور تيارات في أوروبا تدعو لتخصيص فرص العمل لأبناء الوطن وحدهم، والخوف من مزاحمة المهاجرين المسلمين بهدف البحث عن فرصة العمل كما يدعى جان ماري لويين تيس حزب الجبهة الوطنية في فرنسا.

٥- انتشار الثقافة الإسلامية إلى حد أنها أصبحت ظاهرة مميزة لأفقر أحياء المدن الغربية، وخاصة في الضواحي حيث تقطن الأقليات المسلمة، ويتم وصف هذه الظاهرة في وسائل الإعلام الأوروبية، بتسلل العدو القديم من الباب الخلفي.

٦- تأييد وسائل الإعلام الغربية لإسرائيل، مما أدى إلى التعامل مع النظام الذي يمس القضايا العربية والإسلامية، مثل: الكفاح الفلسطيني على أنه نضال ذو طابع إرهابي، ولا تخرج وسائل الإعلام الغربية عن الأحكام المشوشة للعديد من الأكاديميين الغربيين، تلصق صفة الإرهاب على الإسلام، ويوجد على رأس هؤلاء المستشرق الأمريكي برنارد لويس.

٧- مخلفات عملية اختطاف عملية الرهائن في لبنان وإيران، والاعتقالات التي تعرض لها مواطنون غربيين في مصر والجزائر.

٨- وأخيراً، تجليات التفجيرات الإرهابية التي تورطت فيها عناصر إسلامية، وخاصة بعد تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

بدائل أهام الإسلام والغرب:

بعد استعراضنا لأهم معالم كراهية الإسلام والمسلمين في القضاء الغربي، ومن أجل استعراض بعض الاقتراحات، نرى أهم البدائل المقترحة والكفيلة بالحد من ظاهرة، لابد أن تكون مرتبطة بالأسباب التي تحدثنا عنها سابقاً، وأول هذه الأسباب: الكراهية، ولو أن الهدف الأسمى يبقى في التأسيس لنقد ذاتي من كلا الطرفين: الإسلام والغربي، نحن والآخر، أو ما يسمى بتعبير أهل الاستشراق الشرق والغرب.

وبناء على خلاصات رئيسية توصلنا إليها في دراسة لنا حول طبيعة صورة الإسلام في الذهنية الغربية، سوف نستشهد ببعض وأهم هذه الخلاصات، حيث أكدنا على أن مواجهة الكتابات والأفلام والبرامج وكافة الرسائل التي تسيء إلى الإسلام والمسلمين اليوم بحاجة إلى عمل مؤسسي منظم بدلاً من الجهود الفردية الراهنية، سواء في مجال رصد ما ينشر أو يذاع عن الإسلام والمسلمين، أم في مجال مواجهة ما ينشر في مختلف القنوات الإعلامية الغربية، على اعتبار أن الجهود الفردية تظل غير قادرة على تفعيل آليات المواجهة والرد والتصحيح، ومن بين أهم الخطوات في هذه الاستراتيجية ما يلي:

* دعم العلاقة بين المراسد الإسلامية وبين ممثلي الأقلية المسلمة في مختلف دول العالم، بما يتيح لأفراد هذه الأقليات الاتصال بالمراسد وإبلاغها بأية معلومات يمكن الحصول عليها بهذا الشأن.

* تكثيف الاتصال بوسائل الإعلام الغربية ومراكز البحوث والجامعات في الدول غير الإسلامية؛ لتصويب ما يصدر عنها بشأن الإسلام والمسلمين.

* فتح أبواب الحوار مع مراكز التأثير في صناعة القرار والرأي العام في الدول الغربية، وكذلك مراكز البحوث والدوائر الأكاديمية ووسائل الإعلام العالمية.

* التحرك السريع لمواجهة المواد الإعلامية المسيئة للإسلام بالتنسيق مع الهيئات والمنظمات المعنية.

❖ الاستعانة بخبراء العلاقات العامة والإعلان عن الأكاديميين في الجامعات والمعاهد ومن العاملين في المجال التطبيقي لعقد اجتماعات متخصصة لكيفية تفعيل الحملات الخاصة بالعلاقات العامة والإعلان.

❖ مخاطبة المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية في وضع برامج ضمن خريطتها لكيفية تفعيل تصحيح صورة الإسلام في الذهنية الغربية.

❖ تكثيف التواصل مع الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في الغرب التي لها تعاطف مع الإسلام والمسلمين.

كما تعمدنا التنبيه إلى أهم هذه التوصيات، وتعلو على جميع ما سبق، وهي الاجتهاد في ترجمة هذه التوصيات إلى الواقع، وذلك من خلال بنى رؤى منهجية وإجرائية تقوم على إعطاء الأولوية لتوصيات معينة على باقى التوصيات فيما يتعلق بالتطبيق، فلا يعقل أن تظل الفعاليات الإسلامية، ومعها تمثيلات الأقلية المسلمة في الدول الغربية تجتمع لدراسة أوضاع القضايا الإسلامية، ومنها قضية صور الإسلام والمسلمين ووسائل الإعلام الغربية، ثم تنتهى هذه الاجتماعات بإصدار التوصيات، والتي قد تتكرر فى ملتقى آخر مع نفس المدعويين من أجل مناقشة نفس الموضوع، دون أن نكون قد حققنا أى تقدم فى مجال تطبيق التوصيات السابقة.

إننا لا ننكر حسن نوايا المجتمعين والمسؤولين، خاصة وأن القضية لا تهم مجموعة معينة أو بلد منعزل، وإنما تتعلق بالإسلام كدين وتاريخ وحضارة، وترتبط كذلك بواقع المسلمين اليوم، وخاصة مع التحديات الحضارية التي نواجهها، ولكن أن نساهم فى تحسين صورة الإسلام والمسلمين، وهذه خطوة تمتد لأجيال وتتطلب تغيير عقليات، ولن يتم من خلال التوفر على حسن النوايا.

نختم هذه المداخللة بشهادة من أهلها، وهى للدبلوماسى البريطانى كيم هويلز^(١)،

(١) مداخلة كيم هويلز، الوزير فى وزارة الخارجية البريطانية، ألقاها فى ويلتون بارك خلال مؤتمر تحدى القومية فى كل من أوروبا والعالم الإسلامى: العمل معاً لأجل سياسات وشرائط بناءة الذى عقد فى ٢ أيار مايو ٢٠٠٦م.

وانطلق فيها من استطلاع أجرى في أسبانيا، وهي بلد تمتد فيه جذور الإسلام عميقاً، وأظهر بأن ٩٠ بالمائة ن الإسبان يؤمنون بأن الدول الإسلامية هي دول "سلطوية"، و٩٦ بالمائة وصفوا الدول الإسلامية بأنها "تفتخر وتباهي بالذكورة"، و٧٩ بالمائة وصفوها بأنها "غير متسامحة"، و٦٨ بالمائة وصفوها بأنها دول "تعتنق العنف".

وقد استنتج المحاضر بأنه علينا العمل بشكل عاجل -إن كنا نريد أن نغد جسوراً عبر هذه الفروقات، وأن نمحو هذه الفجوة الواسعة من الجهل، مؤكداً، كما أكدنا في هذه المداخلات من خلال الإصرار على شعار النقد الذاتي، بأنه حان الوقت لكي نكون صرحاء، وألا ندع مجالاً للمجاملات السياسية التي تعرقل حواراتنا، على اعتبار أن أوروب تحتاج أيضاً لأن تعترف بالتحديات التي تجابهها وأن تعالجها، بما في ذلك مشاعر الكراهية ضد الإسلام، والمخاوف لدى مواطنيها من المسلمين، ولا يعني هذا التضحية بالهويات أو التخلي عن القيم القوية، وإنما يعني في هذا السياق، إعادة التواصل مع الهوية الإسلامية، التي تمتد تأثيرها إلى الجاليات المسلمة ببلادنا، وأن نعمل بالشراسة معهم، استجابة للتحديات التي نواجهها. وقد تكون هذه فرصة لمسلمي أوروبا لأن يفتحوا بمجتمعاتهم التي تبدو مغلقة وأن يندمجوا في مسارات المجتمع الأوسع نطاقاً، ومختتماً بما نختم به هذه المداخلات. فقد حان الوقت للعمل الفعلي حول التحديث والاعتدال، ونبذ التأثيرات الثقافية أو القوى التي تبرر عدم اتخاذ إجراءات تجاه حقوق الإنسان، كما حان الوقت أيضاً لمجابهة الذين يروجون لنظرات المؤامرة، والتي يمكن أن تنطوي على خطر كبير جداً علينا جميعاً، وتوطيد أسس المبادئ العالمية للديمقراطية، والتي تسهم في خلق مجتمعات مستقرة ومزدهرة ومتسامحة.



obeikandi.com

ظاهرة كراهية الإسلام: تحديات ومواجهات

د / سيد محمد كاظم خوافسارى (*)

مقدمة:

ظاهرة كراهية الإسلام تشكل من دون شك تحدياً خطيراً، ذا أبعاد مختلفة يواجهها العالم الإسلامي في الزمن الراهن، والذي يتطلب تعاملًا منهجيًا ومدروسًا، يتصف بالحكمة والانسجام كضرورة ملحة لمواجهتها؛ وذلك بسبب الآثار السلبية الواسعة التي تتركها على حياة المسلمين.

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بمواجهة ظاهرة كراهية الإسلام، وإدراج هذا الموضوع في جدول أعمال الدورة السنوية لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، جاء على أساس فهم حقيقة هذه الظاهرة، وإدراك أبعاد هذا التحدي، وضرورة مواجهة آثارها السلبية.

وفي مقالتي هذا، والذي أعدته لإثراء الأدبيات والدراسات المتوفرة حول هذا الموضوع؛ ولطرحه في الدورة الثامنة عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، سأحاول تقديم إجابة على سؤال أساسي وهو: ما هي أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام وآثارها وسبل مواجهتها؟

وللإجابة على هذا السؤال، قدمت خلال مقالتي تعريفًا عن ظاهرة كراهية الإسلام أولاً، ثم شرحت جذورها الفكرية والتاريخية في العالم المعاصر؛ لأقدم بعد ذلك دراسة عن طبيعة هذه الظاهرة وأبعادها وآثارها المختلفة على البلدان الإسلامية والمسلمين في العالم. وسأنهى مقالتي بطرح السبل الفاعلة الكفيلة لمواجهة هذه الظاهرة، آخذاً بنظر الاعتبار دور الدول الإسلامية والمنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني للمسلمين في العالم، بالإضافة إلى وسائل الإعلام، لأستخرج نتائج البحث في ختامه.

(*) سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمندوب الدائم لدى منظمة المؤتمر الإسلامي - جدة.

تعريف ظاهرة كراهية الإسلام:

قبل البدء بالحديث عن ظاهرة كراهية الإسلام، من الضروري بمكان أن نقدم تعريفاً شاملاً عنها، ورغم أنه لم يتم تقديم تعريف دقيق وشامل لظاهرة كراهية الإسلام إلى الآن، إلا أن بعض المحاولات بُذلت لطرح بعض الآراء في هذا المجال.

وعلى سبيل المثال يطرح روني مدراس ١٩٩٧م في تعريفه لهذه الظاهرة ثمانية عناصر، والتي لقيت قبولاً في العالم، وخاصة لدى المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية ومعاداة الأجنبي، وهي كما يلي:

- ١- يتميز الإسلام كقطب موحد بالركود والجمود ومقاومته ضد أي تغيير.
- ٢- يعتبر الإسلام نسيجاً فريداً أو غريباً لا يتحمل قيمًا مشتركة مع سائر الثقافات، ولا يتأثر بها ولا يؤثر عليها.
- ٣- يصوّر الإسلام مقابل الغرب، في حالة من الدونية والوحشية وانعدام المنطق والبدائية، بل والاهتمام بالجنس.
- ٤- يُصوّر الإسلام ديناً يعتمد على العنف والعدوان وكعامل تهديد ودعم للإرهاب وإثارة الصراع بين الحضارات.
- ٥- يطرح الإسلام كأيديولوجية سياسية يتم استخدامها للأغراض السياسية والعسكرية.
- ٦- وفي هذا الإطار ترفض جميع عمليات النقد الموجهة من الجانب الإسلامي إلى الغرب من دون دراسة مضمونها.
- ٧- تاريخياً وفي الدول غير الإسلامية، يستغل الإسلام كعامل للقيام بأعمال التمييز ضد المسلمين، وفصلهم عن سائر قطاعات المجتمع.
- ٨- يعتبر العداء ضد المسلمين أمراً طبيعياً وعادياً.

وفي تعريف آخر، تعتبر ظاهرة كراهية الإسلام حالة عداء ضد الإسلام والثقافة

الإسلامية، ونظرة سلبية حاقدة، ومحاولة لإصدار أحكام مسبقة ضد كل ما ينتمي إلى الإسلام. وفي إطار هذا التعريف، تعد معاداة المسلمين -وهي ظاهرة عنصرية لمعاداة أبناء الأمة الإسلامية- أحد أشكال ظاهرة كراهية الإسلام.

وفي تعريف ثالث، نعتبر كراهية الإسلام ظاهرة لإصدار الأحكام المسبقة ضد المسلمين، وإبرازهم كأفراد لهم حالة شيطانية خبيثة عبر اتهامهم بارتكاب تصرفات سلبية عامة، كالعنف والإيذاء والاستفزاز والتمييز، وبذهم بكلام سيء في وسائل الإعلام.

وكذلك يعتبر استفان شوارتز الأمريكي -وهو رئيس مؤسسة أبحاث عن الإسلام في الولايات المتحدة- أن كراهية الإسلام إدانة للإسلام وتاريخه ككل، باعتباره دينًا متطرفًا، ووفقًا لتعريفه يشكل الإسلام معضلة للعالم، كما يدعى أن الصراعات في المجتمعات الإسلامية ناتجة عن أفكارهم ليس إلا؛ ولذلك يتم شرعة الحرب ضد المسلمين والعمل على تغيير المعتقدات الإسلامية.

والمكتوبى يعتبر كراهية الإسلام ظاهرة عنصرية مُوجَّهة ضد الإسلام، تشمل مزيجًا من عناصر الحقد ضد الدين والتمييز الحاد ضد أتباعه.

ويعتبر المجلس الأوروبي كراهية الإسلام حالة من الرعب أو الآراء التي تتضمن أحكامًا تم إصدارها مسبقًا بالنسبة للإسلام والمسلمين وما يتعلق بهم.

كما جاء في تقرير نُشر في السنوات الأخيرة في بريطانيا، أن كراهية الإسلام تمثل مبادرات تمييزية وعدائية وغوغائية ضد الإسلام والمسلمين.

ومن وجهة نظري، إن كراهية الإسلام تتمثل في جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات، والأعمال المتعمدة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، على مستوى الحكومة والمجتمع والفرد، وخاصة في الغرب، والتي تحاول أن تروج لرؤى سلبية ضد الإسلام والمسلمين عبر التمييز، وإصدار الأحكام المسبقة، واتخاذ المواقف العدائية، وخاصة عبر تقديم صورة متصلبة غير إنسانية يملؤها العنف والمعاداة، ومعارضة كل أنواع التقدم عن التعاليم الإسلامية النيرة وممارسات المسلمين

وتصرفاتهم. والهدف النهائي لكل ذلك : إلقاء الرعب والخوف من الإسلام والمسلمين، وتوفير الأرضية نفسياً في المجتمعات الغربية، خاصة وسائر المجتمعات عامة، للقيام بأية مواجهة ضد الإسلام والمسلمين في العالم.

وهذا التعريف يشمل عدة عناصر أساسية وهي:

- ١ - أنه يشمل جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال، ولا ينحصر ببعض التصرفات التي تحصل في فترة خاصة بما يتعلق بالإسلام والمسلمين.
- ٢ - التأكيد على التعمد في تلك السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال، وعلى هذا الأساس، تقدم ظاهرة كراهية الإسلام كخطة هادفة ومدرسة من حيث المبدأ، كما يتم اعتبار بعض الأحداث والأعمال غير المتعمدة استثناء عن الأصل.
- ٣ - إضافة إلى ذلك، أن هذا التعريف يشمل جميع المستويات من الحكومة والمجتمع والفرد، ولا ينحصر بالسياسات الحكومية.
- ٤ - إن السياسات والأعمال المذكورة لها منطلقات دينية تتعلق بالإسلام وأتباعه؛ لذلك فإنها تستهدف المسلمين، ليس بسبب لونهم وجنسيتهم ولغتهم فحسب، وإنما بسبب الديانة التي يعتنقونها في أغلب الأحيان.
- ٥ - إن التمييز وإصدار الأحكام المسبقة والعداوة من أهم مظاهر هذه السياسات والأعمال وفقاً لهذا التعريف.
- ٦ - إن الهدف الأساس من هذه السياسات والأعمال: إشاعة أفكار سلبية ضد الإسلام والمسلمين، خاصة عبر تقديم صورة عدوانية وغير إنسانية تتعارض مع التقدم والازدهار عن التعاليم الإسلامية الزاهرة وأداء المسلمين.
- ٧ - إن الهدف النهائي لكل هذه السياسات والأعمال، هو إيجاد حالة من الرعب من الإسلام والمسلمين، وتوفير الأرضية في المجتمعات الغربية خاصة، وفي سائر المجتمعات عامة، من أجل مواجهة الإسلام والمسلمين في العالم.

وينبغي التنويه بأنه شتان بين كراهية الإسلام وعملية النقد العلمي والموضوعي، بعيداً عن اعتماد أحكام مسبقة للمعتقدات الإسلامية التي يقوم بها غير المسلمين. كما ينبغي الانتباه في نفس الوقت إلى أن هذا الأسلوب المقبول يستغل كثيراً للتوصل إلى الأهداف الخبيثة في إطار ظاهرة كراهية الإسلام، وخير نموذج على ذلك ما قام به المرتد سلمان رشدي من طرح اتهامات مسيئة علناً للإسلام والنبى محمد ﷺ، الذي يشكل الشخصية الرئيسة في هذه الديانة وذلك تحت غطاء النقد العلمي.

الجدور التاريخية والفكرية لظاهرة كراهية الإسلام في العالم المعاصر:

يمكن لنا عبر تقييم التطورات التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام في الغرب، أن نحدد أربع مراحل وهي: منذ البداية حتى القرن العشرين، ومنذ العقد الأول حتى الثامن من القرن العشرين، وعقد التسعينات حتى ٢٠٠١م، ومنذ ٢٠٠١م حتى الآن.

وفيما يتعلق بالأسباب والجدور التاريخية لهذه الظاهرة، يشير بعض الخبراء إلى الرسالة التي أرسلها البريطاني روجر بيكون إلى أحد آباء الكنيسة في زمن الحروب الصليبية، يؤكد فيها على ضرورة إنهاء الحرب مشيراً إلى بدء الحروب الصليبية الثقافية في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي. ويرى هؤلاء أن ظاهرة كراهية الإسلام هي استمرار لتطبيق تلك الاستراتيجية باستخدام الآليات والوسائل الحديثة. وفي نفس الوقت، يعتقد هؤلاء أن ظاهرة كراهية الإسلام ارتفعت وتيرتها في النصف الثاني من القرن العشرين وخاصة في نهاية هذا القرن، والسنين الأولى من القرن الحادي والعشرين.

والبعض يعتقد أن الأوروبيين كانوا دائماً بصدد تصفية مجتمعاتهم، وإخلائها من الآخرين والأجانب؛ ولذلك نشاهد اليوم تحديد الحريات الأساسية، والإعلام المضاد ضد المسلمين، واعتبارهم متآمرين وذلك لأجل تخويف الأوروبيين.

ومهما كان الأمر يمكن القول من خلال دراسة تاريخية بأن ظاهرة كراهية الإسلام في الغرب وخاصة أوروبا لها جذورها وتجاربها التاريخية، إذ كانت الحرب

الصليبية الثقافية من استراتيجياتهم فى الصراع ضد الإسلام والمسلمين فى الفترات التاريخية المختلفة، ولقد استمرت الظاهرة خلال القرن العشرين إثر تصاعد نضال الشعوب الإسلامية المختلفة ضد المستعمرين الأوروبيين من جهة، والاضطهاد التاريخى للمسلمين من قبل أوروبا وأمريكا، خاصة فى زرع غدة إسرائيل السرطانية فى قلب العالم الإسلامى، واحتلال أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من جهة ثانية. ونظراً لكثرة استخدام الغرب لوسائل الإعلام فى تطبيق سياساته ومبادراته ضد المسلمين، فإن الغربيين حاولوا دائماً بأشكال مختلفة خلال الفترة المذكورة أن يقدموا صور متخلفة عن المجتمعات الإسلامية فى نقلهم للأخبار المتعلقة بالمسلمين، ويطرحوا صورة عنيفة غير إنسانية وبالية عن التعاليم الإسلامية، مما أدى -بعد مضى فترة من الزمن وبشكل تدريجى- إلى تكوين مواقف سلبية متجذرة ضد المسلمين.

وحول الأسباب والجذور التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام، يرى السيد كوفى أنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة أن هذه الظاهرة لها تاريخ يمتد عبر القرون، رغم أن مصطلح كراهية الإسلام طُرِحَ خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى، إذ أدرك الكثير من المسلمين اليوم أنهم كانوا قد تعرضوا دائماً، وعلى مدى التاريخ، لأنواع الظلم والاضطهاد والاعتداء والاستعمار المباشر وغير المباشر وخرق حقوقهم، مشيراً إلى بعض الحالات كالقضية الفلسطينية وقتل المسلمين وإبادتهم خلال عملية تقسيم يوغوسلافيا معتبراً إياها مصاديق للتعامل الغربى غير العادل ضد المسلمين.

وتتضمن تصريحات السيد كوفى أنان -التي ذكرنا قسماً منها- إشارة إلى أنه يعتقد بأن جذور كراهية الإسلام ينبغى البحث عنها فى الظلم التاريخى للغرب ضد المسلمين، ثم فى النظرة السلبية للمسلمين بالنسبة للغرب، وبعد ذلك أعمال العنف لبعض المسلمين المتطرفين ضد الغرب، وبالمقابل الجهود الغربية لمواجهة الإسلام والمسلمين.

ولهذه النظرية مؤيدوها، إذ يؤمن البعض -على سبيل المثال- أن هذه الظاهرة كانت من ثمار السياسات المنحازة والظالمة واللامتوازنة لأمريكا والغرب، فيما يتعلق بقضية فلسطين والشرق الأوسط، كما في الدعايات المكثفة لوسائل الإعلام الغربية ضد المسلمين، واستغلال الغرب لشرعية مكافحة الإرهاب لتمرير أهدافه، وهذا ما شهدناه خلال العقود الأخيرة على الأقل. ومن المفيد في هذا المجال الانتباه إلى آراء المشاركين في إحدى الندوات السنوية، التي تقيمها مؤسسة الشرق الأوسط في أمريكا، إذ يعتقد هؤلاء أن المبادرات الأمريكية التي تتم تحت شعار مكافحة الإرهاب، قد ولدت شعوراً بأنها حرب ضد الإسلام؛ لأن البعض أخذ يقدم صورة عن الإسلام تطرح هذا الدين العظيم كمصدر للإرهاب.

وربما يمكن اعتبار نظرية صموئيل هنتنجتون (١٩٩٣م) في مجال صراع الحضارات عاملاً أساسياً، ومنعطفًا مهما في ظاهرة كراهية الإسلام في العصر الحديث. ففي رده على تساؤل حول إمكانية أن يفسر انتهاء الحرب الباردة كنهاية للصراعات السياسية والاستراتيجية والأيدولوجية، يقول هنتنجتون: "إن خطوط التصدع الموجودة بين الحضارات قد حلت محل الحدود السياسية والأيدولوجية في فترة الحرب الباردة، وسوف تستبدل المواجهة بين الدول القومية بالصراع بين الحضارات، مُركّزاً بشكل أساسي على الخلافات الثقافية والحضارية، ومُشيراً إلى الانبعاث الحضاري والإحياء الديني". ثم يتنبأ هنتنجتون أن أول مواجهة محتملة بين الحضارات ستكون بين الحضارتين الإسلامية والغربية، مشيراً إلى العداء المستمر بين الإسلام والغرب خلال أربعة عشر قرناً، والتوتر المتصاعد بين الحضارتين.

ورغم أن السيد محمد خاتمي، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السابق المحترم، رفض حتمية وقوع الصراع بين الحضارات، وذلك في مبادرة حكيمة ودقيقة أطلقها عام ١٩٩٨م، وطرح -مشيراً إلى المسيرة التكاملية لتاريخ البشرية- ضرورة الارتباط والتعامل على أساس الفكر والتفاهم وحوار الحضارات، كحل وحيد لإزالة المخاوف ومواجهة التحديات في عالمنا المعاصر، ورغم تبني مشروعه عام ٢٠٠١ من

قَبْلَ الأمم المتحدة، لكن ما حصل بعد ذلك من تطورات وأحداث في إطار ظاهرة كراهية الإسلام في الغرب، أثبت أن الغرب يريد من وراء استمرار هذه الظاهرة تقديم صورة العدو الشرس عن العالم الإسلامي؛ ليضع الحضارة الإسلامية في مكانة المعسكر الشرقي في فترة الحرب الباردة. وما قاله الرئيس الأمريكي في إحدى خطباته بعد أحداث ١١ سبتمبر حول الحرب الصليبية، بالإضافة إلى تصريح برلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي آنذاك حول "أن الغرب سيتغلب على المسلمين الذين لا يحترمون الحقوق الإنسانية والدينية والسياسية للأشخاص -وفق تعبيره- كما انتصر على الشيوعية"، كل ذلك يعكس بأفضل شكل ممكن الآراء والنوايا الحقيقية للساسة الغربيين حول الإسلام والمسلمين. وينبغي هنا إضافة بعض التصريحات المماثلة الأخرى في أحاديث القادة الغربيين، كاستخدام عبارة "الفاشية الإسلامية" بواسطة جورج بوش.

وفي هذا الإطار أيضاً، لا بد أن نشير إلى التصعيد المتزايد في محاولات وسائل الإعلام الأوروبية والكندية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في الفترات الأخيرة، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر. كما تشير التقارير إلى ازدياد أعمال العنف ضد المجتمعات الإسلامية في هذه الدول خلال الفترة المذكورة، إلى جانب المبادرات المتعددة على مستوى الحكومات الفيدرالية والمحلية؛ لتحديد الحقوق والحريات الاجتماعية والدينية لأبناء الجاليات المسلمة، المقيمين في هذه الدول، وخاصة في فرنسا وألمانيا.

إن قراءة المبادرات والخطوات التي اتخذها الغرب -وخاصة أوروبا- في هذا المجال، خلال السنوات الأخيرة، انطلاقاً من كيفية التعاطي مع موضوع انتشار الرسوم المسيئة لنبي الإسلام الأكرم ﷺ في صحيفة يولندبستن الدانمركية، ومروراً بوضع قوانين لتحديد حقوق المسلمين وحرّياتهم الأساسية، وخاصة في مجال الحريات الدينية في بعض الدول الأوروبية، وانتهاء بتصويت جميع دول الاتحاد الأوروبي ضد القرار المقترح من منظمة المؤتمر الإسلامي حول منع الإساءة إلى الأديان في الدورة

الواحدة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠١م، كل ذلك يدل على وجود سياسة وخطة محددة لدى الغرب في هذا المجال. كما يدل على أن دول الاتحاد الأوروبي تقف بين المجتمعات الغربية في الخط الأول لكراهية الإسلام.

ظاهرة كراهية الإسلام، طبيعتها، أبعادها، وآثارها:

فيما يخص طبيعة هذه الظاهرة في العالم المعاصر، يرى بعض علماء الاجتماع أن التقييم والتمييز على أساس الدين حل محل التقييم والتمييز على أساس العنصر في العقود الأخيرة، ونتيجة لذلك، يُعد المسلمون -خاصة في الدول الأوروبية- غرباء، أو آخرين لا تختلف ثقافتهم عن الثقافة الأوروبية فحسب، بل وتتعارض معها. ورغم ذلك، فإن دراسة الأبعاد المختلفة لظاهرة كراهية الإسلام توصلنا إلى حقيقة وهي: أن هذه الظاهرة لها في الأساس طابع سياسي وثقافي عدواني هادف يتصف بالتعمد، وهو ذو أبعاد وآثار عديدة لا يمكن حصرها في بعض التصرفات التي تحصل هنا وهناك، على أساس التمييز الديني وإصدار الأحكام المغرضة حول دين ما، أو اتباع ذلك الدين؛ لذلك لا بد قبل القيام بأية مبادرة في سبيل التصدي لهذه الظاهرة أن تؤخذ بنظر الاعتبار طبيعتها وآثارها السياسية -الأمنية والثقافية- والاجتماعية.

ويبدو أن أول وأهم آثار هذه الظاهرة هو توفير الأرضية الملائمة في الغرب؛ لاستعداد الدين الإسلامي وأتباعه، مما سيترك -لا محالة وبالضرورة- آثاره على العالم الإسلامي، وبالأحرى سيؤدي هذا التوجه إلى زيادة الحقد والاستياء بين الجانبين، دون أن يريد ذلك، وهما: الإسلام الذي يبحث عن السلام والمسلمين الذين لا ينصبون العداء ولا يريدون محاربة أحد، ويريدون السعادة والتعايش مع جميع أبناء البشر من جهة، والشعوب الغربية التي لا علم لها بالسياسات المُخطَّط لها من قبل قادتها وبمكائدها وسائل إعلام بلدانها، لتستمر بالنتيجة حالة التشكيك في النظر إلى تصرفات كل من الطرفين وأعمالهما ونواياهما. وهذا ما يُخطط له الساسة في

الغرب: إرعاب الشعوب الغربية وتخويفهم من الإسلام ومن ثم من المسلمين، وتوفير الأرضية نفسياً في المجتمعات الغربية خاصة، وفي سائر المجتمعات عامة؛ للقيام بأية مواجهة للإسلام والمسلمين في العالم.

ويبدو في ظل هذه الظروف أن الغرب سيكون قادراً على ممارسة أى ظلم أو اضطهاد ضد المسلمين بكل سهولة في المستقبل، بذريعة أنهم منافسون وأعداء خطرون سياسياً، بالإضافة إلى ذلك، سيتمكن الغرب من تطبيق هذه المبادرات دون معارضة جادة من الشعوب الغربية في ظل هذه الظروف. إن هذه المبادرات ستكون لها أبعاد واسعة لتشمل حالات كثيرة، منها: سد الطريق أمام إمكانية اعتناق الإسلام بين مواطني هذه الدول، والتي أخذت ترتفع حالاتها السياسية ضد المواطنين المسلمين والجاليات المسلمة في تلك الدول، وممارسة شتى أنواع الضغوط، ووضع العوائق السياسية والاقتصادية، والقيام - في أسوأ الحالات - باعتداءات ضد البلدان الإسلامية؛ وذلك في سبيل حماية مصالح المعسكر الغربي.

كما أن رؤية شاملة لبعض المبادرات، التي قامت بها الدول الغربية في مجالات مختلفة، كتغيير قوانين الهجرة والعمل والإقامة، تدل على حقيقة وهي أن الغرب سيستمر في محاولاته للسيطرة على حركة الإيمان بالإسلام، بالإضافة إلى تحديد حقوق المواطنين المسلمين فيما إذا استمرت هذه الظروف، وسيقوم بشكل جاد بمنع استقبال المهاجرين والعمال والطلبة وسائر المجموعات المسلمة في أوروبا، وإقامة المسلمين من غير الأوروبيين لفترات طويلة/ متوسطة المدى في تلك المجتمعات، وعلى أية حال، فإنه من المؤكد أن أحد الأهداف الأساسية للغرب في هذا الإطار، هو السيطرة الجادة على النمو السكاني للمسلمين، وتقليل تواجدهم ونفوذهم في المجتمعات الغربية.

ومن جهة أخرى، ينبغي الانتباه إلى أن استمرار هذه الظاهرة أو تصعيدها على المدى البعيد، من شأنه - تدريجياً وبالضرورة - أن يؤجج حالة المعاداة للغرب في

العالم الإسلامي، ويؤسس لحالة متبادلة من الحقد والتفور في إصدار أحكام مسبقة بين كل من الشعوب الغربية والمسلمين، مما سيكون له - لا محالة - أبعاد ونتائج خطيرة للطرفين؛ لذلك يبدو أن التصدى لهذه الظاهرة على المستوى القريب والبعيد، سيؤمن مصالح المسلمين، وفي نفس الوقت، يبدو أن التصدى لهذه الظاهرة والوقوف أمام تصعيدها وتحولها إلى صراع بين الحضارات، سيكون له على المدى البعيد صالح العالم الغربي أيضاً، وإن كان على المدى القريب لا يصب في صالح الغربيين وفق رأى البعض منهم، الأمر الذي أخذ بعض العقلاء في الغرب يؤيدونه مؤخراً.

سبل التصدى لظاهرة كراهية الإسلام:

لا شك في أن هذه الظاهرة ينبغي تقييمها كجزء من السياسات الغربية الشاملة، في مواجهة الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية؛ ولذا يجب اتخاذ السبل الكفيلة للتصدي لها. كما ينبغي أن تتم عملية التصدى لهذه الظاهرة بعد القيام بتقييم دقيق لأبعادها المختلفة، والتهديدات الناتجة عنها، والتخطيط الشامل والواقعي، الذي يتم وفق المبادئ العلمية، باستخدام جميع الإمكانيات والآليات المتوفرة لدى المسلمين في العالم؛ وذلك من أجل إشراك واسع ومؤثر لكل مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، والأفراد من المسلمين في أنحاء العالم كافة، كل حسب قدراته وجنباً إلى جنب مع الحكومات والمنظمات الإسلامية الفوقومية.

وبالنسبة للآليات وأساليب التصدى لظاهرة كراهية الإسلام، ينبغي القول بأن القيام بمبادرات متنوعة في المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية في آن واحد، يبدو أمراً ضرورياً، بالإضافة إلى ذلك، يجب استخدام جميع الوسائل، وخاصة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية، واستثمار جميع الفرص خاصة في المحافل ومراكز القرار الإقليمية والدولية.

كما ينبغي الانتباه - في نفس الوقت - إلى أن أية مبادرة في هذا الإطار، لا بد أن تقوم بها على أساس فهم مشترك بين الحكومات الإسلامية وجميع أبناء الأمة

الإسلامية لحقيقة أن ظاهرة كراهية الإسلام ظاهرة خطيرة جداً، تعمّ أبعادها وآثارها الأمة الإسلامية كاملة، شتتاً أم أبيتاً؛ ولذلك ينبغي الاهتمام الجاد بالتصدي لهذه الظاهرة، إذ على الأمة الإسلامية أن تنهض موحدة صفوفها للقيام بأعباء هذه المهمة.

وبناء على ذلك، ينبغي أن لا يتجاهل أى منا المصالح العامة والمشاركة للمسلمين، ولدار الإسلام فى عملية التصدي لهذه الظاهرة، ناهيك عن أن المسلمين يجب أن يمتنعوا عن أية مبادرة تمهد لسلطة غير المسلمين عليهم، وفقاً لقاعدة: نفى السبيل، وعلى البلدان الإسلامية أيضاً أن تعتبر أمن كل منها - وخاصة فى مجال الأمن الثقافى - أمن الجميع، وتؤكد على أن التهديدات المحدقة بأية دولة إسلامية ستكون تهديداً لها ولجميع الدول الإسلامية، وتستعد بالنتيجة لتصدد جماعى لهذه الظاهرة. فلو أدركنا أن الغرب بصدد تغيير ثقافة شعوبنا الإسلامية وتوحيدها ودمجها بالثقافة والقيم الغربية، إلى جانب ظاهرة كراهية الإسلام التى تمثل بدورها هجمة ثقافية شاملة ضد أمتنا الإسلامية.. لو أدركنا ذلك ستؤكد أكثر من ذى قبل على ضرورة التعاون الجماعى بين الدول الإسلامية؛ لإزالة وصد كل ما يمهد لسيطرة غير المسلمين عليهم، أو للتهديدات والتحديات والتحرش بمعتقداتنا وثقافتنا وأمن مجتمعاتنا وبلداننا الإسلامية.

إن ما يحظى بأهمية قصوى فى هذا المجال، هو: ضرورة اهتمام الأمة الإسلامية فى علاقاتها الثقافية والدينية بتقوية وتنمية العلاقات بمختلف بلدان دار الإسلام كأهم المعايير؛ ولذلك وفى نفس الإطار، سيكون تحديد الأولويات والاهتمام ببذل الجهود للتوصل إلى الوحدة بين الفرق الإسلامية المتعددة، فى إطار تحقيق مفهوم "الأمة الإسلامية الواحدة" عملياً وميدانياً، وإعادة تنظيم عملية الاجتهاد القيّمة؛ لتقديم إجابات على المستجدات أو المسائل المستحدثة - وفق المصطلح الفقهي -، وإزالة الشبهات والشكوك السقيمة، وإعطاء تفسير قويم عن أحكام الإسلام النيرة المتقدمة، وإبراز السلوك البين فى الاعتدال الإسلامى، والحيلولة دون وقوع المسلمين فى فخ المتصلبين أو أدعياء التنوير، سيكون ذلك كله من أهم الضرورات التى لا يمكن التخلّى عنها.

كما أن إقامة العلاقات الثقافية والدينية مع أتباع سائر الأديان والثقافات، في إطار السبل والآليات التي أوصت بها تعاليمنا الدينية، ومنها: التأكيد على التفاهم حول المشتركات، والجدال بالتي هي أحسن، وتآليف القلوب، والسعى لتعريف الآخر بالمعارف الإسلامية الصافية، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام، وتعزيز التفاهم المشترك بين الطرفين، له كله أهمية خاصة في هذا المجال.

وعموماً ومع الأخذ بنظر الاعتبار ما سلف ذكره، لابد من التأكيد على أن الهدف القريب من كل ذلك هو السعى والتخطيط لإيقاف تنامي ظاهرة كراهية الإسلام المتصاعدة، والهدف المتوسط هو التخفيف المؤثر من آثار الظاهرة المذكورة في العالم، والهدف النهائي والبعيد هو إزالة جميع المصاديق والتمهيدات، التي تؤسس لظاهرة كراهية الإسلام. ويبدو أيضاً أن المبادرات التالية -بغض النظر عن أولوياتها- ينبغي أن تدرس وتتخذ بنظر الاعتبار في خطة التصدي لهذه الظاهرة على المديات القصيرة والمتوسطة والبعيدة:

١ - تعزيز الإرادة السياسية المشتركة بين الدول الإسلامية؛ للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام، والذي تم المصادقة والتأكيد عليه في ثالث اجتماع طارئ للقمة الإسلامية المنعقد في عام ٢٠٠٥ بمكة المكرمة.

٢ - وضع استراتيجية على نطاق العالم الإسلامي؛ للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام.

٣ - تأسيس مركز للدراسات في البلدان الإسلامية حول ظاهرة كراهية الإسلام؛ بغية التقييم الشامل لجميع أبعادها وتفاصيلها، ودعم عملية التصدي لها.

٤ - عقد ندوات علمية منتظمة ودورية على الصعد الوطنية والإقليمية والدولية، وذلك في الدول الإسلامية وفي مختلف أنحاء العالم؛ لدراسة أبعاد هذه الظاهرة وآثارها وسبل مواجهتها، والعمل على نشر نتائج هذه الدراسات والندوات على نطاق واسع.

٥ - التخطيط لدعم الآليات المتوفرة لتقديم المشورة، والتنسيق بين الحكومات

والمنظمات الإسلامية، واستخدامها الأفضل في سبيل التصدي لظاهرة كراهية الإسلام، كتفعيل اللجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال، ودعم نشاطات مجموعة سفراء الدول الإسلامية في كل من نيويورك وجنيف وباريس وفيينا وبروكسل.

٦- التخطيط لإيجاد آليات حديثة للتشاور والتنسيق بين الدول الإسلامية في هذا المجال، كاستحداث آلية للتنسيق السريع بين المؤسسات الدينية في الدول الإسلامية؛ بهدف اتخاذ موقف موضوعي موحد عند الضرورة.

٧- إيجاد آلية للتشاور والتنسيق بين جميع المنظمات غير الحكومية للمسلمين في أنحاء العالم كافة؛ بهدف التصدي الفاعل لهذه الظاهرة، والعمل -على سبيل المثال- على جمع المعلومات وإقامة الندوات وإبراز ردود الفعل عند اللزوم، واتخاذ سائر الخطوات الممكنة.

٨- تقديم الدعم الكامل لمركز ظاهرة كراهية الإسلام التابع لأمانة المؤتمر الإسلامي.

٩- بذل الجهود لممارسة رقابة شاملة من قبل البلدان الإسلامية والمنظمات الدولية والإقليمية، الحكومية وغير الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني للمسلمين في أنحاء العالم كافة، وتزويد منظمة المؤتمر الإسلامي بالمعلومات الشاملة والموثقة حول الموضوع.

١٠- وضع خطط من قِبَل منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لنشر تقرير سنوي وفقًا للمعلومات التي تصلها عن آخر التطورات، المتعلقة بظاهرة كراهية الإسلام في العالم.

١١- التخطيط للتنسيق والتشاور الضروري؛ لإبراز ردود فعل مبدئية موحدة في الوقت المناسب من قِبَل البلدان الإسلامية والمسلمين قبال كل خطوة ملحوظة تتخذ، في إطار ظاهرة كراهية الإسلام في العالم، وتقنين جميع ردود الفعل الجماهيرية والشعبية حتى الوصول إلى النتيجة المرجوة.

١٢- العمل الجاد والفاعل من قبل الدول الإسلامية؛ لاستصدار قرار بمنع الإساءة للأديان وظاهرة كراهية الإسلام في الاجتماعات السنوية والدورية للمنظمات والمحافل الدولية ذات الصلة، كالجمعية العامة، ولجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو.

١٣- وضع خطط من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لإقامة علاقات واسعة ومنسقة مع المؤسسات الشهيرة المعترف بها للمسلمين في الدول غير الإسلامية؛ لتوظيف طاقاتها وإمكاناتها في هذا المجال، وخاصة في رصد جميع الأحداث التي ترتبط بظاهرة كراهية الإسلام.

١٤- العمل على إجراء حوار مستمر في هذا المجال مع المنظمات الدولية، وخاصة المؤسسات والآليات الأوروبية؛ لطرح المخاوف الموجودة في هذا الإطار، والتذكير بالأبعاد المدمرة لهذه الظاهرة، وآثارها على العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية، والتأكيد على ضرورة التعاون المتبادل للتصدي لها.

١٥- السعي لإدراج هذا الموضوع في جدول أعمال الاجتماعات المشتركة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مع سائر المنظمات الدولية، كالأمم المتحدة.

١٦- العمل على إيجاد ارتباط مستمر وفاعل مع المقررين الخاصين للآليات الإقليمية والدولية لحقوق الإنسان، كالمقررين في مجال الحريات الدينية، وظاهرة كراهية الإسلام، والعنصرية والتمييز العنصري؛ لجلب انتباههم أكثر فأكثر بالنسبة للأبعاد المتعددة لهذه الظاهرة، لإبرازها وتقديم تقارير مناسبة عنها.

١٧- الاهتمام بالجهود المشتركة بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لتوقيع وثيقة دولية ملزمة لمنع الإساءة للأديان.

١٨- قيام الدول الإسلامية بالتخطيط لإعداد وإقرار وثيقة قانونية دولية تخص إزالة التمييز على أساس الدين.

١٩- القيام بعمل مشترك بين الدول الإسلامية، في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لإقناع الدول الغربية للمصادقة على قوانين داخلية (وطنية) لمنع الإساءة للأديان، وكذلك منع التمييز على أساس الدين، وللتصدي لهذه الظاهرة.

٢٠- التأكيد -في آن واحد- على حق حرية التعبير من جهة، ومسئولية الحكومات والمنظمات الدولية والوطنية والأفراد في استخدام هذا الحق لاتخاذ موقف مشترك في مواجهة حالات الإساءة للقيم والمقدسات الإسلامية من جهة أخرى، والعمل على تحويل هذه المسئولية إلى مبدأ من المبادئ الدولية المُعترف بها، وإدخاله في الأدبيات والوثائق الدولية ذات الصلة.

٢١- التوظيف التام والكامل لجميع الطاقات المتوفرة لدى المؤسسات والآليات التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، عبر إقامة اجتماعات سنوية مشتركة للمؤسسات ذات الصلة والتابعة للمنظمة؛ لدراسة آخر التطورات في ظاهرة كراهية الإسلام، وتنسيق الخطوات والفعاليات الخاصة بها في مجال التصدي لهذه الظاهرة.

٢٢- اتخاذ خطوات أكثر فاعلية من قبل مجمع الفقه الإسلامي؛ لمعالجة هذا الوضع، ومنها: تنمية التعاون بين المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام.

٢٣- ضرورة الاهتمام الخاص بهذه الظاهرة وأبعادها المختلفة، من قبل آليات إيصال المعلومات في منظمة المؤتمر الإسلامي، كالوكالة الإسلامية الدولية (إينا) ومنظمة الإذاعات للدول الإسلامية (إيسبو)، والعمل على توعية الشعوب بمختلف قضايا وأبعاد هذه الظاهرة.

٢٤- العمل على نشر نصوص الأبحاث النظرية حول الموضوع، بواسطة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ومركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسىكا).

٢٥- إعطاء القروض والمنح المالية بواسطة البنك الإسلامي للتنمية لبعض المؤسسات

الرسمية التابعة للمسلمين؛ لتفعيل طاقاتها، بغية مراقبة ظاهرة كراهية الإسلام في الدول غير الإسلامية، ورفع تقارير دورية عنها.

٢٦- إدراج موضوع التصدي لظاهرة كراهية الإسلام كأحد البنود الثابتة في جدول أعمال الدورات العادية للمؤتمرات الإسلامية، على مستوى القمة ووزراء الخارجية.

٢٧- وضع الخطط اللازمة من أجل التنسيق بين وسائل الإعلام للدول الإسلامية، والمسلمين في جميع أنحاء العالم؛ للنهوض بأداء دور فاعل في هذا المجال.

٢٨- العمل على توظيف كافة الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في التصدي لهذه الظاهرة.

٢٩- القيام بحركة واسعة في نشر المعلومات عن الإسلام والمسلمين باللغات الغربية وخاصة عبر الإنترنت والفضائيات.

٣٠- التخطيط لشرح المبادئ والمعتقدات والأحكام الإسلامية بأسلوب علمي، وقابل للفهم للمواطن الغربي؛ لتصحيح صورة الإسلام عنده.

خاتمة البحث والنتيجة:

إن ظاهرة كراهية الإسلام، والتي تشمل جميع الأفعال والتصرفات المتعمدة لإشاعة أفكار سلبية حول الإسلام والمسلمين، تعد من دون شك تحدّ خطير ومتعدد الأبعاد للعالم الإسلامى فى الوقت الحاضر؛ ولذلك فإن التصدى لها بالحكمة، وتوحيد المواقف، يعد ضرورة ملحة لا يمكن تجاهلها؛ نظراً للآثار السلبية الواسعة التى تركها هذه الظاهرة على حياة المسلمين.

وعبر دراسة التطورات التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب، يتضح استمرار هذه الظاهرة خلال القرون الماضية، إذ يعبر البعض عنها بالحروب الصليبية الثقافية، لكنه ورغم ذلك نلاحظ أن ظاهرة كراهية الإسلام ارتفعت ونيرتها بشكل تصاعدى فى النصف الثانى من القرن العشرين، وخاصة فى نهايته، وفى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، وهذا ينذر بوجود علائم لأبعاد خطيرة من ظاهرة كراهية الإسلام فى التاريخ المعاصر.

وبالنسبة لخصائص هذه الظاهرة فى العالم المعاصر، يرى علماء الاجتماع أن التقييم والتمييز على أساس الدين قد حل محل التمييز العنصرى فى العقود الأخيرة، لكن ظاهرة كراهية الإسلام تتميز أساساً بطابعها السياسى والثقافى العدائى الهادف والمتعمد، ومن أول نتائجها ازدياد الحالة المتبادلة من الحقد والبغضاء، وإصدار الأحكام المسبقة بين الشعوب الغربية والمسلمين.

لذلك لا بد من التصدى لهذه الظاهرة، التى يجب لحاظها فى إطار السياسات الغربية العامة، وهذه العملية لا تتم إلا بتوظيف جميع الإمكانيات والآليات المتوفرة لدى المسلمين فى أنحاء العالم كافة؛ ليتسنى إشراك جميع مؤسسات المجتمع المدنية والمنظمات غير الحكومية، والأشخاص المسلمين فى أنحاء المعمورة، فى هذه العملية بشكل فاعل وكل حسب إمكانياته وطاقاته، وجنباً إلى جنب مع الحكومات والمنظمات الإسلامية الدولية.

ويبدو أن القيام بخطوات متعددة في المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية، من الأمور الضرورية في هذا الإطار، بالإضافة إلى ذلك، ينبغي استخدام جميع الآليات وخاصة وسائل الإعلام بأشكالها، واستثمار كل الفرص وخاصة في المحافل ومراكز القرار الإقليمية والدولية؛ للحيلولة دون التصعيد المتزايد لظاهرة كراهية الإسلام، وتخفيف وتيرتها، وإزالة جميع مصاديقها والعوامل الممهدة لها في النهاية.

وفي هذا الإطار، ينبغي الاهتمام باتخاذ بعض الخطوات، ومنها: إعداد استراتيجية التصدي لهذه الظاهرة، وعقد ندوات علمية لدراسة أبعادها وآثارها وسبل مواجهتها، ووضع الآليات للتشاور والتنسيق بين جميع المنظمات غير الحكومية للمسلمين في أنحاء العالم كافة، من أجل التعاطي الجاد مع هذه القضية، وتقديم أكبر دعم ممكن لمركز ظاهرة كراهية الإسلام التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والعمل الإسلامي المشترك لإبرام وثيقة دولية قانونية؛ لإزالة التمييز على أساس الدين، وتفعيل نشاطات مجمع الفقه الإسلامي في هذا المجال، والتأكيد في آن واحد على حق حرية التعبير، ومسؤولية الحكومات والمنظمات الدولية والوطنية والأشخاص عند استخدامهم هذا الحق، وضرورة اتخاذهم موقفًا موحدًا في التصدي لحالات الإساءة للقيم والمقدسات الإسلامية، وإيجاد التنسيق بين وسائل الإعلام للدول الإسلامية والمسلمين في أنحاء العالم كافة؛ للتخطيط لأداء دور أكثر فاعلية في هذا المجال، والعمل على استخدام كل الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في مواجهة هذه الظاهرة، والنشر الأوسع للمعلومات حول الإسلام والمسلمين باللغات الغربية؛ لبيان المبادئ والمعتقدات والأحكام الإسلامية، بأسلوب علمي بحث وقابل للفهم عند المواطن الغربي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



obeikandi.com

القسم الرابع
عروض الكتب

obeikandi.com

قراءة فى كتاب الشخصية الأمريكية وصناعة القرار السياسى الأمريكى

قراءة: أحمد شعبان

الشخصية الأمريكية وصناعة القرار السياسى الأمريكى

المؤلف: د. باسم خفاجى

الناشر: المركز العربى للدراسات الإنسانية

الشخصية الأمريكية ودورها فى صناعة القرار من الفرد.. وصولاً إلى العقل الجمعى يناقش الكتاب قضية رئيسة هى تأثير الشخصية الأمريكية على صناعة القرار السياسى الأمريكى، فالعملية السياسية فى أى مجتمع هى نتاج نأثر -غير مباشر- بالطبائع والصفات التى تكوّن شخصية هذا المجتمع.

لكن ثمة إشكالية قد تواجه القارئ فى تصفحه للمقدمات التى بدأت بها الدراسة؛ فالدراسة فى الأساس تبحث فى مكونات الشخصية الأمريكية بفرديتها متعددة الطبائع وصولاً إلى تأثيرها فى العقل الجمعى للشعب الأمريكى كمثلة له، والعقل الجمعى فى أبسط تعريفاته هو مجموع القنوات التى تتشكل فى عقل الأغلبية من الناس تشكلاً جبرياً يكون فى الغالب عن طريق ما تفرضه السلطة الحاكمة فى أذهان الشعب بشتى الوسائل الإعلامية حتى تخلق حقائق يعتنقها ويساعد فى تحقيقها ما يسمى بإرادة الرأى العام "العقل الجمعى للجماهير".

والعقل الجمعى للجماهير هو أدنى درجات التفكير والاستجابة الغير عقلانية؛ ذلك لأن الحشود الكبيرة دوماً تنزل إلى مستوى الصفات المشتركة التى تجمع بينها، والتى هى فى الغالب صفات غريزية!! بما يعنى تعطل ذكاء "الفرد" المكوّن للجماهير، ويصبح

محكوماً - وسط الحشود - بتصرفات تلقائية هي أقرب ما تكون إلى الاستجابات اللاشعورية، فيفكر ويشعر ويعمل بطريقة مختلفة تماماً عن التي يمارسها كل فرد على حدة؛ ولهذا فإنَّ الفرد داخل الجماعة يغلب عليه الانقياد والاندفاع، وسهولة التأثر بالإيحاء، وضعف القدرة على التفكير المنطقي الموضوعي، والنقد النزيه (١).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة الشخصية "الفردية" الأمريكية بشكل مستقل عن "العقل الجمعي" للشعب الأمريكي، فإن كانت كل جماعة تتكون من أفراد، إلا إنَّ الجماعة - من الناحية النفسية - ليست هي المجموع الحسابي للأفراد؛ لأنَّ التشكيل الجديد - الذي يتكوّن أساساً من الأفراد - يتميز بخصائص مختلفة تماماً لا توجد في "الفرد" الواحد.

الفرد الأمريكي.. تاريخ التشكل:

تشكل شخصية الفرد - بشكل عام - عبر شبكة معقدة من المعارف والمعتقدات والعادات المتراكمة التي لا يسهل محوها، والتي تصبح قالباً فكرياً ثابتاً يبنى على أساسه الفرد اختياراته في الحياة.

وقد اهتم السياسيون في أوروبا قديماً بتأثير الفرد في القرارات السياسية، فكانت إحدى الطرق التي تُستخدم لإعادة تشكيل الشخصية الأوروبية في القرون الماضية هي إحياء تقاليد بعينها من الماضي، وتوظيف هذه التقاليد في إيقاظ التنافس القومي لإحباط مساعي الإمبراطوريات في إقامة أنظمة مركزية.

وتميز المجتمع الأمريكي في بدء تشكله بتعدد أنماط شخصياته وتنوعها؛ بل وتناقضها أيضاً، فقد تعددت أسباب هجرة الأمريكيين من أوروبا إلى "العالم الجديد"، فمنهم من فر من الاضطهاد الديني، ومنهم من فر من تاريخ إجرامي يلاحقه، ومنهم من جاء لإقامة "مملكة الرب"، واشتركوا جميعاً في الرغبة في حياة جديدة تمحى تاريخهم القديم، وهو الأمر الذي عبر عنه أحد مؤسسي الدولة الأمريكية "إبراهيم لنكولن" في قوله: "الأمريكيون لا يهتمون من كان أجدادهم.. المهم من هم الآن".

أمريكا إذن بلد ذات تاريخ ضئيل - لا يُذكر - وجغرافيا شاسعة ممتدة، فمواجهة

العالم الجديد كانت تتطلب التخفف من تاريخ مرهق ومثقل بالتبعات والمسؤوليات، ولعل تلك النظرية تتجلى بوضوح في طريقة ونمط تفكير أحد أشهر الشخصيات السياسية الأمريكية، فالرئيس الأمريكى السابق "بيل كلينتون" حين أراد أن يحل معضلة القدس، رأى أنه من مصلحة العرب أن يتركوا القدس لإسرائيل، وإن أصر المسلمون فيإمكانهم إطلاق اسم "القدس" على أية قرية قريبة لا تبعد كثيراً عن "القدس الأصلية"؛ فإنهم في أمريكا قد فعلوا ذلك كثيراً فهناك مدن أمريكية اسمها "القدس" و"القاهرة" و"بيروت"!

إذن الشخصية الأمريكية المتخففة من أعباء التاريخ، يمكن أن تحول مشكلة كبيرة مثل "القدس" من قضية تاريخ إلى قضية جغرافيا.

ورغم ذلك كان "الدين" - باعتباره أحد الموروثات القديمة - أحد أهم دوافع الهجرة للعالم الجديد، حيث كان من بنود نشرة (معلومات لمن يريدون الانتقال لأمريكا) التى كتبها "بنجامين فرانكلين": "عدم الإيمان بالرب غير معروف هنا، ويمكن للإنسان فى هذه البلاد أن يعيش عمراً طويلاً دون أن تتعرض تقواه لأى صدمة أخلاقية من جراء مقابلة كافر أو ملحد".

وكان من أهم الطوائف المتدينة المهاجرة "طائفة البيوريتانيين - آية التطهيريين - التى فرت من اضطهاد الكنيسة الإنجليزية وكانت تؤمن بمعتقد "الشعب المختار" والتى كانت تهدف إلى إقامة "أرض ميعاد جديدة"، حين سموا رحيلهم من إنجلترا "خروجاً ثوراتياً جديداً"، وبسبب معتقد "الشعب المختار" حدث أكبر مجازر التطهير فى القارة الأمريكية، فمن أجل أن تسود "مملكة الرب" بأيدى "الشعب المختار" لابد من استئصال كل من يواجهها، وتشكل تبعاً لذلك مفهوم "القوة المستمدة من الرب" لدى الشخصية الأمريكية التى أصبحت تؤمن بالقوة كحل مطلق لكل العقبات التى تعترض إنشاء مملكة الرب.. المصالح "الدينية" تحتاج إلى قوة كى تتحقق، وكذلك القيم "الدينية" لا تتشرب بغير القوة!

لذلك نرى الشعار المحرك "من أجل الرب" قد استخدمه الساسة الأمريكيون بإلحاح في مواقف ليس للقوة فيها مبرر فعلى كغزو أفغانستان والعراق على سبيل المثال.

الأوروبي والأمريكي.. هل هما "شخص غربي" واحد؟

ينقلنا الفصل الثالث إلى عقد مقارنة بين الشخصية الأمريكية والأوروبية، حيث يشير في البداية إلى التباس ربما يقع فيه كثير من المفكرين حين ينظرون للأوروبي والأمريكي كأنهما "شخص غربي" واحد، وربما يتشابه النموذجان في بعض العادات والأخلاقيات، إلا أن ثمة فوارق كبيرة في النواحي الفكرية والثقافية لا يمكن تجاوزها.

ويمثل عنصر "القوة" أهم تلك الفروق؛ فبينما يتعامل الأوروبي مع "عقدة القوة" بشيء من الحذر والفتور وربما الشعور بالذنب بسبب ما ألحقه بالعالم قديماً حين امتلكها "مثال الحربين العالميتين"، في حين يمثل امتلاك "القوة" ولعاً لدى الشخصية الأمريكية، حيث هي تغرم بها كحل أوحده يأتي على رأس خطط التحرك والمواجهة؛ ولهذا نرى دلالة اختلاف تعاطي كلا النموذجين مع قضية مثل العراق، فبينما فضل الأوروبيون احتواءها، كان الأمريكيون يصرون على طرح خيار القوة من البداية.

كذلك يمثل "الدين" عنصر اختلاف آخر بين النموذجين الأوروبي والأمريكي، ففي الوقت التي أقصت فيه الدول الأوروبية الدين وعزلته في الكنائس، سعت الشخصية الأمريكية لإخراجه واستئناسه والبدء في تطويره لخدمة مصالحها مع الاحتفاظ بالهوية العلمانية التي تفصله عن التدخل المباشر.

فالقادة المؤسسون لإمبراطورية العالم الجديد استخدموا "الدين" كأداة للتأثير على العقول والقلوب، فلا تنتهي خطبة سياسية حماسية إلا بدعاء أن يحفظ الرب أمريكا؛ لأنها تفعل ذلك من أجله، وأصبح الدين يخدم علمانية الدولة مثل أن يبرر استخدامها القوة من أجل نشر قيم تغلف مصالح وأطماع تلك الشخصية المتناقضة.

رسم ملامح الشخصية الأمريكية

نجح الباحث -الذي عاش في الولايات المتحدة قرابة ١٨ عاماً- في رصد تسعة

عشر ملمحاً، أو سمة تميز الشخصية الأمريكية، حيث هناك سمات ذات تأثير مباشر على صنع القرار السياسى الأمريكى، وسمات أخرى تشكل فى محصلتها العقل الجمعى للشعب الأمريكى، وكان أهم تلك السمات:

الفردانية: فالأمريكى يقدس ما يمكن أن نسميه "لانهائية استقلال الإنسان" كما عبر عنها الفيلسوف الأمريكى "رالف والدو"، وحيث كانت تسود الصورة الذهنية لراعى البقر الأمريكى الذى ينقذ العالم من الأشرار ثم يرحل وحيداً، كانت تتعمق النزعة الفردية لدى أفراد المجتمع، فراعى البقر وحده من يعرف الأشرار ويقرر أنهم كذلك! وهو من يحاربهم دون أن يطالبه أحد، وينقذ من قد لا يرغبون فى ذلك، تلك الصورة التى لا تسعى لتقديس فردانية الشخص واستقلاله بقرارات حياته المصيرية قدر ما تريد القول أن البطل الذى ينال إعجاب الناس فى النهاية بما فعله هو من قاوم الالتحاق بالجماعة والمشاركة فى قراراتها.

ولعل التفكك الاجتماعى وانهيار الأسرة الذى يعانى منه المجتمع الأمريكى الآن يرجع فى أهم أسبابه إلى الفردية وأتانية الفرد الذى يعرف أنه أهم من الجماعة.

الشعور بالاستثنائية: ذلك الشعور الذى ولدته النزعة الدينية القديمة "الشعب المختار الذى جاء ليقيم مملكة الرب الجديدة"، تلك النزعة التى تسوغ له بالتالى ارتكاب كل الحماقات التى يرى باستمرار أنها الصواب!!

النفعية والبرجماتية: تطور مفهوم البرجماتية النفعية لدى الفرد الأمريكى ليصير معادلاً للأديان السماوية، حيث حددت الطبيعة النفعية علاقة الفرد بالفرد، وعلاقته بالطبيعة؛ بل وعلاقته بالإله الخالق.

لذلك لم تكن السياسة فى نظر الأمريكى صراعاً من أجل المبادئ والقيم... اللهم قيمة المصلحة والنهج الذى يحققها.

التناقض: يرجع التناقض فى المجتمع الأمريكى نتيجة تكونه من خليط مختلف من البشر جاءوا من أماكن متعددة بأفكار وآمال وطموحات مختلفة، كونت فى النهاية ذلك الكيان المتناقض المتباين.

ويتجلى ذلك التناقض فى الرؤى المختلفة لسياساتها الخارجية، حيث دعواتها المستمرة لتصدير الحلم الديمقراطى للعالم العربى باستخدام أساليب "ديكتاتورية" لفرض هذا الأمر، وكذلك تسويقها فكرة حماية حقوق الإنسان إلى العالم، ثم انتهاكها لتلك الحقوق داخل أراضيها!

الرغبة فى التوسع: لم تخف الرغبة التوسعية عند الأمريكى منذ مجيئه إلى العالم الجديد الذى كان بالنسبة له موطناً وليس وطناً، موطناً دون تاريخ، ودون حدود جغرافية؛ لذلك كان كل من يقدر على اختراق الأفق ليضم قطعة جديدة للأرض كان يفعل ذلك دون تردد!! فكلمة "الحدود" - كما يقول روجيه جارودى - لم تكن مدرجة فى قاموس الفرد الأمريكى مثل رديفتها فى أوروبا، "إنما كان الفضاء الجغرافى أمامه مفتوحاً لكل أنواع السلب، وأشكال الإبادة"، فالتوسع - الذى صار مزاجاً نفسياً - كانت تطور طبيعى للنزعة الفردية البرجماتية التى تشكلت عقب مجيئه.

وفى سعيه إلى تحقيق رغباته التوسعية يتولد عنده ميل همجى إلى العنف واستخدام القوة المفرطة حتى فى أبسط حالات التنفيس عن الشعور بالضيق!!

نقص الاهتمام بالخارج: وهى السمة التى تعكس عيياً معرفياً يكون له دور سلبى فى رؤية الأمريكى للآخر خارج بلده، ففى دراسة أجراها مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية عن اهتمام الشخص الأمريكى بالسياسة الخارجية وأخبار العالم وجد أن ٢٩٪ فقط من الشعب الأمريكى ممن يهتمون بأخبار البلدان الأخرى، ولعل النسبة زادت قليلاً عقب أحداث ١١ سبتمبر، إلا أن المؤكد أنها تعود إلى التضاؤل مرة أخرى، بسبب سعى بعض وسائل الإعلام لاستثمار ذلك النقص فى نقل صورة مشوهة غير مكتملة عما يحدث فى الخارج وتصديرها إلى الأمريكى كما تريدها هى.. لا كما تحدث فعلاً!!.

دورنا فى التأثير.. صياغة ناقصة!

فى سعيه لصياغة تصورات عملية لكيفية التأثير فى الشخصية الأمريكية التى تؤثر بدورها فى صناعة القرار السياسى الأمريكى، يطرح الباحث تصوره الذى يعتمد على

تقديم نماذج متميزة للشخصية المسلمة تواجه الصورة الذهنية المزيفة عن العرب والمسلمين في الغرب عامة وعند الأمريكيين خاصة.

كما يوصى بضرورة إنشاء لوبي عربي إسلامي داخل الولايات المتحدة الأمريكية يتولى حشد الأصوات والأموال للتأثير السياسى طويل المدى، إضافة إلى الحاجة الملحة إلى إنشاء مراكز بحثية تهتم بدراسة البنية العقلية للشخصية الأمريكية.

وإن جاءت التصورات التي اقترحها الباحث لدورنا في التأثير وتوجيه عقلية الفرد الأمريكي لصالح قضايانا قاصرة بعض الشيء، إلا أن تفصيل الكتاب للشخصية الأمريكية جاء بمثابة إضافة معرفية جديدة كانت تفتقدها المكتبة العربية؛ لفتح آفاقاً جديداً للمزيد من البحوث التي تساعد في شق طريقنا إلى فهم البنية العقلية للفرد الأمريكي.

ينبغي علينا التفريق في تلك المسألة بين "العقل الجمعى" للغرب، و"العقل الجمعى" الإسلامى، فإن الجماهير المسلمة تتحرك في سلمها وحربها على هدى من شرع الله عز وجل، والعقل الجمعى الإسلامى ليس عقلاً عشوائياً ولا غوغائياً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتى على ضلالة"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

والفرد المسلم إزاء هذا العقل الجمعى عقل يقظ حذر، لا يذوب فيه، ولا ينجرف معه، ولا يفقد استقلاليتته التى يستمدّها من الشرع، وهو فى خضم هذا العقل كذلك لا يفقد سيطرته على إدراكه.



obeikandi.com



obeikandi.com

جامعة أم القرى

إن نشأة جامعة أم القرى فى بلد الله الحرام يضفى عليها طابعاً يميزاً كمؤسسة علمية وثقافية تهتم بالإسلام، وترسيخ التصورات الإسلامية فى مختلف مجالات العلوم والفنون واحتياجات التنمية السريعة للبلاد عن طريق المساهمة فى تنمية القوى البشرية وتوفير الخدمات المطلوبة على مستوى القطاعين العام والخاص.

إن البداية التى انطلقت منها الجامعة تعود إلى عام ١٣٦٩ هـ حين أسست كلية الشريعة كأول صرح فى التعليم العالى بمفهومه الحديث فى المملكة العربية السعودية وفى عام ١٣٧٢ هـ تم إنشاء معهد عال للمعلمين باسم كلية المعلمين استمرت إلى عام ١٣٧٩/٧٨ هـ فأسندت مهمة إعداد المعلمين لكلية الشريعة عام ١٣٨١/٨٠ هـ وسميت كلية الشريعة والتربية، وفى عام ١٣٨٢ هـ أنشئت كلية التربية بمكة مستقلة عن كلية الشريعة.

استمرت الكليتان تابعتين لوزارة المعارف حتى التحقتا بجامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة ١٣٩١ هـ ثم التحقتا بجامعة أم القرى سنة ١٤٠١ هـ فكانتا الكليتان نواة لجامعة أم القرى مع معهد اللغة العربية.

وفى شعبان من عام ١٤٠١ هـ صدر الأمر الملكى بإنشاء جامعة أم القرى بمكة المكرمة ثم اعتمدت لها ميزانية مستقلة اعتباراً من ١٤٠١/٧/١ هـ وصدر نظامها بقرار من مجلس الوزراء الموقر برقم ١٩٠ وتاريخ ١٩/٩/١٤٠١ هـ وكانت من أهم الأهداف التى ما زالت تسعى الجامعة لتحقيقها ما يلى :

- توفير أسباب التعليم الجامعى والدراسات العليا لإعداد مواطنين أكفاء مؤهلين لأداء واجبهم للنهوض بأمتهم فى ضوء مبادئ الإسلام.

- القيام بدور إيجابى فى ميدان البحث العلمى عن طريق إجراء البحوث وتشجيعها

وإنشاء مراكز للبحث وإيجاد الحلول السليمة الملائمة لمتطلبات الحياة المتطورة واتجاهاتها التقنية.

- إعداد علماء ومدرسين متخصصين.

- المساهمة في تلبية احتياجات البلاد الإسلامية التي تخصص طائفة من أبنائها في العلوم بمختلف فروعها.

وفى بداية عام ١٤٠٦ هـ تشرفت جامعة أم القرى بوضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حجر الأساس للمدينة الجامعية فى العابدية لتتابع مسيرتها التعليمية الظافرة فى رحاب مكة المكرمة ولاستيعاب الأعداد المتزايدة للمتقدمين للقبول فيها من الطلاب والطالبات ولمواكبة التطور الحضارى والعمرانى الذى تشهده جامعات المملكة العربية السعودية وقد بدأت بفضل من الله تعالى مرحلة الانتقال التدريجى إلى مقر الجامعة الجديد بالعابدية مع بداية العام الجامعى ١٤١٥ هـ بثلاث كليات تعليمية : كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الهندسة والعمارة الإسلامية ، ثم تبعتهن كلية الطب والعلوم الطبية حيث صدر الأمر السامى الكريم القاضى بإنشاء كلية الطب والعلوم الطبية فى عام ١٤١٦ هـ وسيتولى هذا الانتقال حيث تستكمل إشادة أبنيتها وفق المخطط العام المعتمد بعون الله تعالى.



القسم السادس
تقارير ومتابعات

obeikandi.com

تقرير عن زيارة وفد البرلمان السويدي لرابطة الجامعات الإسلامية

إعداد: أ/ أحمد على سليمان (*)

استقبل الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية بمكتبه صباح يوم الأحد ١٣ يناير ٢٠٠٨م وفدا سويديا رفيع المستوى يضم عشرة من أبرز أعضاء البرلمان السويدي. وحضر اللقاء الدكتور يان هنجستون مدير المعهد السويدي بالأسكندرية ومستشار السفارة السويدية وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي بالقاهرة.

واستهدف اللقاء زيارة رابطة الجامعات الإسلامية، والاطلاع على جهودها في مجال الحوار بين الحضارات بهدف تحقيق التفاهم والتقارب بين الإسلام والغرب.

وقد دارت مناقشات علمية مطولة بين الوفد وبين الأمين العام للرابطة، حيث قام سيادته بالرد على جميع التساؤلات الموجهة من الوفد السويدي، موضحا الرؤية الإسلامية الصحيحة لعدد من القضايا الشائكة التي كانت تمثل مسار الخلاف بيننا وبين الغرب مثل قضايا حقوق الإنسان في الإسلام، وحقوق المرأة ومكانتها في الشريعة الإسلامية، ومفهوم الجهاد في الإسلام وضوابطه وقبوه ...

وشدد سيادته على أن الإسلام يرفض عددا من المفاهيم التي تروج لها الأمم المتحدة من خلال مؤتمرات السكان مثل مصطلح الجندر والزواج المثلي وكل أشكال العلاقات خارج نطاق الزواج كما يرفض الإباحية الجنسية، نظرا لتعارضها مع جوهر الشريعة الإسلامية.

وقد أبدى الوفد السويدي ارتياحه الشديد لمعرفة حقائق الإسلام من منابعه الأصلية، التي أسهمت بشكل كبير في تصحيح تصوراتهم المغلوطة عن الإسلام والتي

(*) باحث - المدير التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية.

رسختها بعض وسائل الإعلام..

وتأتى أهمية هذه الزيارة نظرا لكونها تضم عددا من صنّاع القرار الذين يعول عليهم أن يكون لهم دورهم الإيجابي فى تعضيد أو اصر الصداقة بيننا وبين الغرب، وفى توضيح الصورة الحقيقية للإسلام، وإزالة الأفكار الخاطئة الراسخة فى الأذهان عن الإسلام هناك ..

وفى نهاية اللقاء أعرب أعضاء الوفد السويدى عن اتفاقهم مع الرؤية الإسلامية فى كثير من القضايا التى طرحت، وطالب الطرفان بالعمل الجدى على فتح نوافذ لعلاقات فكرية مستمرة ، وبمزيد من الحوار والتواصل والتعاون وعقد اللقاءات العلمية المشتركة بين الجانبين، وتبادل الوفود والزيارات بينهما.

تقرير عن

فعاليات التظاهرة الثقافية حول "اللغة العربية في إفريقيا"

إعداد: أ/ محمد القرشي (*)

شاركت رابطة الجامعات الإسلامية، متمثلة في أمينها العام الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام، بدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في فعاليات التظاهرة الثقافية حول "اللغة العربية في إفريقيا" والتي عقدت في جمهورية مالي في الفترة من ١٥-١٨ يناير ٢٠٠٨م وحضرها لفيف من الخبراء والأساتذة المتخصصين والمفكرين والمثقفين والمعنيين بقضايا اللغة العربية ونشرها في إفريقيا، وعدد من عمداء الكليات والسفراء المعتمدين لدى جمهورية مالي الذين شاركوا في افتتاح مبنى شعبة اللغة العربية بجامعة باماكو، وتدشين المبنى المخصص لها الذي قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ببنائه وتجهيزه، بحضور الدكتور محمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ورئيس مجلس الوزراء في حكومة مالي..

وقامت الوفود المشاركة بجولة في أقسام المبنى التعليمي الذي قدمته الجمعية لجامعة باماكو ليلحق بمرافق وقاعات كلية الآداب واللغات والفنون والعلوم الإنسانية، حيث اطلع الجميع على المكتبة التي تم تزويدها بمئات العناوين في مختلف التخصصات العلمية لتكون مرجعا لطلاب شعبة اللغة العربية، كما اطلعوا على قاعات الدراسة التي ضمها المبنى التعليمي، بالإضافة إلى المرافق الحيوية الأخرى.

وقد أقيم بهذه المناسبة احتفال حضره رئيس الوزراء مكلفا من رئيس الجمهورية، ووزير التعليم العالي والثانوي والبحث العلمي في جمهورية مالي، وأمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام بالجمهورية العظمى، وعميد السلك الدبلوماسي وعدد من السفراء المعتمدين لدى جمهورية مالي، والقائم بالأعمال بالمكتب الشعبي العربي الليبي في باماكو، وسفير مالي لدى ليبيا، ومدير جامعة باماكو وعدد من عمداء الكليات،

(*) قسم المراجعة والتدقيق.

كما حضره مدير الجامعة الأسمرية بليبيا، وعميد كلية الدعوة الإسلامية، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، وأمناء مكاتب الدعوة والمراكز الإسلامية، والمؤتمرات والهيئات الدولية والتعاون، والإعلام والبحوث والنشر، بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ووفود إسلامية من دول غرب إفريقيا، وعلماء من مصر، وتونس، والجزائر، والمغرب وموريتانيا، والعديد من الفاعليات المسلمة في جمهورية مالي، وجماهير طلابية غفيرة .

وأعرب الوزير المالي في كلمته عن تقدير بلاده لجهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في دعم العملية التعليمية في بلاده موضحاً أن المبنى الذي أنجزته الجمعية لصالح كلية الآداب، وهو ثمرة من ثمرات التعاون بين جامعة بماكو وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية . وأضاف الوزير في كلمته : أن ما قدمته الجمعية يعد دعماً كبيراً للتعليم العربي والثقافة الإسلامية ، مشيراً إلى أن التعليم العربي الإسلامي يعتبر من أقدم أسس التعليم في مالي، مؤكداً على اهتمام حكومة بلاده بدفع عملية التعليم والبحث العلمي، مشيراً إلى عدد من المشاريع والخطوط المزمع اتخاذها من أجل دفع العملية التعليمية إلى الأمام. ودعا الوزير أعضاء الأسرة الجامعية أسانذة وطلاباً إلى الاستفادة من هذا الدعم الذي تلقتة جامعة بماكو، واستخدامه بشكل جيد، منوها بجهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ومقدراً إسهاماتها التي تشكل تشجيعاً مهماً للعلم والتعليم والعملية التعليمية.

وقد قدم أ.د/ جعفر عبد السلام بحثاً حول جهود رابطة الجامعات الإسلامية في النهوض باللغة العربية، أوضح فيه أن اللغة العربية تستمد أهميتها؛ بل قدسيته، من كونها لغة القرآن الكريم، ولذلك فالمحافظة عليها وتيسير استعمالها، والنهوض بها، يعتبر ركيزة أساس في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق الترابط بين الهوية الإسلامية، ودعم الشخصية الإسلامية والحفاظ على تراثنا الحضاري الإسلامي في العالم المعاصر، لتكون اللغة العربية - كما أراد لها الله - لغة الحضارة ولغة العلم ولغة الحياة ولغة الإسلام دنيا وديناً.

وأوضح سيادته أن الرابطة قد أولت هذه القضية اهتماماً كبيراً، واعتبرتها من أهم

قضايا العالم الإسلامي، التي تتعلق بتحقيق عروبة اللسان المسلم، وأن الإهمال في هذا الشأن يعتبر تقصيراً كبيراً في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

كما أُلح إلى أن الرابطة قد نتهت إلى أن الأفارقة قد تركوا العديد من كنوز الثقافة الإسلامية وكتب التراث الإسلامي المكتوب باللغة العربية، وأن عدم معرفة الأجيال الأفريقية المسلمة باللغة القرآنية قد حال دون الاستفادة من هذا التراث، وهو ما يستدعي إعادة تحقيق ونشر وترجمة المعارف الإسلامية التي أنتجها علماء الإسلام الأفارقة.

وأشار إلى أن لجنة النهوض باللغة العربية في الرابطة - والتي تضم نخبة من الخبراء والأساتذة المتخصصين في اللغة العربية - قد عقدت عدة اجتماعات في أروقة الرابطة، وقدم أعضاؤها عدداً من أوراق العمل والأبحاث والدراسات التي تناولت مختلف جوانب قضية اللغة العربية وتعليمها. ووضعت اللجنة تصوراً لخطّة عمل لبعض المشروعات التي يمكن القيام بها للنهوض باللغة العربية استعرضتها باستفاضة في البحث المقدم.

وتقوم لجنة النهوض باللغة العربية في الأمانة العامة للرابطة بمتابعة تنفيذ هذه المشروعات، وأكدت على أهمية الاهتمام بتوصيات مؤتمرات تعليم اللغة العربية حيث يمثل حصاد هذه المؤتمرات والندوات رصيذاً لا يستهان به، وثروة علمية يلزم الاستفادة بها واستثمارها عند وضع تصور لتطوير تعليم اللغة العربية، ويستهدف جمع هذه التوصيات الوقوف على حركة الاهتمام باللغة العربية وتعليمها، والتعرف على التوجهات العامة التي يلتقي عندها الخبراء والمفكرون والمتخصصون حول قضايا اللغة وتعليمها، والإلمام بالرؤية الشخصية الجماعية لهؤلاء الخبراء والمتخصصين مما ينتج عن الحوار بينهم ومما لا يتوفر في الكتب والمراجع، وما يحدد أبعاد المعاصرة والتحديث في تعليم اللغة العربية، ومما يساعد في نهاية المطاف في تحديد أولويات العمل وأساليب التنفيذ.

وقال سيادته: إن رابطة الجامعات الإسلامية في كل الفعاليات دائماً ما تنادي بتحقيق الانتصار للغة العربية لغة القرآن الكريم لتصبح لغة الحضارة ولغة الحياة.

كما أكد على أن رابطة الجامعات قد أخذت على عاتقها مسئولية النهوض باللغة

العربية، واعتبرت أن هذه المسؤولية تقع بدرجة كبيرة عليها؛ لأن هذه الرابطة تضم الآن أكثر من مائة جامعة منتشرة في قارات العالم، إضافة إلى ذلك فإن الجامعات الإسلامية تزخر بطاقات علمية خلاقة مبدعة تستطيع - بعون الله - وبجهود الأمانة العامة للرابطة أن تستنفر كل الطاقات وتشحذ الهمم، وتشد أزر العاملين المخلصين لهذه القضية اللغوية المهمة ذات الأبعاد الدينية والسياسية والقومية، معتبرة أن اللغة هي السياج المنيع الذي يقوى شخصية الأمة الإسلامية ويحفظ لها هويتها واحترامها.

وبنه سيادته إلى مدى الخطورة التي ربما تجرّها التحولات العالمية بجميع أنماطها وأشكالها على دور العربية في أوطانها في التعبير عن الفكر العلمي الحديث وعن التقنيات الحديثة، وعلى دورها في ترسيخ الهوية العربية وجوهر وجود أمتنا الإسلامية وإرساء دعائم وحدتنا.

كما طالب سيادته بعقد كثير من المؤتمرات العلمية التي تدارس قضايا النهوض باللغة العربية ومستجدات العصر، والتي تتلاقح فيها أفكار العلماء ورجال اللغة، لتخرج لنا اللآلئ الثمينة والدرر الغالية والكنوز المخبأة في لغتنا التي تحمل بين جنباتها أسراراً وأسراراً تحتاج كل وقت وحين إلى غواصين مهرة لينقبوا عنها، وينفضوا عنها غبار الماضي التليد، لتبدو في ثوب قشيب مرحبة بكل جديد.. مقدمة عطاءاتها لجميع مستحدثات العصر، وهي تهتف قائلة :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي ؟ !!



تقرير عن ندوة معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠٠٨م

"كاتب وكتاب"

إعداد: أ/ مروة حسنى (*)

عقدت رابطة الجامعات الإسلامية على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب ندوة علمية بعنوان: (كاتب وكتاب) لمناقشة كتاب (الأوراق الخاصة لطف حسين) فى يوم الجمعة ١٦ محرم ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠٠٨ م.

أدار الندوة الأستاذ الدكتور صابر عرب رئيس دار الكتب المصرية، وشارك فيها الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والأستاذ الدكتور محمد الدسوقي الأستاذ بجامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور أحمد زكريا الشلق وكيل كلية الآداب جامعة عين شمس ولقيف من المثقفين ورواد المعرض.

فى البداية تحدث الأستاذ الدكتور صابر عرب قائلاً: إن هذا الكتاب كتاب (الأوراق الخاصة لطف حسين) به مجموعة من الأوراق والمراسلات الخاصة لطف حسين وهذه الأوراق أودعت منذ فترة مبكرة من العقد الثانى من القرن المنصرم وقد وجدتها بالصدفة فى دار الكتب المصرية، ثم بعد ذلك بدأت فى قراءة هذه الأوراق بإمعان، حيث وجدت أن ما كتبه لطف حسين فى كتاباته الشهيرة شىء وما كتبه فى الصحف شىء آخر، ووجدت أيضاً أنه إذا كان لطف حسين قد بدأ حياته أديباً فقد انتهت حياته وهو سياسى، وقد عرفت ذلك مما كتبه لطف حسين فى الصحف المصرية، وكانت له ثلاثة مجلدات فى السياسة ضمن المجلدات الست التى نشرناها، وقد تنقل لطف حسين خلال هذه المجلدات السياسة من الأحزاب السياسية المصرية المختلفة، ولكنه ما كان فى يوم من الأيام وفدياً، ولم يكن حراً دستورياً، كما لم يكن من أنصار الحزب الوطنى، حيث كان مثقفاً كاتباً صاحب موقف ورأى، وعندما قرأت أوراق هذا الكاتب العظيم سألت نفسى كم كان يقرأ هذا الرجل ليكتب كل هذا، وأشار إلى أن من يجب أن يكتب عن لطف حسين فعليه الاستعانة بهذه الأوراق فإن هذه الأوراق تدل على شخصية لطف حسين الحقيقية.

(*) أمينة المكتبة برابطة الجامعات الإسلامية.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام فبدأ حديثه مرحبا بالحضور وقال إن دار الكتب تعمل على إحياء الفكر بعامة، الفكر الإسلامى والفكر الوطنى .. وماذا نقول عن عملاق ضخّم ملأ الدنيا بأفكاره وجهوده العظيمة" فله باع فى السياسة والأدب، وقد أثرى الحياة السياسية بكثير من الآداب والمعارك الأدبية، فعلى سبيل المثال كانت هناك معارك بينه وبين مصطفى صادق الرافعى مما جعل الرافعى يكتب "نحت راية القرآن"، وهذه المعارك مهمة للغاية فقد كانت تبرز العلاقة بين القانون وحرية الرأى والفكر، وهل القانون له كلمة فى هذه المواقف أم لا؟ وبالذات معارك طه حسين مع أدباء عصره لاسيما المتعلقة بالإسلام، وإنه لمن حسن الحظ أن معركة البرلمان كانت برئاسة سعد زغلول، وانتهت بإحالتها إلى النائب العام الذى أصدر قرارا مهما بحفظ البلاغ، وأثبت أن طه حسين ربما يكون أخطأ؛ ولكنه فى النهاية لا يوجد قصد جنائى لديه؛ لأنه صرح بعد ذلك بأنه يؤمن بالله ورسوله وبالיום الآخر وأنه لم يقصد الإساءة لأحد، كما لم ينكر معلوما من الدين بالضرورة، وأن هذه المعارك الأدبية المتنوعة قد أوجدت قدرا من الثقافة والقدرة على الفكر والتمييز لدى البسطاء، فمقولة طه حسين بأن العلم كالماء والهواء، تعطى العلم قدرا كبيرا من الأهمية، والجدية التى أحاطت به وبكثير من العلماء والمفكرين ونحن نحتاج إليها الآن وأن نكمل ما بدأه حتى يكون الفكر والثقافة لهما قيمة كبيرة فى حياتنا.

وقد اهتم طه حسين بالثقافة اهتماما كبيرا فأنشأ مجلسا للثقافة يعادل الآن وزارة الثقافة، فقد استنبطت من مشروعاته الثقافية والعلمية والفكرية بعض الأمور منها: أنه كان حريصا على الاهتمام بالمصريين وتاريخهم لكنه عاب على أبناء جيله أنهم لم يقوموا بكتابة تاريخهم بأيديهم وتركوا هذه المهمة للأجانب، وقد حضرت احتفالا فى جامعة بولونيا وحضر فيه بعض الأشخاص الذين وضعوا (الماجنا كارتا) وهى وثيقة خاصة بالتعليم الجامعى صيغت بجامعة بولونيا منذ القرن التاسع عشر، والواقع أن طه حسين اهتدى إلى هذه المبادئ بنفسه منذ زمن بعيد، وتدل كل أوراقه ورسائله أنه كان حريصا كل الحرص على قضية البحث العلمى وحرية الفكر، وأنه عمل على إقامة الكليات والمعاهد العلمية فقد أولى هذه القضية عناية فائقة، وأن توليته لوزارة المعارف

فى عام ١٩٥٠م فترة خصبة مليئة بالبحث العلمى، وقد خاض معارك فى غاية الأهمية لجعل التعليم مجانياً.

ما أحدثه طه حسين فى الاهتمام بالنهوض باللغة العربية يملأ مجلدات لعرض المعارك التى خاضها للنهوض باللغة العربية، وأيضاً الإسلاميات مثل: "مرآة الإسلام"، و"الوعد الحق"، و"على هامش السيرة".

ومن الأمور التى أثرت فى شخصيته أن ظروفه شبيهة بظروف أبى العلاء المعرى، ولذلك نجد أن رسالته كانت عن أبى العلاء المعرى.

وقضية أنه كان مفكراً كان لها أثرها الكبير على إنتاجه العلمى وعمله فى وزارة المعارف، وطه حسين لم يمت ففكره لا يزال موجوداً ويؤثر فىنا حتى الآن، حيث أسس الدورية الشهيرة (أقرأ) التى استفاد منها الكثير من المصريين، وللأسف الشديد فقد ضعفت جداً الآن، إذن فتأثيره فى الحياة الأدبية والثقافية ليس قطرياً؛ وإنما تعدى فى ذلك الحدود والجغرافيات.

واختتم الدكتور جعفر حديثه عن علاقة طه حسين بعبد الرازق السنهورى وأن عبد الرازق السنهورى كان يرسل طه حسين ليسأله عن كثير من القضايا القانونية.

ثم قدم الدكتور صابر عرب الشكر للأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام، وأشار إلى أن طه حسين هو صاحب فكرة إنشاء جامعة أسيوط وجامعة عين شمس وجامعة الإسكندرية.

وأضاف أن القضايا التى أثارها طه حسين منذ الثلاثينيات وحتى الستينيات لا تزال مطروحة حتى الآن، وقال أعتقد أننا فى حاجة إلى إعادة النظر فى كتب طه حسين المغمورة، ومقولته أن الجامعة ينبغى أن تكون بلا دين فينبغى أن تكون للعلم فقط.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي قائلاً: إننى أتحدث من خلال معاشرتى لطفه حسين، وما لاحظته أن هذا الرجل كان عاشقاً للقراءة فقد قرأت له كتاب "المبرد" للكامل أربع مرات فكان يقول إننى كنت أقرأ حتى الثالثة صباحاً وفى السابعة أقوم لأذهب إلى الجامعة، وكان يريد أن يطلع على كل ما يتاح إليه من معارف، وكان هذا

الرجل لديه جانب إنسانى وهو متابعة الكوارث الطبيعية و التأثر بها كما كان يشفق على المتسولين، وكان إنسانا مهذباً لطيفاً طريفاً .

وأضاف: عندما كنت أقرأ له أقول له معذرة إن كنت أخطأت فيقول لا عليك وأكمل، وكان هذا الرجل إذا تحدث كأنه سيل من الفكر، وكان رحمه الله يتمنى قبل وفاته أن يكمل كتاب الأيام، وكان دائماً يقول إن الأدب العربى خال من المضمون، وقد اهتم طه حسين اهتماماً بالغاً باللغة العربية، وللأسف نرى الآن استهانة باللغة العربية حيث قرأت بالأمس مقالة لأحد الكتاب وجدت بها العديد من الأخطاء، ونجد أيضاً الصحف الآن تكتب العناوين بالعامية، فلغتنا هى لغة عقيدتنا ولغة ديننا وتضييعها يعد تضييعاً للتراث والفكر، فالحديث عن طه حسين يحتاج إلى العديد من الندوات وليس ندوة واحدة.

ثم علق د. صابر عرب قائلاً: أعتقد أن تجاهل التراث فى مشروع الثقافة بشكل عام يلحق الضرر الكبير ليس بالتراث فقط ولكن أيضاً بالمستقبل.

أما الدكتور أحمد زكريا الشلق فقد تحدث مشيراً إلى أن طه حسين قد أثر فىنا تأثيراً كبيراً عما لا يدع مجالاً للشك أن العمى ليس يفقد البصر ولكنه يفقد البصيرة.

وقصة نشر هذا الكتاب (الأوراق الخاصة لـ طه حسين) أننى وجدت والدكتور صابر عرب فى صيف ٢٠٠٢م حافظة يوجد بها رسائل لـ طه حسين، وقد عملنا على نشر هذه الرسائل والأوراق وبالفعل كان هذا الكتاب هو ثمرة تعاوننا معاً، حيث كان لهذا الكتاب عدة محاولات وأخيراً كان بهذا الشكل الذى ترونه الآن، وتساءل ما الفرق بين الذى كتبناه وبين ما كتبه الآخرون؟ وقال إن الآخرين لم ينشروا كل الرسائل ولكنهم اختاروا بعض الرسائل القادمة من الشخصيات الشهيرة، وكان كل همنّا أن ننشر كل أوراق طه حسين، فكانت هذه الأوراق تضم رسائله وتضم مسودات الكتب التى كتبها، فمثلاً هناك ورقة طلب فيها إنشاء مجلس للثقافة بمصر (المجلس الأعلى للثقافة الآن)، فهذه الأوراق تشكل مصدراً مهماً للتراث فى مصر، فهى تروى قصة تاريخ طه حسين وتلاميذه ممن لعبوا دوراً مهماً فى تشكيل الثقافة فى مصر، فضلاً عن المتعة الخاصة التى سيجدها القارئ عندما يقرأ مثلاً عن سهير القلماوى وهى تناقش رسالتها مع طه حسين، هذه الأوراق فى غاية الأهمية والمتعة.

وأشار سيادته إلى تنقل طه حسين بين الأحزاب المختلفة حيث لم يكن حزبيا على الإطلاق، فهو يقول أنه كتب في جريدة الأمة لأنه وجد فيها منفذا لىكتب ما يريد، فلم يكن ينتمى إلى حزب الأمة، فمثلا عندما اختلف مع نظام صدقى باشا وفصل من الجامعة كتب فى جريدة السياسة وذلك لىكسب قوت يومه، ثم كتب فى جريدة الوفد ليهاجم صدقى، وأضاف الدكتور الشلق إننا نجد لديه نوعا من التحول الفكرى من الكتابة عن الأرستقراطية لىكتب عن الشعب ومشاكله وإن جميع مفكرينا قد لاحظوا هذا التحول الفكرى.

تقرير عن ندوة

التواصل الحضارى: أهدافه، وآلياته، ومعوقاته

إعداد: أ/ أحمد على سليمان (*)

حسنا فعلت مجلة التواصل التى تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجمهورية الليبية حينما عقدت حلقة نقاشية عن (التواصل الحضارى: أهدافه، وآلياته، ومعوقاته)، يوم السبت ٢٦ يناير ٢٠٠٨ بمدينة القاهرة، بمشاركة رابطة الجامعات الإسلامية، ودار الإفتاء المصرية، وبعض المؤسسات المسيحية، بهدف خلق وعى عام بضرورة التواصل والتعاون بين بنى البشر، وجمعت المهتمين بالتواصل فى لقاء علمى تتلاقح فيه أفكارهم ورؤاهم، نحو هذه القضية التى يجب أن نعمل لها جميعا.. ذلك أن رأب الصدع وبناء صرح العلاقات الطيبة بين البشر يجب أن يركز على الشعور المتبادل بالأخوة الإنسانية، وعلى العقل والمنطق والحوار للتعاون من أجل البناء، وتحقيق الفهم المتبادل وتحقيق المنافع المشتركة بين شعوب الإنسانية.. وإنها مسئولية كبرى وأهداف جلية يجب أن تتضافر جهودنا جميعا لتحقيقها، لاسيما فى هذا الوقت الحرج من تاريخ الإنسانية..

هذه المعانى وغيرها كانت مرتكزات أساسية فى هذه الحلقة كما سيتضح من خلال إسهامات ومشاركات العلماء التالية:

الإسلام وثقافة الحوار:

فى بداية الحلقة شدد الدكتور محمد أحمد الشريف الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية، على أنه لا تواصل بين الحضارات ما لم توجد إشاعة لثقافة الحوار، وأن التواصل يعتمد على اللقاء والتعارف والتعاون، محذرا من خطورة الأطر الثقافية الإقصائية للآخر ومحاولة استغلاله فى إفشال كل جهود التواصل الحضارى، خاصة أنه لا يمكن لأى إنسان إقصاء الآخر أو السيطرة عليه، كما أن الأديان ترفض ذلك، مشيدا بتجربة التعايش المصرية التى تمثل خبرة متراكمة فى التواصل الحضارى والعلاقة مع الآخر من خلال التعايش المشترك بين المسلمين والمسيحيين على مدار ١٤ قرناً من الزمان.

(*) باحث - المدير التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية.

خطوات التواصل الحضارى

وحدد فضيلة الدكتور على جمعة مفتى جمهورية مصر العربية خطوات التواصل الحضارى موضحاً أنه لا بد أن يمر بعدة مراحل تمهيدية حتى يحقق غايته. وأول طريق التواصل هو أن نلتقى ونصحح المفاهيم وأن يتعرف كل جانب على الآخر. ونبه على ضرورة البعد عن الجدل فى الأمور العقيدية ونحن فى طور المعرفة. ثم تأتى مرحلة الاعتراف بأن هناك آخر موجود، وهو جار لى يعيش فى هذه الدنيا. ثم تأتى مرحلة البحث عن القواسم المشتركة بيننا وبين الآخر..

ونبه فضيلته على أن نجاح تلك المرحلة مرهون بوجود ركنين أساسيين هما الحب وحسن الجوار لأنهما أساس كل شىء، وسنجد أن ما نشترك فيه أكثر بكثير مما نختلف فيه، ولنعمل بقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٦٤].. فإذا نجحنا فى تلك المراحل سَنَمْتَلِكُ القدرة على التواصل والتعاون البناء مع الآخر بنجاح..

وطالب فضيلته بضرورة إيجاد عقلية تقبل بالآخر فى العيش المشترك، ذلك أن التواصل يُعَدُّ من الواجبات المهمة فى عصرنا؛ لأن الرفض يعنى فشل جهود التواصل مع الآخر، مؤكداً على أن العلاقة مع الآخر - رغم اختلاف العقيدة - كانت وستظل من أهم الأمور التى حافظت على النسيج الواحد فى مصر بتركيبتها من المسلمين والمسيحيين ومن سائر الأديان رغم العواصف التى تأتى من وقت لآخر؛ ولذلك لم تحدث فى مصر حرب أهلية..

وحذر فضيلته من الجدل حول الأمور المختلف حولها فى العقيدة، مطالباً بالابتعاد عن الجدل الدينى؛ لأن الحديث والجدل فى هذه الأمور لا يجب أن يدور إلا فى الأكاديميات، وبين المتخصصين.. مشيراً إلى أن من يرفض التعرف على الآخر والحوار معه وحقه فى الحياة تحت مسمى الخلاف فى العقيدة فقد دخل فى شرك الأناية التى تصل إلى حد الإفساد فى الأرض. وطالب ببناء علاقات قوية بين العالمين الإسلامى والمسيحى تقوم على القواسم المشتركة التى وصفها بأنها كثيرة للغاية وعلى حب الله وحسن الجوار.

أهمية التواصل البيني كمقدمة للتواصل الحضارى

أما الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية فأكد على أن التحديات الحضارية التي تواجه المسلمين فى الحاضر والمستقبل تدفعهم إلى ضرورة التواصل الحضارى مع الآخرين من منطلق القدرة والفهم العميق لهم، والأخذ والعطاء فى مختلف المجالات مع مراعاة الذاتية الإسلامية وعدم الانغلاق على الذات، على أن تكون علاقة سوية تقوم على الفهم المتبادل والتعاون البناء، مشيراً إلى أن التعامل مع الآخر أصبح ضرورة ملحة، سواء أكان هذا الآخر من بيننا أم من غيرنا؛ لأن الاختلاف سنة كونية من سنن الله تعالى فى خلقه، وأن الحياة لا تقوم أبداً على الفرد الواحد ولا على الفكر الواحد؛ بل الحياة للناس جميعاً، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وأوضح سيادته أننا إذا لم نفهم الآخرين ونتعامل معهم ونسمح بمساحة من الاختلاف؛ فلن تكون هناك حياة مشتركة بيننا وبينهم. وإذا كان الحوار مع الغرب يواجه بأصوات معادية للإسلام، فإن ثمة أصوات معتدلة تفهم حقائق الإسلام ومبادئه، ومن ثم يمكننا الاستفادة منها لتغيير العلاقات القائمة اليوم على التصادم والتدابير والجهود بين المجتمع الإسلامى وبين الغرب ليحل محلها علاقة إخاء على مستوى الإنسانية وتكامل على مستوى الحضارات.

ثم تحدث فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف عضو مجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر الأسبق موضحاً أن الإسلام قد أقر التعايش السلمى وحث عليه، مضيفاً أنه لا يوجد دين سلمت نصوصه وتعاليمه السماوية من التحريف إلا حث على الحب ودعا إلى التعارف والتأخى والمساعدة والتعاون بين أبناء البشر جميعاً، ويذم الكره ويحارب البغض، ويرفض القطيعة، ويعلم البشر ويؤكد لهم أن أباهم واحد، وأمهم واحدة فهم جميعاً أخوة فى النسب، والمولى عز وجل أرسل الرسل والأنبياء، وأنزل الكتب السماوية لصالح الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة، وجعل أساس التميز بين البشر هو التقوى والخوف من الله وعبادته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وتساءل: هل يمكن أن يتم التعايش السلمى الإيجابى البناء فى مجتمع دولى متعدد يسوده الاختلاف بين البشر فى مجالات الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية... الخ، لاسيما الاختلافات العرقية والدينية؟! وأجاب فضيلته قائلا: نعم يمكن أن يتم التواصل والتعايش السلمى إذا توافرت عوامل ووسائل تحقيق هذا التعايش، فالأمر يحتاج أولا لصديق النية لدى الجميع فى السعى لتحقيق هذا الأمل، لاسيما المؤسسات التى تنبئ الدعوة إلى هذا التعايش، ثانيا تفعيل الدور الإيجابى للحوار على وجه عام فى جميع مجالات الحياة وأهمها الحوار الدينى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى.

ويرى د. عبد الإله بن عرفة الخبير بمنظمة الإيسيسكو وعضو اللجنة الاستشارية لمجلة التواصل: أن التواصل الحضارى يجب أن ينصب على المشترك الحضارى أو الهوية الكلية، وهى ما يعبر عنها فى ثقافتنا الإسلامية بالأخوة الإنسانية هذه الأخوة تجمع عناصر مشتركة تنقاسمها مع الآخرين وهى تشكل لنا جميعا هوية عليا بغض النظر عن الهويات الأخرى الفردية أو الجماعية، ويقول: ونحن إذ ننظر إلى مفهوم التواصل بعين الرضا فإن هذا لا يعنى أننا نقبل بجميع الوسائط التى يتم بها؛ بل يجب علينا الاستفادة من الجوانب الخيرة فيه وترك الجوانب السيئة، وهنا تبرز عقلانية المتلقى فى اختيار ما يعرض عليه من منتجات الحضارات الأخرى، وتمييزها بما يناسب ظروف حضارته، وما يمكن أن يسهم فى تطوير هذه الحضارة بعيدا عن انفعالاته العاطفية غير المدروسة واتخاذ المواقف المتسرعة، ورفض كل ما هو جديد حتى دون أن يكلف نفسه عناء الاطلاع والدراسة.

وأشار إلى أن التواصل الحضارى اليوم هو نتيجة التفاعل بين روافد ٧ حضارات كبرى وهى الحضارة الإسلامية والغربية والكنفشيوسية، واليابانية، والهندوسية، والأرثوذكسية السلافية، وحضارة أمريكا اللاتينية والذى ينصب فى الأساس على المشترك الحضارى والأخوة الإنسانية مستفيدين من العولمة التى أتاحت فرصا أوسع للتواصل الحضارى بين المجتمعات من خلال تدفق المعلومات بين كافة الحضارات من خلال تذويب الحدود بين الدول وزيادة أوجه التشابه بين الجماعات والمجتمعات

والمؤسسات واعتبار كل شيء سلعة حيث حلت الأفكار والمعلومات محل السلع في التبادل المشترك بين الحضارات حيث أقر العالم اتفاقية للحفاظ على التنوع الثقافى بين الحضارات ولم توقع عليها أمريكا وإسرائيل فقط.

الأديان تتوافق ولا تتطابق؛

كما شدد البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية، وبطربرك الكرازة المرقسية فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه الأب مكارى مؤكدا على أهمية العلاقة والتواصل مع الآخر أيا كانت عقيدته؛ للوصول إلى حياة مشتركة تتسم بالأمن والسلام، مضيفا أن الكنيسة القبطية لا تؤمن بفكر صدام الحضارات، وإنما تؤمن بالحوار رغم اختلاف العقيدة انطلاقاً من أن الأديان تتوافق ولا تتطابق، كما تؤمن بضرورة ارتكاز الحوار على ثلاث قواعد أساسية هى معرفة الآخر وقبوله، والعمل معه، موضحاً أن أهم معوقات التواصل الحضارى، ضيق الأفق والاستعلاء والتمركز حول الذات، والعودة للوراء، وعدم الفهم السليم للمقاصد الدينية، وعدم قبول الآخر..

أما الدكتور منير حنا - مسئول الكنيسة الإنجيلية فى مصر وشمال إفريقيا، فقد ركز على الأرضية المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، مؤكداً أن ثمة مساحة واسعة من القواسم المشتركة يمكن أن تحقق التواصل والمحبة، مطالباً بضرورة تربية الأجيال القادمة على أهمية الحوار بدلاً من السيف، كما لا بد أن ينطلق الحوار الحضارى والعلاقة من منطلق النقاط المشتركة مع هذا الآخر والتى تتمثل أهمها بين المسلمين والمسيحيين فى الاتفاق على عبادة الله الواحد، والإيمان بالثواب والعقاب، والإيمان بالتوبة، وصنع السلام والمحبة.

ويرى الدكتور إبراهيم على الربو مدير مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية والإغاثة : أنه لا يمكن الإسهام بشكل فعال فى تحقيق التواصل الحضارى مع الآخر دون التصدى لعملية التفهيم الحضارى التى تتعرض لها الحضارة الإسلامية من قبل أعدائها -ياشعل نار الفتن والمؤامرات الداخلية- حتى ينالوا منها ويصبح المسلمون عاجزين عن صيانتها ويدب الوهن والضعف فى أوصالها وننشغل بمشاكلنا، ولا نتمكن من التواصل الجاد والفعال مع الثقافات الأخرى . فإذا لم نكن قادرين على صون حضارتنا بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية فسوف نتسبب فى حجب هذه

الحضارة لتكفي على نفسها وتفرغ لشورة الفتن والمؤامرات بداخلها وتكون بهذا قد أسهمنا في تمرير هذا المخطط وأسأنا لحضارتنا أكثر مما أساء إليها أعداؤها.

وطرح سيادته رؤية جديدة لمفهوم التواصل مع الآخر موضحاً أن: الآخر ليس هو العدو أو الخصم؛ بل هو شخص آخر يختلف معنا في أشياء، والتواصل معه هو لإيجاد مساحات مشتركة تتفق عليها ويمكننا التعامل من خلالها. وعلينا عند التحدث عن الآخر أن نوسع دائرة الأنا لتشمل الآخرين ممن حولها فلا نسهم في تهميشهم أو إنكارهم؛ بل يكون قربهم منا بقدر ما هم متصلين بدائرة الأنا. ولترسيخ هذا المفهوم في الحوار الحضارى يجب ألا يقتصر على المناقشات الأكاديمية داخل المؤسسات الثقافية؛ بل يجب أن نضم رجل الشارع أيضاً لإشاعة ثقافة الحوار والتعارف على المستوى الشعبى ويحقق الحوار الحضارى مبتغاه.

ويقصد د. محمد السماك - رئيس لجنة الحوار الإسلامى المسيحى بלבنا - حكمة الله سبحانه وتعالى من خلق الناس مختلفين قائلًا: إن الحكمة الإلهية من خلق الناس مختلفين فى اللون واللغة والجنس والثقافة والعادات والتقاليد تتمثل فى دعوة الناس إلى التعارف يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، مشيراً أن دعوة الناس للتعارف لا تتحقق إلا بالتواصل المعرفى بالدرجة الأولى. لأن زيادة مساحة اللامعرفة تزيد معها سوء المعرفة عمقاً. وبالتالي تتحول العلاقات بين الناس - كما نشهد فى كثير من الحالات - إلى اضطرابات وصدمات ناشئة عن اللامعرفة والاتواصل.

وفى نهاية الندوة أكد المشاركون على ضرورة التواصل العالمى بين جميع البشر فى شتى الحضارات الإنسانية، وتفعيل الآليات المقترحة للتواصل، وعمل مرصد يضم كافة المهتمين بالتواصل فى شتى أنحاء العالم، وعمل اجتماعات دورية لتلاقح الرؤى والأفكار لترسيخ التواصل وتنجية العالم والأجيال القادمة من خطر الحروب والصراعات..



تقرير حول ندوة

نحو فهم متبادل للعلاقة بين المسلمين والهولنديين

إعداد: أ/ أحمد على سليمان (*)

يبدو أن أزمة الرسوم الداعمة المسيئة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، قد أفرزت الكثير من التدايعات التي نحتاج إلى سنوات لضادى آثارها السلبية الوخيمة على مسيرة العلاقات بين الإسلام والغرب، وكنا نأمل فى سيادة الحوار الحضارى لتحقيق التعاون العالمى بين مختلف العقائد من أجل البناء وسيادة الأمن والسلام العالمى..

بدأت القضية حينما أعلن فيلدرز، أنه أعد فيلما تسجيليا مدته عشر دقائق بعنوان "فتنة" يوجه فيه انتقادات شديدة للإسلام. حيث يصف القرآن بأنه كتاب فاشى وأنه يحض على التعصب ضد النساء والمثليين، وأن المتشددىين يستغلونه للتحرىض على العنف، كما يعرض الفيلم إساءات واقتراءات على القرآن الكريم، ويحمله مسؤولية العنف والإرهاب فى العالم، ويصف المسلمين بأنهم إرهابيون، وتصل الوقاحة من الكاتب ذروتها بحرق المصحف فى نهاية الفيلم..

ويعرف فيلدرز بانتقاداته الشديدة للإسلام ودعوته إلى "وقف أسلمة أوروبا" وتحذيره من أن الإسلام قد يصبح "القوة السياسية المهيمنة فى أوروبا".

وإزاء ما يحمله مضمون هذا الفيلم من إساءات انقسم المجتمع الهولندى إلى قسمين: قسم - ونحمد الله أنه يمثل أقلية - أراد عرضه، دعما لحرية الفكر والتعبير، وقسم يعارض وبشدة مضمون الفيلم - وبالتالي - وما يحتويه من محاولات غير مبررة للإساءة إلى الأديان والمقدسات الدينية، وذلك للحيلولة دون إزاء مشاعر المسلمين فى هولندا وفى العالم الإسلامى، وحتى لا تدخل هولندا فى دوامة الكراهية مع المسلمين، وما سيتبع عن ذلك من تدايعات خطيرة قد لا تحمد عقبابها وقد تكون خارج حدود السيطرة.. وقد تنبه رئيس الوزراء الهولندى "يان بيتر بالكنند" إلى ذلك، لاسيما فى بلد

(*) المدير التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية.

مثل هولندا التي يكثر فيها عدد المسلمين البالغ عددهم مليون مسلم ، وحتى لا تقع هولندا في شرك العداء، والمقاطعة المؤلمة من العالم الإسلامي، ومن ثم فقد عارض مضمون هذا الفيلم الخطير..

وأدان رئيس الوزراء قيام فيلدرز بث فيلمه فتنة المسىء للقرآن على شبكة الإنترنت مؤكداً أن ذلك لن يخدم أياً من الأغراض التي يهدف إليها وقد يؤدي لموجات من الغضب ضد هولندا.

وشدد رئيس الوزراء الهولندي على أن بلاده ترفض تفسير الإسلام على النحو الذي يصوره الفيلم، وأصدر بياناً رسمياً عبر فيه عن أسفه لعرض الفيلم، وقال إنه يربط بين الإسلام والعنف ونحن نرفض هذا التفسير".

ومن المواقف التي تستحق الإشادة في هذه الأزمة موقف الإعلام الهولندي الراض لعرض هذا الفيلم في القنوات الهولندية، حيث رفضت المحطات التلفزيونية تحمل مسؤولية بثه للمرة الأولى خوفاً من ردود الأفعال وأعقب إطلاق الفيلم على الشبكة الدولية قيام عدد من المحطات التلفزيونية بث أجزاء منه نقلاً عن الموقع الإلكتروني..

كما حرصت الحكومة الهولندية على إحاطة سفاراتها في الدول الإسلامية بآخر تطورات الفيلم وما يحيط به من جدل.. وقد اتخذت إجراءات أمنية مشددة في عدد من المدن الهولندية تحسباً لاندلاع أعمال عنف.

وبحسب البي بي سي أوضح سفراء هولندا في الدول الإسلامية أنه بينما تعارض الحكومة بشدة آراء فيلدرز المتطرفة ليس بوسعها أن تمنعه من التعبير عن تلك الآراء.

هذا وقد توالى ردود الفعل العربية والإسلامية والدولية المنددة بعرض الفيلم، حيث أدان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون الفيلم وأقر بان الجهود التي بذلتها حكومة هولندا لمنع بث الفيلم، وناشد من شعروا بالإساءة من الفيلم لأسباب مفهومه التحلي بالهدوء. وقال في بيان: لا يوجد مبرر للغات الكراهية والتحريض على العنف، فحرية التعبير لا مكان لها هنا، لأن الحرية ينبغي أن تصاحبها دائماً مسؤولية اجتماعية،

وأضاف: ينبغي أن ندرك أيضا أن الصدع الحقيقي ليس بين المجتمعات المسلمة والغربية، كما يود البعض أن يجعلنا نعتقد، بل بين أقليات صغيرة من المتطرفين من الأطراف المختلفة التي لها مصلحة راسخة في إثارة العداء والصراع..

وبحسب جريدة الشرق الأوسط قبيل الفيلم الذي بث في ٢٨ مارس عبر الانترنت، باستياء العديد من البلدان. هذا وقد أعلنت الشركة الأميركية المزودة لخدمة الانترنت نتورك سوليوشن، في بيان نشر على موقعها أمس، أنها علقت الموقع الإلكتروني الذي حجزه النائب الهولندي اليميني المتطرف جيرت فيلدرز لبث فيلمه المعادي للإسلام.

وأوضحت الشركة في بيانها: تلقت نتورك سوليوشن عددا من الشكاوى بشأن هذا الموقع، تعمل حاليا على درساها وردا على بيان الشركة، صرح فيلدرز أنه ما زال ينوي بث الفيلم على الانترنت بسرعة حتى ولو كان في ميدنا عاما. وكان موقع فتنة ذي موافى كوم يعرض حتى ٢٨ مارس غلاف مصحف وقد كتب على الصورة قريبا: فتنة وأفادت الشركة بأنها تتحقق مما إذا كان الموقع يراعى قواعد البث المفروضة.

وفي هذا السياق الخطير وبحسب وكالات الإعلان العالمية دعت الحكومات الأوروبية لمنع عرضه، ففى باريس قالت فرنسا إن "حرية التعبير تمثل حرية أساسية وعالمية" بتعين ممارستها فى ظل احترام القانون، ودعا متحدث باسم الخارجية إلى انتظار موقف القضاء الهولندي الذى ينظر دعوى بحظر الفيلم. كما رفض الأمين العام لمجلس أوروبا تيرى ديفيس الصورة المشوهة والمسيئة للإسلام التى يعكسها الفيلم، ووصفه بأنه تلاعب غير مرغوب يستغل الجهل والأفكار المسبقة والخوف، كما اعتبر أن هذا اليوم يوم حزين بالنسبة للديمقراطية الأوروبية.

والعجيب أن كوينهاجن التى نُشرت فيها الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم - أدانت على لسان رئيس وزرائها أندرس فوغ راسموسن بث الفيلم معتبرا أنه يشكل استفزازا مجانيا..

وفى السياق نفسه أدانت العواصم الإسلامية هذا الفيلم الذى يسبب شروخا فى العلاقات الإسلامية الغربية، وأن الفيلم لا يخدم أى هدف سوى تأجيج الكراهية. حيث

أدان الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو هذا العمل غير المستول واصفا إياه بأنه "عمل متعمد" يهدف إلى التمييز ضد المسلمين وإثارة الكراهية إزاءهم كما يعتبر تشويها للدين الإسلامى الغرض منه التحريض على إثارة القلاقل والاضطرابات وتهديد الأمن والاستقرار فى العالم.

أما مصر فقد نجح وفدها المشارك فى اجتماعات الدورة الرابعة للبرلمان الأورومتوسطى فى استصدار قرار من لجنة السياسات بالبرلمان يدين الإساءة للأديان وازدراء الأنبياء بعد مناقشات ساخنة شهدتها اللجنة بين الوفد المصرى من جانب ووفدى الدانمارك وهولندا من جانب آخر حيث تبنى الوفد المصرى التصدى لمحاولة النيل من الإسلام وثمة شكوى رفعت أمام القضاء الهولندى ضد الفيلم تقدمت بها جمعية إسلامية تطلب منع بث هذا الفيلم المسىء للإسلام. وقالت متحدة باسم محكمة لاهاى إن الأخيرة ستستمع للشكوى التى رفعها الاتحاد الإسلامى الهولندى يوم ٢٨ مارس/ آذار.

وكانت السلطات ذكرت فى وقت سابق أن القانون يمنع أى رقابة مسبقة على الفيلم، وأنه لا يجوز حظره "إلا إذا حصل تحريض على الحقد العنصرى مثلاً".

والجدير بالذكر إن الجهات المتعقلة فى هولندا تعمل ليل نهار وبفاعلية من أجل منع هذا العمل من العرض، وقامت بجولات داخلية، كما قام بعضها بجولات مكوكية فى بعض بلدان العالم الإسلامى حيث قام وفد يضم شخصيات رفيعة المستوى من الكنائس الهولندية والمجلس الإسلامى الهولندى بزيارات لبلاد المسلمين لإيضاح ضمنى بتكاتف المسيحيين مع المسلمين فى ذلك، ولتوحيد الصفوف العاقلة لعرقلة عرض هذا العمل المقيت من ناحية ومنع ازدراء الأديان والمقدسات من ناحية أخرى..

والسؤال الذى يطرح نفسه وبشدة هنا:

لماذا لم يبحث المسلمون شعوبا وعلماء وحكاما عن علاج ووسيلة مؤثرة لوقف هذه الإهانات؟ ولماذا لم يحدث تنسيق بينهم لمواجهة ذلك الهجوم من خلال بحث ما يتعلق بالقضايا الحقوقية الدولية المتعلقة بمنع ازدراء الأديان والمقدسات؟

وفى هذا الإطار عقدت رابطة الجامعات الإسلامية لقاء علميا حواريا برئاسة

الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام للرابطة، ضم وفدا هولنديا يتكون من شخصيات مرموقة من مجلس الكنائس والمجلس الإسلامى فى هولندا، بالقاهرة ظهر الأربعاء ٢٦ مارس، وحضره العديد من العلماء المسلمين، ووسائل الإعلام..

وقد ناقشت الندوة النقاط التالية:

طبيعة العلاقة بين المسلمين والهولنديين:

إن المجتمع الهولندى كبقية المجتمعات الأوروبية يضم العديد من الجاليات، وهذه الجاليات مختلفة فى الفكر والدين عن المجتمعات التى يعيشون فيها.. وثمة مشكلات اجتماعية تواجههم خصوصا وأن المجتمع هناك مجتمع علمانى يعارض الدين، وهم يعتقدون أنه لا توجد حاجة لوجود دين.. وأنهم يعتقدون أيضا أن التطور الذى سيحدث بعد ذلك فى أوروبا ينبئ بأنه لن يكون ثمة حاجة للدين بصفة عامة، وأن التطور الفكرى يدعو إلى ذلك..

والإشكالية تتبلور فى أنه مع قدوم المسلمين من الدول الأخرى أصبح هناك بعض التغير فى المجتمع الهولندى، وليس فقط من الإسلام، ولكن هناك جماعات من المسيحيين قدمت أيضا من إفريقيا، وبعض أجزاء من أوروبا.. ففى إطار الجالية المسيحية كانت هناك مبادئ لإحياء المبادئ الدينية الموجودة لدى القدماء.. وهذا يعنى أن المشكلات الخاصة بالدين أصبحت حاليا تحت الأضواء فى أوروبا..

ومع ازدياد عدد المسلمين فى هولندا أمسى هناك شعور بأن الدين لم يذهب للأبد بل أصبح هناك نوع من الشعور بالإحياء الدينى.. ومن ثم فمشكلة العلمانية فى أوروبا تكمن فى أنها لا تعترف بالأديان، وبالتالي فالمجتمع هناك مجتمع لا دينى، وقد أتى عليهم من الخارج دين قوى له معتقداته وأفكاره ويريد أن يفرضها عليهم، وهم يرون أنها تهدد أمنهم وتهدد مستقبلهم وحريتهم وهذه هى مخاوفهم التى ينطلقون منها.. وأرى أنها مخاوف بالية إذا صوجبت باستراتيجية للتعريف بالإسلام الذى يقبل التعايش مع الآخر..

وضع الجالية المسلمة فى هولندا:

والجالية المسلمة فى هولندا تعيش فى هذا البلد منذ أكثر من أربعين عاما، وليس

لديها مشكلات مع الحكومة الهولندية، كما أن الدستور الهولندي يحمي الديانات، وللمسلمين -الذين يبلغ عددهم مليون نسمة- أكثر من أربعمئة وخمسين مسجداً، وخمسين مدرسة إسلامية، ولديهم اعتراف من الحكومة الهولندية منذ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٧، بالدين الإسلامي، بحيث يكون طرفاً من الأديان السماوية...

والمشكلة هناك تكمن في أن بعض الأحزاب يفتعلون المواقف ويستغلون الظروف بهدف كسب الأصوات في الانتخابات، من خلال ما يقوم به بعضهم من نشر الخوف من الإسلام لكسب أصوات رجل الشارع، لدرجة أن بعض الأحزاب هناك تستلن الناس بالعداء للإسلام، في ظل غياب إستراتيجية إسلامية موحدة للتعريف بالإسلام الصحيح..

هذا وقد نفى المشاركون من الجانب الهولندي ويشلة أن يكون هناك شعور بالكرهية ضد المسلمين في هولندا.. ولكن إذا تمكن المسلمون من إتقان اللغة الهولندية بطلاقة، فإنهم سيتعايشون مع جيرانهم بسهولة.. ويؤكدون أن المسلمين هناك لهم سائر الحقوق مثل غيرهم، فهناك كفالة للحريات (حرية التعبير، وحرية تكوين منظمات.. إلخ) بيد أن المشكلة التي يراها الهولنديون -كغيرهم من الأوروبيين- أنه لا توجد صورة واضحة وموحدة عن الإسلام فهناك السنة والشيعة وهناك الإسلام السعودي والإسلام العراقي والإسلام الجزائري...، وهناك السلفيون وهناك المتصوفون وهناك الجهاديون.. إلخ، وبالتالي فالبعض يوجد تعريف معمم للإسلام وهو التطرف.. وبعد أحداث سبتمبر ولندن ومدريد تكون لديهم نوع من الربط بين الإسلام والتطرف، وأحياناً يمكن أن يكون هناك نوع من الترجمة للإسلام على أنه دين لا يعترف بالديمقراطية، وينظرون إلى بعض الدول المسلمة على أنها دول غير ديمقراطية..

وبالتالي فإن المجتمع الغربي كله في حاجة ملحة وماسة إلى التعرف على الإسلام بما ينطوي عليه الإسلام من قيم التسامح والتعددية... إلخ.

مصادر الكراهية والخوف من الإسلام:

ونستطيع أن نجمل مصادر الكراهية في عدة عوامل، تتمثل في الجهل بالإسلام، وعوائق التواصل اللغوي، والتضليل الإعلامي المتعمد الذي تغذيه تذكیه قوى معادية للسلام والإسلام، والتخوف من الإسلام عن طريق ما تبثه الصحافة في أدمغة الناس من

أفكار مغلوطة ومزورة عنه، وما يكتبه بعض العنصريين وبعض أعضاء البرلمان بهدف كسب الأصوات، ناهيك عن السلوك السيئ لبعض المسلمين هناك، والذي تسبب في رسم صورة سيئة عن الإسلام.

وسائل تحسين العلاقات:

ومن هنا فلا بد أن تلعب المنظمات الدولية دوراً فاعلاً في ذلك من خلال عمل إستراتيجية للتعريف بالإسلام الصحيح، وإرسال البعثات والدعاة المستنيرين، وعقد اللقاءات العلمية والندوات والمؤتمرات المشتركة، والتواصل مع مجتمع الجاليات، ولا بد أن يتكاتف الجميع لترسيخ مفاهيم ومبادئ الحوار، ونشر ثقافة التعايش، وسن القوانين الدولية لمنع إزدراء الأديان، وبالتالي منع نشر مثل هذا الفيلم المسيء، ومنع تكرار مثل هذا العمل المشين..

وفي نهاية الندوة أكد الدكتور جعفر عبد السلام على أهمية مثل هذه اللقاءات في تحسين العلاقات والتقارب بين الحضارتين الإسلامية والغربية، كما أكد على أن الدين الإسلامي دين قوى ومتمين وليس هشاً، بل إنه محفوظ بحفظ الله ومحروس بحراسة الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ذلك أن المتتبع لحلقات التاريخ الإنساني يلحظ أن الإسلام تعرض لموجات عاتية من العداء للنيل منه، ولكن هيهات هيهات.. فالحافظ هو الله وبالتالي فلن تنال منه أفلام الدنيا كلها لو اجتمعت عليه..



القسم السابع
الوثائق

obeikandi.com

البيان الختامي للدورة السابعة عشرة لجمع الفقه الإسلامى الدولى

عمان - المملكة الأردنية الهاشمية

٢٨ جمادى الأولى - ٢٠ جمادى الثانية ١٤٢٧ / ٢٤ - ٢٨ يونيو ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

حضرأت أصحاب السماحة والفضيلة والمعالى والسعادة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

برعاية سامية من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله الثانى ابن الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، أيدته الله بتوفيقه وعونه، انعقد مؤتمرنا السابع عشر بمدينة عمان الغراء، إثر اعتماد النظام الجديد لمجمعنا من قبل مؤتمر وزراء الخارجية فى باكو، بجمهورية أذربيجان، فى الفترة (٢٨ جمادى الأولى - ٢ جمادى الآخرة، ١٤٢٧ هـ، ٢٤-٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ م)، وكان انعقاد هذه الدورة بهذا البلد المضيايف استجابة لدعوة كريمة من المملكة الأردنية الهاشمية، جزاها الله عنا كل خير، وقد تم عقد الدورة بتنظيم مشترك من مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامى بعمان، ومن أمانة مجمع الفقه الإسلامى الدولى. وقد انتدب صاحب الجلالة لإلقاء كلمته السامية فى الجلسة الافتتاحية صاحب السمو الملكى الأمير غازى بن محمد، مبعوثه الشخصى ومستشاره الخاص، ورئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامى فى الجلسة الافتتاحية، وقد تناول فيها الكلمة على التوالى كل من عطوفة الأستاذ إبراهيم شبوح مدير مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامى، ومعالى الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، أمين المجمع، ومعالى البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلو، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى. وأكد جميعهم على سعادتهم البالغة بإقرار النظام الجديد للمجمع، كما أكدوا على أهمية الموضوعات العلمية المطروحة فى هذا الاجتماع المبارك

ومواكبتها للواقع، والتي تنوعت إلى موضوعات عقديّة، وفكرية، وأصولية، واجتماعية، واقتصادية، ودولية، وطبية، كما تناولت شؤون الأقليات الإسلامية.

وحضر الجلسة الافتتاحية عدد من أصحاب الدولة والمعالى والسعادة رجال الدولة الموقرين، وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين، ونخبة من العلماء والمفكرين من الجامعات والمؤسسات الثقافية في الأردن، وأعضاء المجمع وخبرائه المحترمين، وأسفنا كثير التفيب سماحة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، رئيس المجمع لظروفه الصحية، نسأل الله تعالى له الشفاء العاجل.

وشارك في جلسات المؤتمر وأعماله الأعضاء العاملون من متديبين ومعينين وكذلك الخبراء، وامتدت أعمال هذه الدورة على مدى خمسة أيام. فكانت مليئة بالجهد والبحث والمناقشة، بلغ عدد موضوعاتها المبحوثة في هذه الدورة أحد عشر موضوعاً، قدّم فيها أربعة وخمسون بحثاً، نوقشت مسائلها وقضاياها من خلال مداخلات واعية من قبل السادة الأعضاء والخبراء، خلال ثمانى جلسات، وصدرت بشأنها القرارات والتوصيات التي استمعتم إليها، وقد أعدتها مشكورة لجان الصياغة، كما وافق عليها الأعضاء العاملون بعد مناقشتها في جلسة خاصة.

وتم إصدار بيان هام، بشأن القدس، والمسجد الأقصى، العراق، والصومال.

ورفع المشاركون برقية شكر وتقدير لصاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين المعظم عبروا فيها عن أسمى آيات الشكر والعرفان للدعم السخي الذي قدمه جلالتهم لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ورعايته المتواصلة لأعمال هذه الدورة.

كما قدم المشاركون برقية شكر لصاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد، المبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك ورئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، عبروا فيها عن عميق شكرهم لعناية سموه بالمشاركين في أعمال هذه الدورة.

وعلى هامش أعمال هذه الدورة انعقدت عدة اجتماعات لمجلس المجمع، منها جلسة عامة شرفت برئاسة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وبعد التشاور بين أعضاء المجلس تمت الموافقة بالإجماع على تسمية أعضاء هيئة المكتب، وهم موزعون بالتقسيم الجغرافي على النحو الآتي:

١- عن المجموعة العربية: معالي الدكتور عبد السلام داود العبادي، وسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي.

٢- عن المجموعة الآسيوية: سماحة آية الله محمد علي التسخيري، وفضيلة القاضي الشيخ محمد تقى العثماني.

٣- عن المجموعة الأفريقية: فضيلة الدكتور قطب مصطفى سانو، وفضيلة الدكتور أبو بكر دكوري.

كما تم الاتفاق على أن يرأس الجلسات العلمية لهذه الدورة معالي الدكتور عبد السلام العبادي نيابة عن رئيس المجمع، اعتماداً على ما نص عليه نظام المجمع من أن يكون العضو المنتدب للدولة المضيفة نائباً لرئيس المجمع في الدورة المستضافة.

وكان من أهم ما تميزت به هذه الجلسة:

الكلمة السامية لصاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني -أيده الله ونصره- وقد اعتبرها أعضاء المؤتمر وثيقة رئيسة لهذه الدورة.

وتم التنبيه على إصدار اللوائح التنفيذية الخاصة وتعديلها على ضوء النظام الأساسي الجديد للمجمع.

كما تم تفويض هيئة المكتب لتشكيل وتسمية أعضاء الشعب المختلفة المذكورة في النظام الأساسي، من خلال رغبات الأعضاء والخبراء بضمهم إلى تلك الشعب.

وعقدت هيئة المكتب عدة جلسات -بعضها برئاسة معالي أمين عام المنظمة شخصياً أيضاً- وبعضها الآخر برئاسة الدكتور عبد السلام العبادي، عضو المجمع، وتم فيها تداول النظر حول أمور عدة منها:

(١) ضرورة متابعة هيئة المكتب سير الجلسات العلمية للمجمع، والإقرار المبدئي لمشروعات القرارات والتوصيات المراد إصدارها.

(٢) تأجيل مناقشة الأمور المتعلقة بالموازنة المالية والشؤون الإدارية، إلى الاجتماع الذي دعا الشيخ آية الله محمد علي التسخيري إلى عقده في طهران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعد ستة أشهر من الاجتماع الحالي.

٣) التنبيه على الالتزام بتطبيق النظام الأساسى الجديد للمجمع، الذى جاء مسابرا لما تقتضيه ضرورة تطويره وفق مقررات مؤتمر القمة الإسلامى الاستثنائى الثالث المنعقد بمكة المكرمة خلال شهر ديسمبر ٢٠٠٥

٤) التأكيد على تفويض أمين المجمع إعداد مشروع اللائحة التنفيذية للمجمع، حسب ما ورد فى المادة السادسة عشرة من النظام الأساسى.

٥) التأكيد على أن إصدار اللوائح المنظمة لشعب المجمع ولجانه الفرعية من اختصاص هيئة المكتب.

٦) الاتفاق على ضم العارض ومقرر اللجنة إلى هيئة صياغة القرارات.

٧) التوصية بتشكيل شعب المجمع وتسمية أعضائها وذلك بناء على رغبة الأعضاء والخبراء، ووضع اللوائح المنظمة لعملها.

٨) تشكيل شعب المجمع العلمية.

٩) الموافقة على تعيين الخبراء حسب الحاجة فى الموضوعات المطروحة على جدول أعمال كل دورة.

١٠) التوصية بعرض الموضوعات التى ستطرح فى الدورات القادمة على هيئة المكتب.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أجزل عظيم الشكر والتقدير لصاحب الجلالة الملك المعظم عبد الله الثانى ابن الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، أعزه الله وأيده، ولصاحب السمو الملكى الأمير غازى بن محمد، مندوب جلالة الملك، المبعوث الشخصى والمستشار الخاص، الذى شرف هذه الدورة بحضوره ورعايته.

ولا أنسى ما وجدناه من معالى الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى من إسهام فى أعمال الدورة ودعم للحركة التجديدية التى أشرف عليها وركزها بتكوينه اللجنة المكلفة بمراجعة النظام الأساسى للمجمع، كما لا أنسى ما قدمه من نصائح وتوجيهات فى هذا الغرض وهو ما فتى فى كل مناسبة يشيد بأعمال المجمع ويرعاه لتحقيق صفته المتميزة بكونه المرجعية الإسلامية الفقهية العامة التى تعالج القضايا المستجدة وتضع لها ما يناسبها من حلول شرعية كما يتمثل دورها فى مواجهة التحديات تركيزاً للإسلام ودفاعاً وحماية له.

كما أنه بجهود اللجان العلمية، والتحضيرية، والإعلامية، وبالأجهزة الإدارية والمختصة بالعلاقات العامة، والفنية، وبالكتابة العامة، والمراسم، بمؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، وأخص بالشكر معالي الدكتور عبدالسلام داود العبادي، مستشار الدولة للشؤون الإسلامية والدينية، رئيس جامعة آل البيت، ورئيس هذه الدورة، ومعالي الأستاذ إبراهيم شيوخ، مدير مؤسسة آل البيت، على ما لقيناه من صنوف الإكرام والحقاوة والتسهيلات والسعي الدؤوب قبل انعقاد الدورة وفي أثنائها.

وإني لأشكر السادة أعضاء هذا المجمع وخبرائه على ما بذلوه من جهد خلال هذا الأسبوع، وأخص بالذكر المقرر العام الدكتور عبد الستار أبو غدة، وجميع أعضاء لجان الصياغة.

وأوجه التحية لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، التي اهتمت بنقل أخبار هذه الدورة، وإلى موظفي فندق ميريديان عمان الذين سخروا أنفسهم لخدمة المؤتمر والمشاركين فيه.

وختاماً أتمنى أن تكون هذه الدورة قد حققت ما كان مأمولاً منها، وأضافت لمنجزات مجتمعكم إضافة جديدة بفضل ما بذلتموه من جهود نرجو أن يستفيد منها علماء هذه الأمة وعامتها.

وإلى لقاء خير آخر، ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



القرارات والبيانات الصادرة عن الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي ١٤/٣/١٤٢٧هـ

بيان بشأن الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم

الصادرة في بعض الصحف الأوروبية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، وبعد: فقد استعرض مجلس المجمع الفقهي، في دورته الثامنة عشرة، المنعقدة في مكة المكرمة، في الفترة ما بين ١٠ - ١٤ ربيع الأول ١٤٢٧هـ الموافق ٨ - ١٢ إبريل ٢٠٠٦م. ببالغ الاستياء والأسى ما تجرأت عليه صحيفة (يولاندس بوستن) الدانماركية، وتناقلته عنها بعض الصحف الأوروبية والعالمية الأخرى؛ متجنية في تصوير رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بصورة مزرة ومهينة، ورسم هيئات (كاريكاتيرية) ساخرة، وتعليقات مسيئة قاصدة من وراء ذلك النيل من قدر نبي الإسلام ورسول الهدى، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، المبعوث للبشرية جمعاء، خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، يدفعهم إلى ذلك الحقد الدفين على هذا الدين العظيم؛ محاولين أن ينقصوا من قدر نبيه، وأن يشوهوا من سامي تعاليمه، مما أدى إلى إثارة غضب المسلمين، وجرح مشاعرهم في مختلف أنحاء المعمورة، والإساءة البالغة لهم في الاعتداء على من يفدونه بأنفسهم وأموالهم، معتدين بذلك على الحرمات الدينية، ومتجاهلين الموانئ الدولية، والأعراف الإنسانية التي تحرم مثل هذا العمل المشين وترفضه أشد الرفض. والمجلس إذ يستنكر هذا التجاوز المقنوت والتجني المسف الذي قصد به الإساءة إلى رسول البشرية عليه الصلاة والسلام، وإلى دينه القويم، فإنه يدين ذلك أشد الإدانة، ويطلب من قاموا به، وساعدوا على نشره، وتضامنوا مع فاعليه، وفجروا بذلك أزمة كبيرة بين بلادهم والعالم الإسلامي، أن يعلنوا تراجعهم عما أقدموا عليه، ويعتذروا للأمة الإسلامية عن قبيح صنيعهم، ويطلب مختلف الأفراد والجماعات، والشعوب والمؤسسات، والمحافل والمتدييات، والحكومات أن يقفوا صفاً واحداً لتحمل مسؤولياتهم كل بحسب قدرته وموقعه لردع هذا التناول وأمثاله والأخذ على يد فاعله. إن هذا النوع من الإساءة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام هو جزء من الحملة الشرسة المنظمة

التي يشنها الأعداء على ديننا فينبغي أن تتيقظ لها الأمة وأن تتخذ كل سبل الوقاية منها، وأن تتصافر في ذلك الجهود، فعلى الدعاة والعلماء بذل قصارى جهدهم لتبصير المؤمنين بمخاطر هذه الهجمة الشرسة، وأن تستنفر الأمة جميع طاقاتها، وتستخدم وسائل الضغط الممكنة من قبل الحكومات والشعوب كل بحسبه، لئلا يجر المسيئين، وردع كل من تسول له نفسه المساس بمقدساتها والنيل منها. وفي هذا الإطار لا بد من العمل على استصدار ميثاق دولي يجرم الإساءة إلى رسل الله وأنبيائه سبحانه ويضع من الإجراءات ما يصون حرمانهم، ويعاقب كل من يتجنى ويتناول عليهم، وإن حرية التعبير يجب أن لا تسمح بالإساءة للآخرين والاعتداء عليهم. ولا يفوت المجلس وهو يدعو إلى هذا أن يؤكد على أن أساليب الضغط التي يشدها والطرق التي يرغب سلوكها ينبغي أن تكون مضبوطة كلها بضوابط الشرع الحنيف وبأخلاقيات هذا الدين القويم قال تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى). وختاماً: فإن المجلس يشيد بالأفراد والجماعات والهيئات والمحاقل والمنتديات والشعوب والحكومات على ما أظهره من غيرة في بياناتهم وجهودهم المختلفة نصرة لله ورسوله، وينشئ على جهود رابطة العالم الإسلامي فيما صدر عنها من بيانات ومن أعمال تجاه هذا الحادث الجلل ويؤكد على ذلك كله، ويدعوها لتنسيق الجهود الإسلامية في ذلك، وإجراء الاتصالات اللازمة مع مختلف الجهات. ويشيد بالدول والحكومات والمنظمات والمؤسسات من مختلف دول العالم الذين وقفوا مع الأمة الإسلامية، في هذه القضية واستنكروا هذا العمل المشين. نسأل الله العليّ القدير أن يكشف الغمة عن هذه الأمة، وأن ينصرها على أعدائها، ويهيئ لها من أمرها رشداً. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بيان من المجلس حول الكتاب المسمى قليبساً (بالفرقان الحق)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠ - ١٤ ربيع الأول عام ١٤٢٧ هـ الذي يوافق ٨ - ١٢ إبريل ٢٠٠٦م قد أطلع على ما تناقلته بعض وسائل الإعلام من قيام مجموعة في ولاية تكساس الأمريكية بتأليف كتاب أسموه -زوراً وبهتاناً- (الفرقان الحق)؛ يريدون به أن يكون بديلاً للقرآن الكريم، وسعت هذه المجموعة من خلال هذا العمل الشنيع إلى الإساءة للإسلام؛

عن طريق تشويه القرآن الكريم بكتابته بطريقة قدموا وأخروا في السور والآيات، وحذفوا، وزادوا، وبدلوا، وحوروا، وعبثوا بكلام الله المنزل على خاتم رسله بخاتمة رسالاته إلى العالمين والذي هو أصل دين المسلمين، وعمدة ملتهم، والكتاب المعظم لدى خاصتهم وعامتهم، رجالهم ونسائهم، ولم يردع هؤلاء الحاقدين عن هذا العمل الشرير وازع من ضمير، ولا احترام للقوانين والمواثيق الدولية التي تنص على احترام الأديان، وتحرم المساس بمقدسات الأمم والشعوب. وهذا العمل الذي تحرمه وتجرمه الشرائع والقوانين، ليس بأول افتراء وتحريف وتزوير يمارسه أعداء الله ضد كتب الله المقدسة وفي المقدمة منها القرآن الكريم. إن هذا العبث بكتاب الله عمل باطل، وجرم عظيم، وافتراء على الله عز وجل، واستهزاء بآياته، وهو من أشد أنواع الظلم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (الصف: ٧). وإن هذا الاعتداء على كتاب الله بالتحريف والتزوير إنما هو رغبة في أن يتوافق مع الأهواء في صرف المسلمين عن دينهم ومعتقداتهم، ومحاولة تفريق صفوفهم، وتفكيك مجتمعاتهم، واستغلال ثروات بلادهم، وإحداث الشحناء والخلافات والحروب بينهم، وهو عمل يهدف إلى تحطيم الأمة الإسلامية في أهم مقومات وجودها؛ وهو دينها الذي هو عصمة أمرها قال تعالى: (وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) [النساء: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. ومجلس المجمع الفقهي الإسلامي يطمئن المسلمين بأن الله تعالى راد كيد هؤلاء الأعداء الحاقدين المعتدين في نحورهم؛ فالقرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة التي أقام بها الحجة على العالمين؛ الإنس والجن: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الاسراء: ٨٨]. وقد تكفل الله بحفظه، وقوله الحق، ووعد الصديق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فلا يطفى نوره المتوقد أحد ولا نفخة من فم، وكل محاولة عابثة سينكشف عوارها، ويفتضح أمرها بإذن الله، كما ذهبت محاولات كثيرة من قبلهم أدرج الرياح، قال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف: ٨]، فأين كلام البشر في مبناه ومعناه من كلام الله فستان ما بين الأمرين. وإن المسلمين لأدري وأعرف بالقرآن الكريم مما يظن أنه سيحل محله من كلام البشر كما حكى الله ذلك عن المفسدين في الأرض حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ومن وسائل حفظ القرآن أن الله يَسَّرَ تلاوته بالأسن وحفظه في الصدور قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القم: ١٧] فهو محفوظ في صدور المسلمين، فالمحاولات السابقة لتحريف القرآن كانت في تغيير بعض الحروف، أو الكلمات ومع هذا سرعان ما يدركها المسلمون وينتبهون إليها، فكيف بتحريف كامل للقرآن الكريم (وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [التارق: ١٦]. وإن هؤلاء الذين تجرؤا على كتاب ربنا سبحانه وتعالى سيلاقون الحزى في الدنيا والعذاب في الآخرة فمن حارب الله ورسوله مهزوم لا محالة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ، كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [البقرة: ٢١]، وإن مآل سعيهم إلى خسار ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَتَّقُونََهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الذي ينعقد هذه الأيام في أظهر بقاع الأرض؛ مكة المكرمة ليستنكر أشد الاستنكار الهجمة الشرسة على هذه الأمة في معتقداتها وثقافتها وقرآنها ونبينا ووجودها تلك الهجمة التي لم يسبق لها مثيل من حيث حجمها وعمقها وما تستهدهه والتي يجب أن تجابه من جميع المسلمين حكاماً وعلماء، أفراداً وشعوباً، بالاستنكار والإدانة والقيام بعمل إيجابي يقطع أطماع الظالمين، ويمحق باطل المبطلين. ويحث المجلس وسائل الإعلام التي تبحث عن الحقيقة وتتصف بالموضوعية أن تسهم في التحذير من الكتاب المذكور وعدم تداوله، ويحث المسؤولين في الدول الإسلامية على منع دخوله أراضيها، ومنع عرضه في معارض الكتاب؛ لكونه مسيئاً للمسلمين كافة. ويدعو إلى نشر كتاب الله وتيسير الحصول عليه للمسلمين كافة حتى لا يغتر أحد بالكتاب المزعوم، ويدعو إلى نشر الترجمات الصحيحة الموثوق بها لمعاني القرآن الكريم بلغات العالم المختلفة؛ فإن غياب الحق من أكبر أسباب انتشار الباطل. نسأل الله أن يحفظ دينه ويعلى كلمته، وأن يرد كيد الأعداء في نحورهم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القرار الأول بشأن المتاجرة بالهامش

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي، في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من ١٠ - ١٤ / ٣ / ١٤٢٧ هـ الذي يوافق ٨ -

١٢ إبريل ٢٠٠٦م، قد نظر في موضوع: (التجارة بالهامش) والتي تعنى: (دفع المشتري [العميل] جزءاً يسيراً من قيمة ما يرغب شراءه يسمى [هامشاً]، ويقوم الوسيط [مصرفاً أو غيره]، بدفع الباقي على سبيل القرض، على أن تبقى العقود المشتراة لدى الوسيط، رهنًا بمبلغ القرض). وبعد الاستماع إلى البحوث التي قدمت، والمناقشات المستفيضة حول الموضوع، رأى المجلس أن هذه المعاملة تشتمل على الآتي: التجارة (البيع والشراء بهدف الربح)، وهذه التجارة تتم غالباً في العملات الرئيسية، أو الأوراق المالية (الأسهم والسندات)، أو بعض أنواع السلع، وقد تشمل عقود الخيارات، وعقود المستقبلات، والتجارة في مؤشرات الأسواق الرئيسية. القرض، وهو المبلغ الذي يقدمه الوسيط للعميل مباشرة إن كان الوسيط مصرفاً، أو بواسطة طرف آخر إن كان الوسيط ليس مصرفاً.

الربا، ويقع في هذه المعاملة من طريق (رسوم التبييت)، وهي الفائدة المشروطة على المستثمر إذا لم يتصرف في الصفقة في اليوم نفسه والتي قد تكون نسبة مئوية من القرض، أو مبلغاً مقطوعاً. السمسرة، وهي المبلغ الذي يحصل عليه الوسيط نتيجة متاجرة المستثمر (العميل) عن طريقه، وهي نسبة متفق عليها من قيمة البيع أو الشراء.

الرهن، وهو الالتزام الذي وقعه العميل بإبقاء عقود المتاجرة لدى الوسيط رهنًا بمبلغ القرض، وإعطائه الحق في بيع هذه العقود واستيفاء القرض إذا وصلت خسارة العميل إلى نسبة محددة من مبلغ الهامش، ما لم يقيم العميل بزيادة الرهن بما يقابل انخفاض سعر السلعة. ويرى المجلس أن هذه المعاملة لا تجوز شرعاً للأسباب الآتية:

أولاً: ما اشتملت عليه من الربا الصريح، المتمثل في الزيادة على مبلغ القرض، المسماة (رسوم التبييت)، فهي من الربا المحرم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

ثانياً: أن اشتراط الوسيط على العميل أن تكون تجارته عن طريقه، يؤدي إلى الجمع بين سلف ومعاوضة (السمسرة)، وهو في معنى الجمع بين سلف وبيع المنهى عنه شرعاً في قول الرسول " لا يحل سلف وبيع..." الحديث رواه أبو داود (٣/ ٣٨٤) والترمذي (٣/ ٥٢٦) وقال: حديث حسن صحيح. وهو بهذا يكون قد انتفع من قرضه، وقد اتفق الفقهاء على أن كل قرض جر نفعاً فهو من الربا المحرم.

ثالثاً: أن المتاجرة التي تتم في هذه المعاملة في الأسواق العالمية غالباً ما تشتمل على كثير من العقود المحرمة شرعاً، ومن ذلك: المتاجرة في السندات، وهي من الربا المحرم، وقد نص على هذا قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة رقم (٦٠) في دورته السادسة. المتاجرة في أسهم الشركات دون تمييز، وقد نص القرار الرابع للمجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الرابعة عشرة سنة ١٤١٥ هـ على حرمة المتاجرة في أسهم الشركات التي غرضها الأساسي محرم، أو بعض معاملاتها ربا. بيع وشراء العملات يتم غالباً دون قبض شرعى يُجيز التصرف. التجارة في عقود الخيارات وعقود المستقبلات، وقد نص قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة رقم (٦٣) في دورته السادسة، أن عقود الخيارات غير جائزة شرعاً؛ لأن المعقود عليه ليس مالاً ولا منفعة ولا حقاً مالياً يجوز الاعتياض عنه.. ومثلها عقود المستقبلات والعقد على المؤشر. أن الوسيط في بعض الحالات يبيع ما لا يملك، وبيع ما لا يملك ممنوع شرعاً.

رابعاً: لما تشتمل عليه هذه المعاملة من أضرار اقتصادية على الأطراف المتعاملة، وخصوصاً العميل (المستثمر) وعلى اقتصاد المجتمع بصفة عامة. لأنها تقوم على التوسع في الديون، وعلى المجازفة، وما تشتمل عليه غالباً من خداع وتضليل وشائعات، واحتكار ونجش وتقلبات قوية وسريعة للأسعار، بهدف الثراء السريع والحصول على مدخرات الآخرين بطرق غير مشروعة، مما يجعلها من قبيل أكل المال بالباطل، إضافة إلى تحول الأموال في المجتمع من الأنشطة الاقتصادية الحقيقية المثمرة إلى هذه المجازفات غير المثمرة اقتصادياً، وقد تؤدي إلى هزات اقتصادية عنيفة تلحق بالمجتمع خسائر وأضرار أفادحة. ويوصى المجمع المؤسسات المالية باتباع طرق التمويل المشروعة التي لا تتضمن الربا أو شبهته، ولا تحدث آثاراً اقتصادية ضارة بعملائها أو بالاقتصاد العام كالمشاركات الشرعية ونحوها، والله ولي التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القرار الثاني بشأن بيع البطاقة التي يمنح مشتريها تخفيضات

في أسعار السلع والخدمات من غير مصدرها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في المدة من ١٠ - ١٤ / ٣ / ١٤٢٧ هـ التي يوافقها ٨ - ١٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م

اطلع على كتاب رئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة والمتضمن رغبة الجمعية إصدار بطاقات من الجمعية تنتجها إحدى مؤسسات التسويق وتقوم بتسويقها وبيعها مقابل مبلغ تقاسمه الجمعية مع مؤسسة التسويق بعد الاتفاق بين الجمعية وعدد من المحلات التجارية على منح حامل البطاقة تخفيضاً في أسعار السلع التي تملكها هذه المحلات. وبعد الاستماع إلى الأبحاث المقدمة في الموضوع، والمناقشات المستفيضة قرر:

أولاً: عدم جواز إصدار بطاقات التخفيض المذكورة أو شرائها إذا كانت مقابل ثمن مقطوع أو اشتراك سنوي؛ لما فيها من الغرر؛ فإن مشترى البطاقة يدفع مالا ولا يعرف ما سيحصل عليه مقابل ذلك؛ فالغرم فيها متحقق يقابله غنم محتمل، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه.

ثانياً: إذا كانت بطاقات التخفيض تصدر بالمجان من غير مقابل، فإن إصدارها وقبولها جائز شرعاً؛ لأنه من باب الوعد بالتبرع أو الهبة. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القرار الثالث بشأن فسخ الدين في الدين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠ - ١٤ / ٣ / ١٤٢٧ هـ الذي يوافق ٨ - ١٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م قد نظر في موضوع: (فسخ الدين في الدين). وبعد الاطلاع على قرار المجمع بشأن موضوع بيع الدين في دورته السادسة عشرة المنعقدة في مكة المكرمة في المدة من ٢١ - ٢٦ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ الذي يوافق ٥ - ١٠ / ١ / ٢٠٠٢ م والذي جاء فيه ما نصه [ثانياً: من صور بيع الدين غير الجائزة: بيع الدين للمدين بثمن مؤجل أكثر من مقدار الدين؛ لأنه صورة من صور الربا، وهو ممنوع شرعاً، وهو ما يطلق عليه (جدولة الدين)]. وبعد الاستماع إلى البحوث المقدمة، والمناقشات المستفيضة والتأمل والنظر في الصور التي ذكرت في البحوث والمناقشات في موضوع: (فسخ الدين في الدين) أو ما يسميه بعض أهل العلم (قلب الدين) قرر المجمع ما يأتي: يُعدّ من فسخ الدين في الدين الممنوع شرعاً كل ما يفضي إلى زيادة الدين على المدين مقابل الزيادة في الأجل أو يكون ذريعة إليه ويدخل في ذلك الصور الآتية:

فسخ الدين في الدين عن طريق معاملة بين الدائن والمدين تنشأ بموجبها مديونية جديدة على المدين من أجل سداد المديونية الأولى كلها أو بعضها، ومن أمثلتها: شراء المدين سلعة من الدائن بثمن مؤجل ثم بيعها بثمن حال من أجل سداد الدين الأول كله أو بعضه. فلا يجوز ذلك ما دامت المديونية الجديدة من أجل وفاء المديونية الأولى بشرط أو عرف أو مواطاة أو إجراء منظم؛ وسواء في ذلك أكان المدين موسراً أم معسراً، وسواء أكان الدين الأول حالاً أم مؤجلاً يراد تعجيل سدادته من المديونية الجديدة، وسواء اتفق الدائن والمدين على ذلك في عقد المديونية الأول أم كان اتفاقاً بعد ذلك، وسواء أكان ذلك بطلب من الدائن أم بطلب من المدين. ويدخل في المنع ما لو كان إجراء تلك المعاملة بين المدين وطرف آخر غير الدائن إذا كان بترتيب من الدائن نفسه أو ضمان منه للمدين من أجل وفاء مديونته. بيع المدين للدائن سلعة موصوفة في الذمة من غير جنس الدين إلى أجل مقابل الدين الذي عليه، فإن كانت السلعة من جنس الدين فالمنع من باب أولى. بيع الدائن دينه الحال أو المؤجل بمنافع عين موصوفة في الذمة. أما إن كانت بمنافع عين معينة فيجوز. بيع الدائن دين السلم عند حلول الأجل أو قبله للمدين بدين مؤجل سواء أكان نقداً أم عرضاً، فإن قبض البدل في مجلس العقد جاز. ويدخل في المنع جعل دين السلم رأس مال سلم جديد. أن يبيع الدائن في عقد السلم سلعة للمدين -المسلم إليه- مثل سلعته المسلم فيها مرابحة إلى أجل بثمن أكثر من ثمن السلعة المسلم فيها، مع شرط أن يعطيه السلعة التي باعها له سداداً لدين السلم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القرار الرابع حول مدى حق المرأة في إنهاء عقد النكاح بالخلع

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بربطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠ - ١٤ / ٣ / ١٤٢٧ هـ الذي يوافق ٨ - ١٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م قد نظر في موضوع: (مدى حق المرأة في إنهاء عقد النكاح بالخلع). وبعد الاستماع إلى البحوث التي قدمت والمناقشات المستفيضة حول الموضوع قرر ما يلي:

أولاً: الخلع طلب المرأة فسخ عقد زواجها بعوض، وهو مباح، ومندوب في حق الزوج الاستجابة لطلب الزوجة إذا وجد ما يدعو إليه من ظلم الزوج، أو تقصيره في أداء الواجبات الزوجية الشرعية، أو كراهية المرأة البقاء معه، وخشيته من عدم قدرتها على الوفاء بحقوقه.

ثانياً: الواجب على الزوجين العشرة بالمعروف والمحافظة على العلاقة الزوجية؛ قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. ولا يجوز للمرأة أن تطلب الطلاق بغير سبب، قال: "أما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة" رواه أبو داود وابن ماجه.

ثالثاً: يحرم على الزوج عضل زوجته لتفتدى نفسها لقوله تعالى: (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبْنَ بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ). وفي هذه الحالة يساح للمرأة طلب الخلع منه. رابعاً: على المرأة أن تطلب الخلع من رجل لم يعد صالحاً أن يكون زوجها لها بحكم الشرع؛ كما لو طلقها ثلاثاً وأنكر الزوج ذلك ولا شهود على الطلاق ولم يقربه، وكما لو أتى بقول أو فعل يكفر به وعجزت المرأة عن إثباته عند القاضي. خامساً: لا يجبر القاضي الزوج على الفراق وقبول العوض بمجرد طلب المرأة، بل يحاول الإصلاح بينهما، ويبحث حكيم لذلك، فإن لم يتفق الحكمان وتعذر الإصلاح، وثبت للقاضي وجود موجب للخلع أمر الزوج بالمفارقة، فإن أبى فرق بينهما بعوض، أو بدون عوض بحسب ما يظهر له. سادساً: إذا وقع الخلع فهو فرقة بائنة لا يحق معها للزوج مراجعة الزوجة بمقتضى العقد الأول، وعليها العدة. والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

القرار الخامس بشأن عقود النكاح المستحدثة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠ - ١٤ / ٣ / ١٤٢٧ هـ الذي يوافق ٨ - ١٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م قد نظر في موضوع: (عقود النكاح المستحدثة). وبعد الاستماع إلى البحوث المقدمة، والمناقشات المستفيضة. قرر ما يأتي: يؤكد المجمع أن عقود الزواج المستحدثة وإن اختلفت أسماؤها، وأوصافها، وصورها، لا بد أن تخضع لقواعد الشريعة المقررة وضوابطها، من توافر الأركان، والشروط، وانتفاء الموانع. وقد أحدث الناس في عصرنا الحاضر بعض تلك العقود المبيئة أحكامها فيما يأتي:

١ - إبرام عقد زواج تنازل فيه المرأة عن السكن والنفقة والقسم أو بعض منها، وترضى بأن يأتي الرجل إلى دارها في أي وقت شاء من ليل أو نهار. ويتناول ذلك أيضاً: إبرام عقد

زواج على أن تظل الفتاة في بيت أهلها، ثم يلتقيان متى رغبا في بيت أهلها أو في أى مكان آخر، حيث لا يتوافر سكن لهما ولا نفقة. هذان العقدان وأمثالهما صحيحان إذا توافرت فيهما أركان الزواج وشروطه وخلوه من الموانع، ولكن ذلك خلاف الأولى.

٢-٣- الزواج المؤقت بالإنجاب وهو: عقد مكتمل الأركان والشروط إلا أن أحد العاقدین يشترط في العقد أنه إذا أنجبت المرأة فلا نكاح بينهما، أو أن يطلقها. وهذا الزواج فاسد لوجود معنى المنعة فيه؛ لأن التوقيت بمدة معلومة كشهر أو مجهولة كالإنجاب يصير متعة، ونكاح المنعة مجمع على تحريمه.

الزواج بنية الطلاق وهو: زواج توافرت فيه أركان النكاح وشروطه وأضمر الزوج في نفسه طلاق المرأة بعد مدة معلومة كعشرة أيام، أو مجهولة؛ كتعليق الزواج على إتمام دراسته أو تحقيق الغرض الذى قدم من أجله. وهذا النوع من النكاح على الرغم من أن جماعة من العلماء أجازوه، فإن المجمع يرى منعه؛ لاشتماله على الغش والتدليس. إذ لو علمت المرأة أو وليها بذلك لم يقبل هذا العقد. ولأنه يؤدي إلى مفساد عظيمة وأضرار جسيمة تسيء إلى سمعة المسلمين. والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

القرار السادس

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وبعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠ - ١٤ / ٣ / ١٤٢٧ هـ الذي يوافق ٨ - ١٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م قد نظر في موضوع: (اختيار جنس الجنين) وهو - كما يقرر علماء الوراثة - عملية تعود إلى التقاء زوج من الصبغيات (الكروموسوم) على وفق ترتيب معين ينتج عنه المولود ذكراً، وترتيب آخر ينتج عنه المولود أنثى. وبعد الاستماع إلى البحوث التي قدمت والمناقشات المستفيضة حول الموضوع قرر المجلس تأجيل البت في الموضوع للمزيد من دراسته وعرضه في دورة قادمة. والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.



obeikandi.com

القسم الثامن
القسم الإفرنجي

obeikandi.com

- 37 - Boukhari, les témoignages 2452. Moslem, l'allaitement 2616, 2621. Abou Daoud, le mariage 759. M alek, L'allaitement 1116 - Boukhari, Les témoignages 2451. Moslem, l'allaitement 2624. Nassa'i, Le mariage 3254.
- 38 - Termidhi, les successions 2041. Ibn Maja, Les successions 2732. Ahmad, Mousnad al Makeyine 15430. Mousnad al Chameyine 16367. Liaan: sermons échangés, devant le juge, entre le mari et l'épouse à propos d'une accusation d'adultère insusceptible d'être prouvé par les témoins; dès que ces sermons soient complètement accomplis, le juge prononcera la dissolution du mariage et l'enfant ne sera lié qu'à sa mère. A voir plus de détails dans les interprétations de la Sourate 24, Versets 6-9.
- 39- Qortobi, exégèse: Sourate 12, Verset 10. Allubab fi charh el Kitab, Abdel Ghani al Maydany, le livre d'el laquite.
- 40- Al fiqh alalmadhaheb al arbaa, Abdel Rahman Al Jaziry, dispositions diverses selon les sujets de culte, de mariage, de la succession ... etc.
- 41 - Sourate 33, Verset 5.
- 42 - Al Syra Annabaweya, Ibn Hicham, la migration de la Mecque à la Médine.
- 43 - Sourate 4, Versets: 7-12.
- 44 - Voir Lissan el arabe et d'autres dictionnaires: والى - ولاء
- 45 - Tafsir al Glalein, itérpération du Verset 5, Sourate 33.
- 46 - Voir Lissan el arabe et d'autres dictionnaires: كفال - كفالة
- 47- Sourate 89, Versets: 17-19.
- 48- Al Boukhari, al adab 5546. Moslem, al zohd 5296. Abou Dazoud, al adab 4483.
- 49- Moghni al Mehtag, Al Khatib al Cherbini, Chapitre de l'aveu de parenté.

20 - *Notions détaillées, chez Al Sayouti, dans son exégèse: al Dorr al Manthour fil tafsir bel Ma'thour. Ed. Dar el Fikr, 1403H / 1983, Sourate 2, Verset 233.*

21 - *Soboul Essalam, Al Sanaany, Al Erdaa. Al Fiqh alal Madhahib al Arbaa, Abdel Rahman Al Jaziry, T. 4, Les conditions de l'allaitement.*

22 - *Al Mabsout, Al Sarakhsi, T.3, interprétation de ce qui est interdit du fait de la parenté.*

23 - *Kefayet al Taleb, Aboul Hassan el Maleky, ed. Dar el Fikr, Beirut 1412H. T.2, p. 73. Al Thamar al Dani charh ressalet al Qayrouani, Saleh al Azhari, ed. al Maktaba al Thaqafeya, s.d, p. 446. Hacheyat al Adaoui, Aly al Maleki, éd. Dar el Fikr, Beirut 1412 H. T.2, p. 73.*

24 - *Protocoles pour la lactation induite, www.mamancheri.ca/fr/download/newman/lactation.*

25 - *Relactation et lactation induite, www.illfrance.org*

26- *Al Omm, de l'imam Chaféi, éd. Dar el Maarifa, Beyrouth 1393H. T5, p. 36. Al fiqh alal Madhahib al Arbaa, Abdel Rahman Al Jaziry, T. 4, Les conditions de l'allaitement. Allubab fi charh el Kitab, Abdel Ghani al Maydani, le livre d'el Khountha. Al mabsout, Al Sarakhsi, T. 3, interprétation de ce qui est interdit par allaitement.*

27- *Al fiqh alal Madhahib al Arbaa, Abdel Rahman Al Jaziry, T. 4, Les conditions de l'allaitement.*

28- *Sourate 31, Verset 14 interprété ainsi par Ibn Hazm, dans son livre "Al Mouhalla", éd. Dar el Afaq, Beyrouth s.d. T10, p.22.*

29- *Sourate 46, Verset 15.*

30 - *Al fiqh alal Madhahib al Arbaa, Abdel Rahman Al Jaziry, T. 4, Les conditions de l'allaitement.*

31- *Moslem, L'allaitement, 2634. Abou Daoud, Le mariage, 1765*

32 - *Allaiter Aujourd'hui n°63, Lactation induite et allaitement d'un bébé adopté : savoir que c'est possible. Relactation et lactation induite, www.illfrance.org*

33 - *Naviguer sur le net: les problèmes des orphelinats et des établissements des enfants.*

34- *Al Mabsout, Al Sarakhsi, T.3, livre du mariage, le mariage interdit à cause de l'alaitement, Al Ahkam, Ibn Hazm, ed. Dar el Hadith, le Caire 1404 H. T.3 p. 388.*

35 - *Sourate 33, Verset 5.*

36 - *Sourate 4, Verset 24.*

Références

- 1 - *Al Ouçoul wal Dawabet, Yahia ibn Charaf al Nawawi (631-673 H) ed. Beyrouth 1406 H, T.1 p.36.*
- 2 - *Convention des droits de l'enfant, ONU 1989.*
- 3 - *Sourate 4. Verset 23.*
- 4 - *Boukhari, les témoignages 2452. Moslem, l'allaitement 2616, 2621. Abou Daoud, le mariage 1759. M alek, l'allaitement 1116.*
- 5 - *Boukhari, les témoignages 2451. Moslem, l'allaitement 2624. Nassa'i, le mariage 3254.*
- 6 - *Abou Daoud, le mariage 1763. Ahmad, Mousnad al Moukathérin men al Sahaba 3905.*
- 7 - *Termédhi, l'allaitement 1070. Abou Daoud, le mariage 1764. Malek, l'allaitement 1113.*
- 8 - *Moslem, l'allaitement 2628. Termidhi, l'allaitement 1062. Nassa'i, le mariage 3256.*
- 9 - *Sourate 4. Verset 23.*
- 10 - *Exégèse, al Jamei li Ahkam Al Coran, Al Qortobi, Sourate 9, Versets 26 – 27.*
- 11 - *Al Issaba fi Taarif el Sahaba. T. 2, lettre hâ', 1765.*
- 12 - *Les érudits voient que même en donnant son lait à l'enfant moyennant un verre ou une assiette, elle devienne sa mère de lait.*
- 13 - *La dépression post-adoption, Nycole Dumais, www.quebecadoption.net*
- 14 - *C'est tout à fait garanti que la juridiction rendra son jugement en faveur d'une femme prouvant qu'elle a allaité un enfant dans l'âge de deux ans en vue de le prendre de l'orphelinat; mais le public n'est pas encore attentif à manipuler un tel procès.*
- 15 - *Islam on line, un site connu sur le net, appelle les ulémas de se regrouper pour penser à des solutions aux profit des enfants trouvés, sans envisager l'instrumentalisation de la maternité de lait.*
- 16 - *Malgré qu'elle engendre juridiquement des effets importants, la maternité de lait ne trouve pas sa place dans la mémoire du public ni sur les papiers officiels, elle n'est pas évidemment claire comme obstacle juridique empêchant certaines sortes de mariage.*
- 17 - *Encyclopédie Encarta, adoption.*
- 18 - *Encyclopédie Wikipédia, sur le net, adoption*
- 19 - *Adoption internationale et respect de l'enfant, université de Reims, Centre d'études rémois des relations internationales, Faculté de droit et des sciences politiques, www.amessi.org*

- La personne concernée par cet aveu doit être dépourvue d'un père de sang légalement reconnu, sinon on est face à une contestation sur la véritable parenté.
- L'âge des deux parties soit concevable; par exemple ne soit jamais crédible que le bénéficiaire d'un aveu de paternité soient du même âge que l'avouant.
- Les effets juridiques de l'aveu se limitent en principe entre l'avouant et l'avoué; sauf des réserves concernant l'ordre public. Par exemple, la bénéficiaire de l'aveu de paternité ne soit pas pour le frère de l'avouant sa nièce que par un autre aveu de la part de celui-ci; à défaut de quoi l'héritage ne fonctionnera pas entre ces deux; mais les exigences de l'ordre public interdisant qu'un mariage soit conclu entre eux fonctionnent.

Egalement l'enfant trouvé bénéficiaire d'aveu de paternité portera le nom du père avouant; mais l'ordre public exige que ce - ou cette - bénéficiaire ne soit pas dépourvu de son islam par ce simple aveu (49).

Conclusion :

L'enfant est un être humain ayant tous les droits résultant de la citoyenneté. En même temps, la religion de l'enfant le lie dans un sens avec un groupement de moralité religieuse; cela exige que la protection de l'enfance misérable soit renforcée.

A ce propos il faut noter que le monde musulman se dirige actuellement vers la spécialisation en domaine de la doctrine islamique, c'est ainsi que c'est apparue la doctrine de la famille, la doctrine de la femme, de l'enfant et d'autres. Sous ces volets contemporains les érudits concentrent les efforts pour résoudre les polémiques compliquées du monde moderne; et c'est dans ce cadre que nous avons élaboré cette recherche en envisageant des solutions argumentées pour élargir les disponibilités au profit des enfants sinistrés et abandonnés. Qu'Allah Soit à notre aide.

noble notion de wala' aux lois nationales, au moins au profit de tous les sinistrés y compris l'enfant sans famille.

La kafala ou la prise en charge : La kafala, synonyme de garanti, veut dire la prise en charge (46). Le Coran et la Sunna incitent les gens de prendre en charge les orphelins, sous entendu et à plus forte raison, les enfants trouvés. Il s'agit d'un acte approuvé et fortement récompensé par Dieu.

Malgré que l'application idéale de cette notion exige l'accueil de l'enfant dans la famille de la personne garante, mais cela ne consiste pas actuellement une coutume aperçue au monde musulman. La plupart des gens charitables préfèrent de prendre en charge des orphelins sans les accueillir dans la famille; c'est pourquoi les enfants des orphelinats ont toujours une profonde avidité à la tendresse de la famille naturelle.

En droit, la kafala ne changera rien quant au statut juridique des deux parties; elle n'ajoute que des comportements moraux restant toujours dans le cadre de la générosité, de la liberté d'accueil consacrée aux individus, aux familles, aux tribus ...etc. Quand même, les juristes contemporains peuvent vêtir la kafala d'un encadrement juridique d'ordre completif en faveur des enfants sinistrés.

Accueilli dans une famille, l'orphelin ou l'enfant trouvé goûtera une sorte de tendresse humanitaire. Même en étant considéré juridiquement étranger, il est avant tout un hôte méritant tous les effets de la générosité et du bon accueil.

Le Coran : *"Mais non! C'est vous plutôt, qui n'êtes pas généreux envers l'orphelin; qui ne vous incitez pas mutuellement à nourrir le pauvre; qui dévorez l'héritage avec une avidité vorace ..."*(47).

La Sunna : *"Le Prophète a dit : moi et le chargé d'un orphelin sommes au paradis, en faisant ainsi allusion avec ses deux doigts: l'index et le médius"*(48).

Troisième chapitre

Rétablissement par aveu d'une parenté perdue

La doctrine musulmane veillant à l'intérêt des sinistrés, ouvre largement cette voie. Presque sans conditions, sauf la crédibilité, l'aveu produira ces effets juridiques entre l'avouant et le bénéficiaire.

La crédibilité exige, par exemple, que lorsqu'on avoue qu'une telle personne soit fils ou fille, il faut que :

établissant des normes détaillées pour l'héritage reposant sur la parenté de sang et le lien du mariage (43).

Malgré que la fraternité en religion pourrait à nos jours être un facteur indemnisant les enfants sinistrés à n'importe quel âge; mais en fait elle est oubliée du mémoire des musulmans et sa réactivation consistera une difficile affaire. Même en présumant que sa réanimation est envisageable, mais en fin des comptes elle ne consistera qu'une relation morale et sa réactivation ne portera juridiquement grand-chose. Qu'elle soit l'affaire des sociologues et de prêcheurs en premier lieu; pourtant, cela n'empêche pas les juristes d'envisager des possibilités juridiques pour réanimer cette parenté morale.

"Al wala' " ou l'alliance : Le mot wala' en langue arabe a plusieurs significations (44). Nous sommes intéressés ici de son utilisation en tant que terme désignant l'alliance entre deux parties inégales, l'une ayant besoin de la protection de l'autre. Il s'agit d'une coutume tribale reconnue avant l'islam, dans le sens qu'un citoyen, individu ou tribu, protège un étranger pour lui permettre de jouir des mêmes droits civiques que les citoyens.

Cité par le Coran, le mot mawali (mawla en sigulier) dérivé du wala', désigne les alliés protégés : *" Appelez- les du nom de leurs pères, c'est plus équitable devant Allah. Mais si vous ne connaissez pas leurs pères, alors considérez- les comme vos frères en religion ou vos alliés "* (en arabe: mawalikum) ce mot signifie aussi chez certain exégète: vos cousins (45).

- En appliquant la notion de wala', l'enfant sans famille sera, en tant qu'allié, protégé par une personne qui répondrait à ces besoins et qui sera responsable de lui jusqu'à l'âge de sa majorité.

- La religion de l'enfant allié restera la même en cas où sa personnalité juridique est connue; sinon sa religion soit présumée celle de la majorité du peuple au lieu de sa découverte.

Tout en restant de nature facultative au départ, cette sorte d'alliance ayant des effets juridiques a du subsister et évoluer dans la culture humaine au profit des sinistrés, y compris l'enfant sans famille. Mais malheureusement cette notion coutumière est disparue complètement du mémoire des musulmans.

En tant que notion citée par dans Coran en compensation avec l'abrogation des effets coutumiers de l'adoption simple, ce fait nous incite à lancer un appel aux pays musulmans pour intégrer cette

Reste le critère de la parenté par le lait qui doit constituer un argument juridique et humanitaire pour déférer, au moins, la nationalité de la mère adoptive à l'adopté. Il faut donc veiller à son importance, car il ne s'agit pas d'une présomption mais plutôt d'un critère tangible de parenté qui est juridiquement analogue au critère de sang.

Deuxième chapitre

Alliance à une famille sans lien de parenté

Il s'agit des notions morales visant à activer une certaine affection ou solidarité avec les sinistrés à n'importe quel âge. Le Coran, en annulant les effets juridiques donnés à l'adoption simple, ordonne : *" Appelez- les du nom de leurs pères, c'est plus équitable devant Allah. Mais si vous ne connaissez pas leurs pères, alors considérez- les comme vos frères en religion ou vos alliés "*(41).

"Al ta'akhi" ou la fraternité morale : La fraternité en religion constitue une solidarité entre deux parties – individus ou famille - l'une est en aisance de vie tandis que l'autre soit en besoin. Cette sorte d'alliance facultative reflétait au début de l'islam une forte solidarité entre les tribus constituant le peuple du premier Etat musulmane à la Médine.

Juste après son arrivé à la Médine, le Prophète a donné ses instructions pour activer la fraternité en religion entre les musulmans émigrés de la Mecque qui étaient en besoin et les citoyens de la Médine qui munissaient une vie d'aisance. Les émigrés se sont trouvés comblés des dons survenus volontairement de la part des médinois; argent, terrains, femmes à marier ... etc. c'est comme ça qu'un certain équilibre social soit établi entre des familles et des tribus (42).

Les instructions du Prophète étaient en même direction pour les tribus juives faisant partie du peuple médinois, en déclarant qu'elles sont entre elles alliées; mais cette alliance n'avait pas les mêmes effets qu'entre les musulmans, car il n'y avait pas des juifs qui étaient émigrés de la Mecque.

Cette sorte de fraternité acquérait son efficacité du fait qu'elle était exercée à l'ombre du Prophète. Elle était de teinte morale plutôt que juridique, car elle n'engendrait en général des effets obligatoires qu'en domaine de l'héritage qui fonctionnait entre ces frères en religions. Peu après cet effet était abrogé par le Coran en

Dans le cas où l'allaitante n'est pas musulmane, l'allaitement engendre tous ses effets sans changer la religion musulmane présumée juridiquement pour l'enfant trouvé; car le renoncement à l'islamité acquise n'est pas en droit envisageable (40). L'enfant reste musulman, pourvu que son allaitante non musulmane soit considérée juridiquement sa mère de lait; en même temps que son entourage parental soit le sien.

La famille non musulmane peut également être adoptive par allaitement, en solidarité avec la parenté musulmane de sang. La doctrine musulmane ne pose aucune condition exigeant que l'allaitante soit de la même religion que l'allaité. Donc l'allaitement engendrera ces effets parentaux; sauf le changement de l'islamité déjà acquise par la présomption juridique.

Quant à la nationalité, la logique humanitaire exige que l'enfant trouvé ait droit à la nationalité du lieu de sa découverte; mais est-ce que tous les Etats suivent le critère du lieu de la naissance ? Est-ce que l'allaitement transmettra à l'enfant la nationalité de l'allaitant ?

Tout d'abord l'acquisition d'une maternité par le lait consiste un droit logiquement naturel, peut importe que l'allaitante soit compatriote ou étrangère, elle aurait envers l'enfant la qualité de mère. Lorsque la mère ou les parents de sang existent, la mère de lait n'aura pas le droit d'amener l'adopté hors du pays qu'avec leur consentement; car la parenté de sang est logiquement considérée originale.

Mais à défaut des parents de sang, l'application des lois internes ne donne pas à la mère ou la famille adoptive le droit d'amener l'enfant hors du pays, car actuellement ces lois manquent un statut complet concernant la parenté par le lait; en même temps qu'elles ne donnent aucun effet à l'adoption simple. Cela amplifie le phénomène des enfants sans familles et sans papiers; surtout dans les pays qui adoptent le critère de sang pour la nationalité.

L'humanité exige d'ouvrir tant de possibilités devant les enfants abandonnés pour puiser une certaine nationalité comme abri juridique. Le critère du lieu de la naissance soit envisageable en présumant que l'enfant abandonné sans famille ni papiers soit né au territoire où il se trouve. Egalement le critère de sang soit envisageable en supposant que le lieu de l'enfant abandonné présume sa descendance d'une certaine citoyenneté, puisque les gens sur ce lieu sont en majorité des citoyens.

prévues par testament dépassent le montant de la quotité disponible, elles ne sont valables qu'en face de l'héritier qui donne son consentement.

Les donations sont toujours possibles entre vifs; sous réserve qu'elles ne soient pas effectuées sur le lit de mort - ou au cours d'une maladie mortelle - car selon la présomption juridique, cet acte est considéré comme un testament.

Il faut avouer que l'Égypte ne dispose pas d'un puissant instrument de statistiques, c'est pourquoi on ne peut pas accéder facilement au nombre précis d'enfants dans les orphelinats, errant dans les rues ou accueillis dans des familles. De temps en temps des journaux parlent d'un million d'enfants vagabonds dans les rues égyptiennes.

De toute façon, même à défaut de statistiques précises, on ne peut pas nier que l'enfance abandonnée constitue un phénomène préoccupant en Égypte. Nous attendons à ce propos des statistiques détaillées relevant tous les aspects de ce phénomène et les effets des instructions prises par le Conseil national pour l'Enfance et la Maternité, créé récemment en tant que compétence suprême pour tout ce qui concerne les enfants et la maternité. Actuellement, ce Conseil procède à une révision du droit égyptien de l'enfant promulgué en 1996 en vue de le modifier.

Par mesure de précaution contre l'exploitation des enfants, les orphelinats refusent de donner des filles aux demandeurs de l'adoption et donnent plutôt des garçons. Pour l'instant, les gens ne pensent pas à utiliser la voie de l'adoption par allaitement, bien que ce soit une voie islamique absolument garantie, tant au niveau juridique que juridictionnel. Cette voie aura donc besoin d'une réanimation culturelle et d'une habileté administrative pour qu'elle ne soit pas utilisée comme prétexte par les exploiters d'enfants.

- *Religion et nationalité de l'adopté* : Sur le plan juridique la religion aux États laïcs n'occupe pas la même étendue qu'aux pays musulmans. Là, elle ne consiste pas un élément de grande valeur au statut personnel de l'individu.

Mais au pays islamiques, où la religion teinte juridiquement la personnalité; nous voyons qu'il n'y aurait aucun obstacle en partant d'un principe primordial que l'enfant trouvé acquière la religion de l'État où il a été trouvé. Il s'agit d'une présomption doctrinale rendant la religion de l'enfant à la conviction majoritaire des gens au lieu de sa découverte (39).

- Puisque la parenté par le lait est subsidiaire; il faut que le droit à l'héritage en sa faveur soit aussi subsidiaire.

- Dès que cet héritage subsidiaire est en jeu, l'attribution de la quotité disponible à un ou plusieurs héritiers - en plus de leurs parts - ne doit être effectué que si les parents par le lait ont déjà touché leur part.

- Dans le cas de validité, la part des parents par le lait est calculée par analogie avec les règles ordinaires de succession.

- L'existence de parents par le lait successibles entraîne le partage des parts entre les bénéficiaires selon les ordres légaux de succession.

Suivant ces principes, les règles de succession concernant la parenté par le lait pourraient être établies ainsi :

- La famille par le lait héritera de l'enfant, fils ou fille, dans le cas d'inexistence, en fait ou en droit, d'une parenté ayant juridiquement droit à un héritage normal.

- Le père ou la mère par le lait héritera de l'enfant, fils ou fille, s'il n'avait pas, au moment de sa mort, d'autres parents capables de lui succéder.

Dans ce domaine, on doit tenir compte d'un hadith spécialement consacré à l'intérêt de la mère: "Le Prophète a dit : la femme acquiert trois héritages; celui de son affranchi, de son enfant trouvé et de son enfant de *liaane*"(38). Ce hadith s'applique, à plus forte raison, à la femme qui a allaité un enfant trouvé; donc cette mère adoptive ne doit pas être considérée comme subsidiaire vis-à-vis de l'héritage :

- Pas de complication dans l'hypothèse où, réciproquement, le défunt, "enfant trouvé", n'avait pas d'autre parenté que la mère allaitante, la succession sera dévolue en totalité à la mère; et vice versa.

- Lorsque l'enfant trouvé aura, par son mariage, créé sa propre famille conjugale, sa mère par le lait sera appelée à succéder en tant que mère avec les autres héritiers.

- Dans le cas où l'enfant trouvé, fils ou fille, a grandi dans une famille de lait, tous les membres de cette famille seront appelés à lui succéder, même avec sa famille conjugale; car il a été élevé grâce aux ressources de cette famille par le lait.

Quant aux testaments, ils relèvent de la libre volonté; donc leur validité est tout à fait reconnue. En droit musulman la quotité disponible est fixée au tiers de la succession. Si les libéralités

sont interdites ... les femmes de vos fils nés de vos reins ..." (36). Les érudits ont décidé que cette interdiction était applicable aux divorcés des descendants par le lait, bien que ces descendants ne soient pas considérés comme « fils des reins ».

Il s'agit donc d'une véritable parenté analogue à la parenté par le sang. Le hadith l'éclaire en toute évidence : "Il est interdit par allaitement ce qui est interdit par accouchement" – "par la parenté de sang" (37).

- Autorité et responsabilité parentales

La famille par le sang est le socle sur lequel le statut juridique de la famille est basé. Cela veut dire que la parenté par le lait ne prive jamais les parents par le sang de leurs droits et ne les soulage jamais de leurs responsabilités.

Mais lorsque l'adoption par allaitement est – en fait et en droit – « ultime » pour l'enfant, il sera équitable de lui accorder des droits et de lui imposer des obligations analogues à la parenté par le sang. Nous désignons par l'expression « ultime » les cas suivants :

- Lorsque l'enfant n'a pas d'autre parenté que la famille adoptive par allaitement; c'est à elle seule qu'incombent les responsabilités et l'autorité parentale, par analogie avec le statut juridique de la famille par le sang.

- Lorsqu'il existe une famille par le lait saine, à côté d'une famille par le sang instable, défaillante ou négligente, il convient que les tribunaux aient le pouvoir de d'attribuer la protection de l'enfant à sa famille adoptive.

La dualité parentale en raison de l'allaitement est, en fait et en droit, envisageable. A quelle famille – et sur quel critère – sera donnée la priorité ? En cas de conflit, c'est le tribunal qui devrait trancher le litige.

Tout un travail législatif et judiciaire doit être mené à bien pour instaurer ce statut familial en vue de sauver autant que possible des enfants qui sont, en fait ou en droit, dépourvus de parenté et de liens familiaux.

- Héritage et testament

Tout en reconnaissant que les normes impératives de l'héritage sont basées sur la parenté par le sang et les liens du mariage, on ne pourra jamais nier que l'équité exige de prévoir l'héritage entre les parents par le lait dans certains cas :

Il faut d'abord envisager des critères directifs :

leurs ressources pourraient couvrir les dépenses nécessaires à leur amélioration (33).

En vue de donner au statut de l'adoption par allaitement sa pleine étendue juridique, nous suggérons les effets suivants :

- Le nom de l'adopté par allaitement :

- Dans le cas où les parents par le sang sont légalement connus, l'enfant par allaitement garde le nom de son père biologique.
- L'inexistence d'un père biologique légalement reconnu, exige que l'enfant soit porteur du nom de son père par le lait.
- Le père par le lait est le mari de l'allaitante dont le rapport conjugal a induit la lactation : c'est ainsi l'époux divorcé - ou le mari défunt - de la femme qui allaitait pendant la période d'attente des menstrues. Ainsi est père par le lait l'époux divorcé ou le mari défunt, si l'épouse divorcée ou la veuve enceinte allaitait l'enfant adopté avant l'accouchement (34). Dans tous les cas où on est sûr que le lait était induit par un rapport conjugal avec un ex-mari, celui-ci est le père de l'enfant.

A l'égard des enfants intégrés dans la famille par l'adoption simple, le Coran impose le principe suivant : "Appelez-les du nom de leur père, c'est plus équitable devant Allah. Mais si vous ne connaissez pas leur père, alors considérez-les comme vos frères en religion ou vos alliés" (35).

- Puisque le Coran parle des pères en général sans réserve, et que le mari de l'allaitante est légalement reconnu sous le titre de "père par le lait"; il faut donc en conclure que, faute d'une paternité par le sang légalement reconnue, l'adopté est porteur du nom de son père par le lait.

- Puisque le grand-père figure, selon la langue coranique, parmi les pères, son nom doit donc être donné au petit-fils par le lait privé de toute autre paternité. C'est le cas de l'enfant trouvé et allaité par une mère adoptive non mariée, qui induisait la lactation en vue de cette adoption.

- Ces considérations exigent que toutes sortes de parenté soient enregistrées dans les papiers de l'enfant; comme le nom de ses parents par le sang s'ils sont connus, des parents par le lait ... etc.

- L'allaitement d'un enfant en bas-âge engendre une parenté véritable; l'argument est tout à fait clair, car le Coran, en interdisant d'épouser les divorcés des descendants, utilise une expression spécifique (pour éloigner de l'interdiction le domaine de l'adoption simple qui n'engendre aucun effet juridique) : "Vous

Il n'est pas acceptable que des pays islamiques ne cherchent pas à introduire le statut de la parenté par le lait dans les lois; car il s'agit d'une notion produisant des effets juridiques de haute importance et qui, en même temps, n'est pas parfaitement présente dans la mémoire du public contemporain.

Quant aux Etats laïcs il serait profitable pour eux d'accepter cette notion humanitaire, en tenant compte du fait qu'il n'est pas loyal de qualifier toute notion citée dans un Livre céleste de religieuse. Jadis la maternité par le lait était reconnue dans la tradition occidentale. Selon Régine Prieur : "L'allaitement d'un enfant adopté est pratiqué depuis des millénaires dans les sociétés traditionnelles où le lait de femme est indispensable à la survie de l'enfant. Il y est fréquent de voir une femme prendre en charge l'allaitement du bébé orphelin d'une sœur, fille ou amie. Les mères y voient un avantage à la fois nutritionnel et relationnel"(32).

Ce que l'islam a ajouté, c'est l'encadrement de cette sorte de parenté par un statut juridique pour la rendre analogue à la parenté par le sang. Il s'agit donc d'une notion universelle qui, parallèlement à la parenté biologique, mérite d'être réanimée et intégrée dans les différentes lois et cultures.

Effets de l'adoption par allaitement :

Du fait que les écoles les plus célèbres de la doctrine musulmane n'ont pas prévu l'utilisation de la parenté de lait pour l'adoption des enfants trouvés; leur encadrement juridique paraît sur ce point manquant plusieurs détails.

En veillant à l'intégrer dans une famille de lait saine depuis son premier âge, l'enfant abandonné devient juridiquement membre de cette famille; il ne rencontrera pas de grands obstacles sociaux pouvant diminuer ses chances dans le domaine du travail, du mariage ...etc. D'autre part, un appel intensif aux femmes musulmanes afin d'exercer cette adoption doit indéniablement être approuvé afin d'activer leur collaboration au remède du phénomène de l'enfant abandonné.

Enfin ces pratiques soulageraient les charges des orphelinats, des asiles et des établissements pour enfants en général, de sorte que

Ces érudits analysent la parole d'Aïcha (Mère des croyants - épouse du Prophète) disant: "Parmi le Coran qui se lisait au temps du Prophète on citait dix tétées, puis ce nombre s'est réduit à cinq"(31). Ils observent, à partir de cette parole, une diminution graduelle quant au nombre de tétées cité par les hadiths. Alors, il disent : puisqu'on ne doute jamais que le Coran soit devenu, à partir de la mort du Prophète, intégral et immuable, et qu'il ne cite que le fait d'allaiter sans l'assortir de conditions, donc une seule tétée est suffisante pour valider la maternité par le lait, quelle que soit la quantité avalée par l'enfant.

- Pour notre part, nous n'approuvons pas cette direction; car, la parole de Aïcha: "puis ce nombre s'est réduit à cinq" n'est pas expresse dans le sens que cette réduction était envisagée par le Coran; on peut donc la lier à la Sunna. D'autre part, ce n'est pas crédible qu'une seule tétée, quelle que soit la quantité avalée, pourrait biologiquement former un lien commun entre l'allaitante et l'allaité. Il ne faut pas donc considérer le silence du Coran quant au nombre de tétées comme une validation du simple fait de l'allaitement; mais on doit tenir le hadith impliquant cinq tétées rassasiantes comme détaillant la notion coranique. Comme à propos de la prière; le Coran donne un ordre non assorti de conditions, en laissant à la Sunna la législation des détails.

Puisqu'il s'agit d'une notion coranique dont l'interprétation doctrinale se trouve dans une certaine mesure controversée, on peut donc en conclure qu'une latitude est largement ouverte pour choisir parmi ces opinions celle qui convient à chaque société.

- Pour protéger la santé de l'enfant adopté, on peut prévoir que son allaitement par la mère adoptive soit effectué sur les conseils d'un médecin compétent.

- La défense des droits de l'homme exige que la pratique de cette sorte d'adoption soit entourée par des mesures administratives veillant à défendre l'enfant sans famille contre toute sorte d'exploitation éventuelle sous le prétexte de la parenté de lait.

Il est évident que l'allaitement constitue une porte largement ouverte pour adopter légalement les enfants abandonnés dans des maisons parentales subsidiaires. Pourquoi donc cette parenté de lait ne serait-elle pas mentionnée sur les papiers officiels, sur la carte d'identité ...?

ovaires, donc non reliées à la grossesse ni à l'accouchement. La prolactine, l'hormone qui produit le lait et l'ocytocine, l'hormone qui libère le lait répondent toutes deux à une stimulation du mamelon " (25).

- L'ambiguïté du sexe n'annule pas les effets de l'allaitement, car la doctrine liait l'état juridique de cette personne à sa tendance à se rapprocher de l'un des deux sexes (26). Puisque ses seins produisent du lait, donc elle se rapproche du sexe féminin. Nous devons aussi aller plus loin en supposant qu'après l'acquisition de la maternité par le lait (par un certain nombre de tétées) l'allaitante acquiert le sexe masculin. L'annulation de la parenté n'est juridiquement envisageable que dans des conditions rares, donc on peut suggérer que cette personne acquérant le sexe masculin soit juridiquement considérée comme père de lait.

- Selon la doctrine, l'allaitante ayant moins de neuf ans lunaires n'acquiert jamais la maternité; aucune valeur juridique ne peut être donnée à son acte d'allaiter un enfant (27).

- L'enfant doit avoir l'âge où la croissance dépend du lait; c'est-à-dire dans les deux ans lunaires suivant la naissance. Pourtant, il y a des érudits qui permettent de prolonger cet âge de quelque mois, en voyant que les versets parlant du sevrage indiquent une durée minimum n'empêchant jamais sa prolongation au profit de l'enfant (28). Le Coran: "Sa mère l'a porté (subissant pour lui) peine sur peine : son sevrage a lieu à deux ans" (29) "Sa mère l'a péniblement porté et en a péniblement accouché; et sa gestation et sevrage durent trente mois"(30). Donc, la direction de la médecine contemporaine soit prise en considération.

- L'allaitement naturel offert par la mère par le lait, n'empêche pas l'alimentation alternative avec du lait animal. Après l'acquisition de la maternité par le lait, il n'y aura aucun inconvénient juridique empêchant la mère d'arrêter l'allaitement pour nourrir l'enfant uniquement avec du lait fabriqué.

- En s'appuyant sur la Sunna, les deux doctrines, chaféite et hanbalite, exigent que les doses nécessaires pour réaliser la maternité par le lait soient cinq tétées rassasiantes. Mais selon les hanafites et les malékites, une seule tétée - quelle que soit la quantité avalée - est suffisante pour acquérir la parenté par le lait.

l'égard de son père et de sa mère il est leur petit-fils par le lait ... (20).

- L'allaitement doit être par le lait naturel de l'allaitante, d'habitude des tétées données par ses seins. Cependant, les érudits valident la transmission du lait de la femme à l'enfant par d'autres moyens – plat, verre ou biberon – à condition qu'il passe à travers sa bouche (21).

- L'allaitante doit être de sexe féminin, peu importe qu'elle soit mariée ou non, jeune fille ou adulte. La majorité est requise en vue de l'adoption; tandis que l'allaitement offert par une jeune fille non adulte – à partir de l'âge de neuf ans lunaires – produira les effets de la parenté tels que l'interdiction pour l'allaité de contracter mariage dans l'avenir avec l'allaitante – sa sœur, sa mère, etc. En devenant adulte elle pourra s'occuper de l'enfant en tant que mère adoptive (22).

- L'activité des hormones produisant le lait chez la fille vierge, la veuve ou la divorcée n'est pas juridiquement considérée comme une maladie. La doctrine ancienne prévoyait la validité de l'allaitement offert par une vierge (23).

Aujourd'hui, la lactation peut être médicalement induite chez des femmes non mariées, veuves ou divorcées pour accéder à l'adoption (24).

Selon Nycole Dumais : " Depuis la nuit des temps les femmes ont allaité leurs bébés. Quoi de plus naturel? Que ce soit par une mère biologique, une mère nourrice, une mère de substitution, une grand-mère ou par une mère adoptive, l'allaitement est possible. Ce n'est ni une question de grossesse ni d'accouchement. Des études anthropologiques effectuées dans plusieurs continents font souvent état de femmes qui avaient allaité peu de temps ou très longtemps après avoir cessé d'allaiter (15 à 20 ans) ou avaient même entrepris d'allaiter sans avoir jamais accouché. La lactation induite, c'est-à-dire la stimulation de la production de lait chez la femme non puerpérale, est apparue comme une solution culturelle pour un enfant orphelin, abandonné, ou dont la mère ne pouvait pas, pour diverses raisons, allaiter. L'enfant adopté fait partie de cette catégorie. Il est intéressant de rappeler que la prolactine et l'ocytocine, les deux hormones qui sont responsables de la lactation, sont des hormones produites par la glande pituitaire et non par les

collaboreront à la sauvette des enfants sinistrés par l'exercice de sorte d'adoption; par conséquent, le nombre des enfants abandonnés diminuera beaucoup dans l'avenir (16).

L'adoption par allaitement

Pourquoi l'appelons-nous adoption? Parce que c'est ce qu'elle est dans son sens social universellement reconnu :

"Adoption (sociologie) introduction d'un enfant dans une famille, sans lien de consanguinité avec ses parents"(17).

"L'adoption recouvre plusieurs types de relations, le sens le plus courant est l'adoption d'un enfant par un ou des parents qui ne sont pas biologiquement les siens. L'adopté est généralement un enfant abandonné ..." (18).

Le professeur Van Loon définit l'adoption, comme étant "la pratique sociale institutionnalisée par laquelle une personne, appartenant par la naissance à une famille ou à une parentèle, acquiert de nouveaux parents" (19).

Acquisition de la parenté par le lait :

De toute évidence, il s'agit d'une parenté véritable, naturelle et envisageable pour un enfant trouvé, un enfant sans famille ou généralement un enfant abandonné. Quel inconvénient nous empêche-t-il donc de lui donner le nom d'adoption ?

En dépit de ce qui est affirmé, jusqu'aujourd'hui, à savoir que l'islam interdit l'adoption, il faut bien constater que cette religion n'abroge jamais un usage humanitaire et véridiquement charitable. C'est pourquoi l'islam fortifie la notion de maternité par le lait; en l'encadrant dans un statut juridique à partir duquel on peut pratiquer une adoption véritable, naturelle et compatible avec les exigences des rapports sociaux.

- Une femme peut intentionnellement décider d'adopter un enfant en remplissant des conditions simples lui déférant cette maternité par le lait. Il lui suffit de se diriger vers un orphelinat – par exemple - pour choisir un enfant en bas-âge en vue de l'allaiter.
- En premier lieu l'allaitement produira une parenté entre l'allaitante et l'allaité; elle est sa mère; il (elle) est son enfant, et en même temps il est l'enfant de son mari au moment de l'allaitement, le frère de ses enfants, le neveu du frère de cette allaitante, et, à

d'une solitude susceptible à la dissipation grâce à l'adoption par allaitement.

Il suffit de réanimer une connaissance complète de cette sorte d'adoption pour sortir de leur vie triste et solitaire. Savoir d'abord comment accéder à cette l'adoption par allaitement, puis les effets sentimentalement réciproques entre l'allaitante et l'allaité; en suite les doses nécessaires pour acquérir juridiquement cette maternité; ce qu'il faut du point de vu psychologique pour stabiliser les liaisons; les effets juridiques et sociaux ...etc. (13).

Toute une culture qui doit activer comme un pont entre deux rives misérables, l'amertume de la solitude chez des milliers de gens d'un part; et de l'autre, la tristesse profonde chez des milliers d'enfants abandonnés. Chacun a fort besoin de l'autre, autant qu'on se rencontre autant que l'obscurité de ces phénomènes soit dissipée dans l'avenir.

Ayant une idée superficielle sur la parenté de lait, le public actuel n'est pas tout à fait veillant à la tenir comme clef pour une sorte d'adoption légitime et naturelle; adoption qui produit des effets juridiques comparables à ceux de la parenté de sang (14).

Donc c'est tout à fait convenable de dire que la diffusion d'une culture intégrale sur la parenté de lait, rendra le public beaucoup plus actif envers l'adoption des enfants abandonnés en bas âge.

On peut déduire que l'objectif véritable de la législation de la maternité par allaitement, soit le renforcement d'un droit primordial de l'enfant; son droit à la tendresse familiale manifestée en premier lieu dans sa famille biologique; faute de quoi, une famille véridiquement subsidiaire lui accueillant sans embarras et d'une façon naturelle.

Il faut veiller à réanimer le statut juridique de la parenté par allaitement pour protéger le droit de l'enfant abandonné à la parenté et aux liens familiaux. Cette sorte de parenté réelle était étudiée par la doctrine musulmane d'une façon tout à fait théorique. C'est-à-dire que jusqu'à l'heure actuelle les ulémas n'orientent pas cette notion en direction de l'adoption (15). Sur ce point, on peut dire que les prescriptions coraniques sont tout à fait claires et évidentes en faveur d'une adoption légalement reconnue en islam.

En réalisant une liaison de pratique - par éducation, médias, Internet, prêches, communications, etc. - entre les considérations précitées et les orphelinats, tant de femmes et de familles

légale, muni d'une parenté véritable substituant sa famille biologique perdue. Le Coran déclare que la femme contribuant par ses cellules laitières à la croissance du corps humain en bas âge soit sans légalement une mère à perpétuité (9).

Etant en bas âge, le Prophète de l'islam Mohammed Ibn Abd Allah (BSL) avait comme mère de lait "Halima Al Saadeya", et comme frères de lait : "Hafs" le fils de Halima et "Abou Soufyan El Hareth Ben Abdel Mouttaieb", son cousin qui fut allaité aussi par Halima (10). Il avait aussi comme sœur de lait "Al Chayma' Bent El Hareth" (11).

Mais à notre civilisation - où l'industrie scientifique produit du lait animal adéquat aux enfants - le démarrage de la croissance des bébés peut dépendre totalement du lait fabriqué. Donc, tant d'enfants abandonnés perdront leur droit naturel à la parenté et à la tendresse d'une famille naturelle.

L'islam, en établissant ce statut basique de maternité par allaitement, offre un outil fortement efficace pour sauver les enfants les plus sinistrés du monde moderne, à vrai dire les enfants sans familles; ceux qui consistent aujourd'hui l'un des plus dangereux phénomènes sociaux.

Puisqu'il s'agit d'une sorte de maternité réelle, il faut donc considérer que la psychologie de l'allaitante, envers l'enfant qui grandit sur son lait, soit affectée d'un sentiment ineffaçable de maternité; d'autre part cette femme soit pour l'enfant allaité une source de tendresse profondément enracinée. Mais à nos jours, sont rares les femmes qui peuvent allaiter régulièrement les enfants pendant toute la période leur croissance première.

D'un autre côté, il ne faut pas nier cette sorte de maternité envers une femme qui a allaité l'enfant d'une façon accidentelle - à son premier âge - sans avoir l'intention de l'adopter; comme dans le cas de la nourrice payée. On doit considérer toujours qu'un lien biologiquement commun soit établi entre l'allaitante et l'allaité; par conséquent, il faut réciproquement respecter entre eux les normes qu'on respecte entre les parents de sang (12).

Dans la société moderne, il y a entre les deux hypothèses précédentes, des cas innombrables ayant besoin d'accéder à la culture de l'adoption par allaitement pour améliorer leurs situations. Tant de familles sans enfants, tant de filles célibataires n'ayant pas l'intention de se marier, tant de vieilles filles, de veuves, de divorcées etc. il s'agit des êtres humains vivant dans les ténèbres

famille subsidiaire, ou solidaire à côté de la famille biologique, c'est ce qu'on appelle la parenté par effet de l'allaitement. L'islam reconnaît à l'allaitante sa qualité comme mère naturelle à côté de la mère biologique.

Le Coran en interdisant le mariage à cause des liens de parenté, cite la mère et les sœurs par allaitement :

"Vous sont interdites vos mères, filles, sœurs, tantes paternelles et tantes maternelles filles d'un frère et filles d'une sœur, mères qui vous ont allaités, sœurs de lait, ..." (3).

La Sunna précise les conditions concernant cette sorte de parenté : *"IL est interdit par allaitement ce qui est interdit par accouchement"* (4) - *"par la parenté de sang"* (5).

"L'allaitement - exigé - c'est ce qui construit les os et développe la chaire" (6) c'est-à-dire que l'allaitement produisant les liens de parenté soit effectué au premier âge de l'enfant où la croissance dépend essentiellement du lait.

Les hadiths les plus réputés exigent que le nombre des doses allaitées à l'enfant soit *"Cinq tétées rassasiantes"* (7) - *"ça ne suffit pas un ou deux sucements"* (8).

Ce n'est pas nécessaires que ces doses soient successives; donc, lorsqu'une femme décide d'adopter par allaitement un enfant en bas âge, il lui suffit de consacrer un jour - ou deux en étant parfaitement à l'aise - pour acquérir la maternité par allaitement; car le nourrisson a besoin de six tétées par jours. En islam, ce lait naturel provenant de l'allaitante produit une nouvelle parenté, peut importe que cette mère adoptive par allaitement continue s'arrête de nourrir l'enfant par son lait naturelle; elle ne perdra jamais sa maternité.

Aux époques antérieures, où l'allaitement par le lait humain était vital - au moins pour le démarrage de la croissance - l'enfant à partir de sa naissance ne manquait pas de famille; de sorte qu'on puisse dire qu'il avait déjà un *"droit naturel à la parenté et aux liens familiaux"*.

Déjà, les enfants à partir de leur naissance dépendaient du lait humain pour subsister jusqu'à certain âge. Un bébé trouvé sans parents - ou dépourvu de sa famille par le destin - ne pourrait jamais survivre qu'en acquérant la maternité d'une femme allaitante; par conséquent des liens de parenté avec son entourage familial. Il se trouvait donc par allaitement membre d'une famille

convention, un enfant s'entend de tout être humain âgé de moins de dix-huit ans, sauf si la majorité est atteinte plus tôt, en vertu de la législation qui lui est applicable"(2).

L'enfant abandonné :

Les circonstances qui entourent l'enfant abandonné :

- Le destin causant la perte des parents a toujours des aspects innombrables, comme les guerres, l'inondation, les tremblements de terre, les épidémies, les incendies, etc. ce sont des incidents qui privent les enfants de leurs familles.

- La découverte d'un bébé dans un coin de la rue, dans un jardin, devant une demeure ou une salle de prière ... etc. était connue marginalement tout le long de l'histoire, tandis qu'à nos jours ce bébé trouvé consiste un phénomène flagrant. Tout esprit humanitaire pense à soulager cet enfant de ce triste destin; l'islam le protège; d'abord du point de vu de sa qualification, on trouve que les érudits le qualifient par "*laquit*" un terme qui correspond juste à l'expression enfant trouvé; toute illusion contre lui soit interdite et pénalisée. Pourtant, le terme "*enfant trouvé*" reste socialement mal vu, malgré que cet enfant soit en principe acquérant tous les droits de l'homme.

Le fait de trouver un nouveau né dans des circonstances muettes ne signifie pas qu'il soit un enfant illégitime. Légitime ou illégitime, une expression qui doit correspondre aux faits non plus aux personnes; car, par rapport à leur création, tous les hommes jouissent d'une égalité absolue du fait qu'ils sont les fruits de la Providence.

La famille, droit naturel de l'enfant

Tout en reconnaissant le rôle humanitaire des orphelinats, des asiles et des autres institutions protégeant les enfants sans famille, nous doutons certainement de leur capacité de substituer la tendresse de la famille naturelle. Un enfant qui ne vit que dans des troupes et des classes éducatives, comment sera-t-elle sa psychologie ? Certainement son âme et ses regards transmettront un étrange esprit rude et amer. Donc, une famille saine et sauve consiste pour l'enfant un abri irremplaçable, quoi qu'ils soient les intérêts offerts par un établissement humanitaire bien avancé. Pour cette raison les orphelinats veillent à intégrer leurs enfants sinistrés dans des familles.

En islam, les liens familiaux consistent un droit naturel pour l'enfant, c'est pourquoi le droit musulman encadre un statut de

Au Nom d'Allah Le Tout Clément Le Tout Miséricordieux

Introduction :

Cette recherche faisait partie des affaires présentées auprès de la Cour de cassation française à Paris (Association Louis Chatin pour la défense des droits de l'enfant) à l'occasion de la journée du 14 janvier 2008 pour "L'enfant en Droit musulman" (Afrique et Moyen Orient); où l'auteur représentait le ministère de la justice égyptien, en déposant un rapport sur l'enfant en Droit égyptien qui sera publié en France.

"Le droit de l'enfant abandonné à la parenté et aux liens familiaux" reflète l'esprit humanitaire qui exige que l'être humain soit accueilli - à partir de sa naissance - par une famille veillant à ses intérêts. Pas plus amer pour un enfant que d'être solitaire et abandonné sans parents.

Chapitre premier

Enfant sans famille

La définition de l'enfance à l'instar de la Charia et de la convention internationale ?

La variété de l'âge entre enfance et majorité etc. diffère entre les systèmes juridiques; pourtant elle ne reflète pas un aspect contradictoire avec la Charia islamique dont les textes parlent de l'enfant ou de l'adulte sur un critère physique de puberté.

Etant abstraits en désignant l'état naturel des personnes, les textes religieux ne se posent pas comme obstacle empêchant la doctrine - ou la loi étatique - de compter par des années - lunaires ou solaires - l'âge de l'enfance, de l'adolescence et de la majorité.

Les opinions majoritaires de la doctrine musulmane déterminent quinze ans pour les deux sexes à fin d'acquérir la majorité; pourtant on trouve des érudits qui tentent à prolonger cet âge jusqu'à vingt cinq pour l'orphelin sous tutelle. On est toujours face à des considérations approximative (1). Certes, les lois varient toujours entre elles en déterminant l'état majoritaire des personne à l'instar des circonstances du temps et de l'espace.

Donc on peut dire que l'esprit de la Charia permet d'approuver la définition de l'enfance adoptée par la Convention internationale des Droits de l'Enfant, qui déclare qu'" au sens de la présente

***Droit de l'Enfant abandonné
à la
Parenté et aux Liens familiaux***

Omar El Kadi

Faculté de la Chari'a et du Droit – Université Al Azhar

obeikandi.com

٣	تقديم أ.د/ جعفر عبد السلام
	القسم الأول: الدراسات والبحوث
	* توظيف الفوائض المالية للدول الإسلامية
٧	أ.د/ حاتم القرشناوى
	* التجربة الإسلامية فى تمويل التعليم «الوقف أنموذجاً»
٢٥	د/ عليان الحولى - أ/ لينا صبيح
	* الشعر العربى فى الهند
٦٥	أ/ خورشيد أشرف إقبال الندوى
	* معوقات الإبداع والابتكار فى البحث العلمى الجامعى
٨٩	د/ عزة مختار البنا
	القسم الثانى: المقالات
١٤٧	د. طه جابر العلوانى
١٦١	* مدخل إلى فقه الأقليات
	* الجذور الفكرية للعمليات الإرهابية أ.د/ صلاح الصاوى
	القسم الثالث: ملف العدد.. كراهية الإسلام.. لماذا؟
١٧٩	* تمهيد
	* ظاهرة كراهية الإسلام.. تحديات ومواجهات
١٨٩	أ.د/ جعفر عبد السلام
	* ظاهرة كراهية الإسلام.. الجذور والحلول
٢١٣	د/ معتز الخطيب
	* كراهية الإسلام تحديات ومواجهات
٢٤٢	د/ محمد بشرى
	* ظاهرة كراهية الإسلام.. تحديات ومواجهات
٢٥٧	أ.د/ سيد محمد كاظم خوانسارى
	القسم الرابع: عروض الكتب
	* الشخصية الأمريكية وصناعة القرار السياسى (لباسم خفاجى)
٢٧٩	أ/ احمد شعبان

القسم الخامس: التعريف بالجامعات الأعضاء

- ٢٨٩ * جامعة أم القرى

القسم السادس: تقارير ومتابعات

* تقرير عن زيارة وفد البرلمان السويدي للرابطة

- ٢٩٣ أ/ أحمد سليمان

* تقرير عن فعاليات النظاهرة الثقافية حول اللغة العربية في أفريقيا

- ٢٩٥ أ/ محمد القرشي

* تقرير عن ندوة معرض القاهرة الدولي للكتاب

- ٢٩٩ أ/ مروة حسني

* تقرير عن ندوة التواصل الحضاري: أهدافه وآلياته ومعوقاته

- ٣٠٤ أ/ أحمد سليمان

* تقرير عن ندوة "نحو فهم متبادل للعلاقة بين المسلمين والهولنديين"

- ٣١٠ أ/ أحمد سليمان

القسم السابع: الوثائق

* البيان الختامي للدورة السابعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي

- ٣١٩ الدولي وتوصيات المجمع

- ٣٢٤ * القرارات الصادرة عن الدورة الثامنة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي

القسم الثامن: القسم الإفرنجي

* دراسة بعنوان:

Droit de L'Enfant abandonné à la Parenté et aux Liens Familiaux

- ٣ د/ عمر مختار القاضي

فهرس المحتويات

- ٣٦١

obeikandi.com

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٢٨٧٢

المركز العلمي للطباعة والكمبيوتر

تليفون : ٢٤٢٤٠٤٦٥ - ٠١٠٢٥١٠٩١١